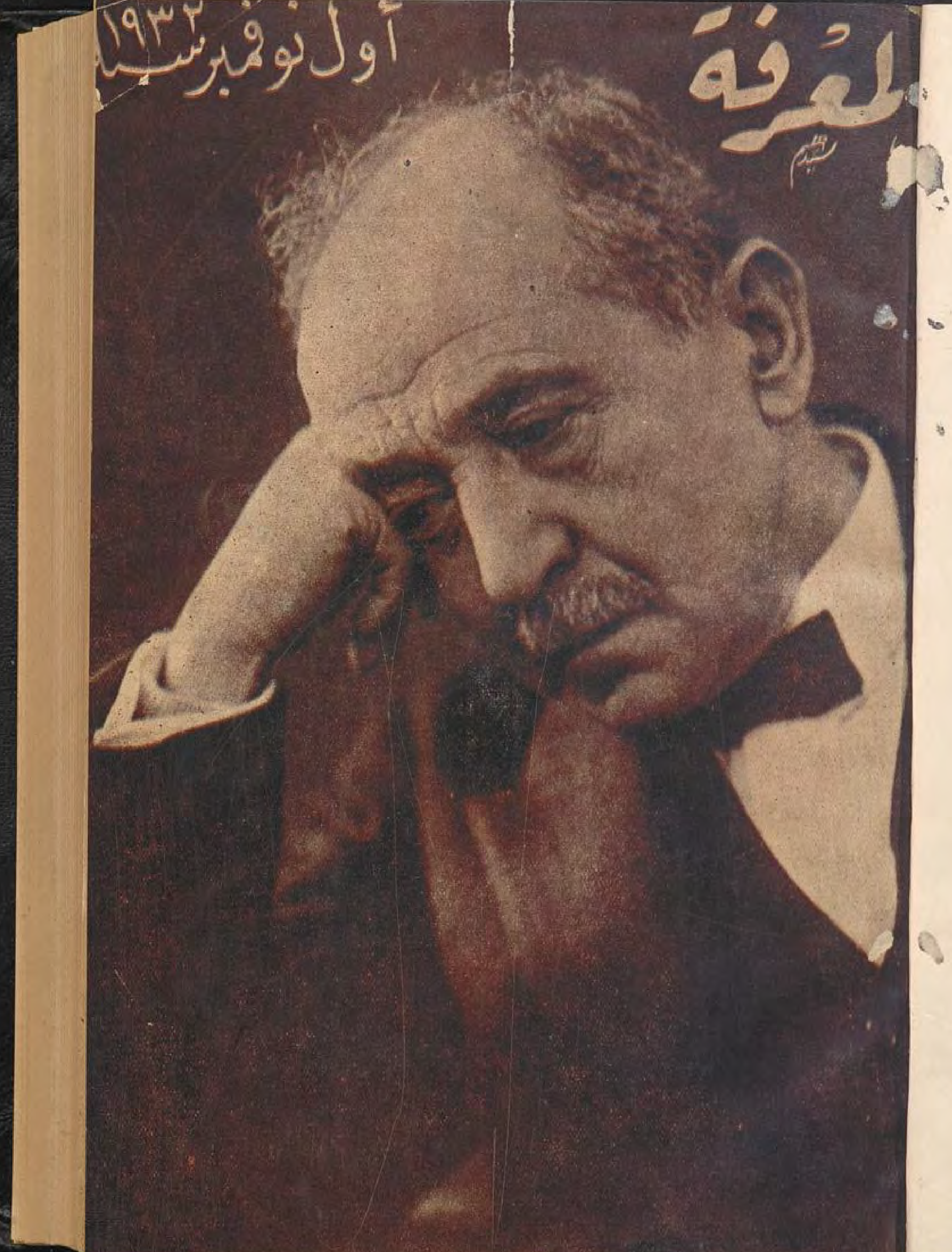
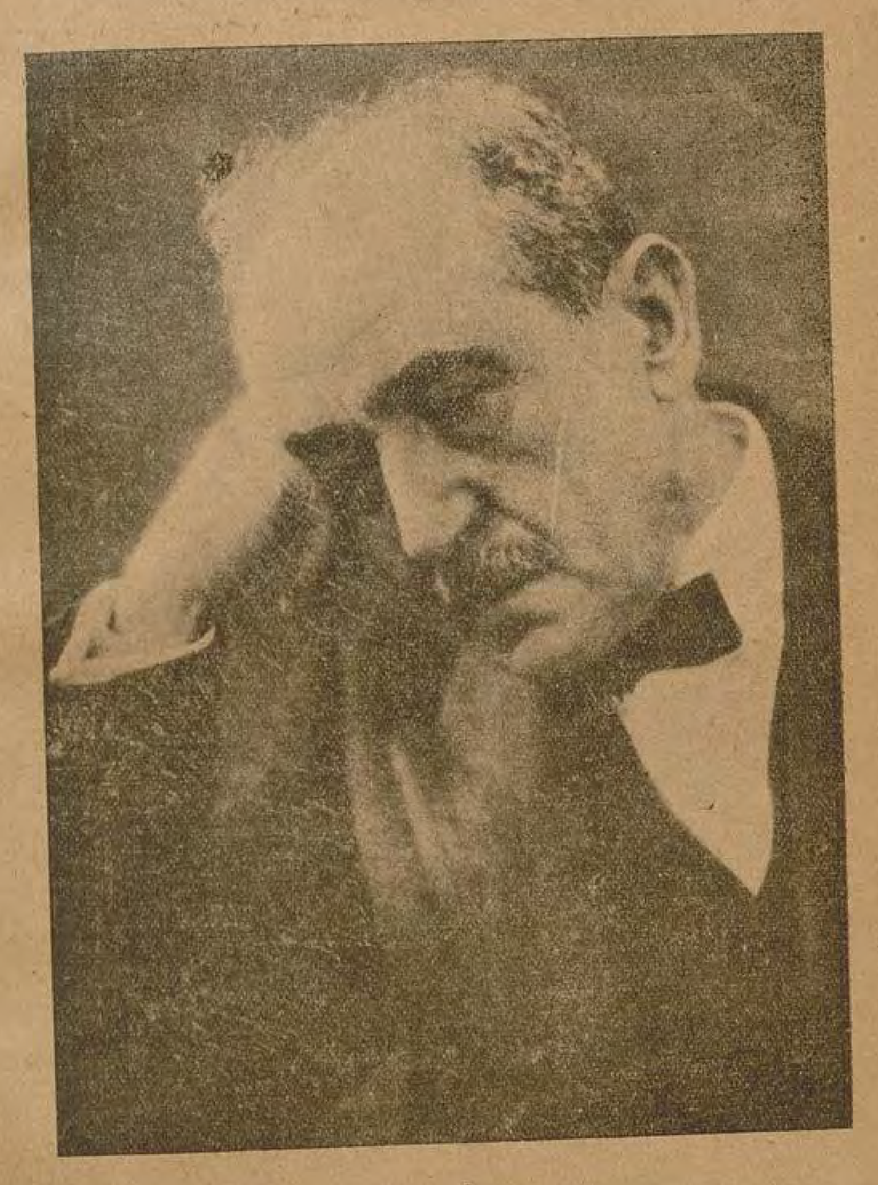

المعرفة
أول نوفمبر سنة ١٩٣٣



المغفور له أمير الشعراء

أحمد شوقي بك



الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق



الأستاذ الشيخ أحمد الاسكندرى



الدكتور أحمد فريد رفاعى

ننشر صور حضراتهم لمناسبة أحاديثهم المنشورة فى هذا الجزء عن

انشاء المجمع العلمى



الأستاذ عبد الباقى عامر بدران
« اقرأ موضوعه عن السلاح والمخدر »

الأستاذ محمد عطية الابراشى
« اقرأ موضوعه عن المحاكاة أو التقليد »

الأستاذ محمد قطب الدين الهندى
« اقرأ موضوعه عن المذهب الهندوسى »

أول نوفمبر سنة ١٩٣٢
رجب سنة ١٣٥١



الجزء السابع
السنة الثانية

مجلة — شهرية — جامعة
لصاحبها وناشرها ومحررها المسئول
عبد العزيز الإسلامبولي

المجلد الرابع | شعارها : اعرف نفسك بنفسك | العدد ١٩

شـــــوقى . . . .

بقلم صاحب « المعرفة »

خرجت العاصفة عن صمتها البالغ ، وأخذت فى غمرات الليل البهيم تزمجر بزأراتها الداوية ، بينما كان النائمون موزعة أحلامهم فى جنبات الكون ، وبينما كانوا يفكرون فى كل شيء إلا فى هذه النازلة، التى كانت آخر ما يترقبون من ضربات المعول الذى يقوض كل يوم لبنة من صرح الحياة المشيد .

وتطلع الناس إلى ضوء الصباح ، فإذا هو باهت كئيب ، وتلمسوا فى قلوبهم مواضع الضيق ، فإذا هى حافلة به . لا يترك ثلمة يتردد منها نفس . أو يسبح فى مجراها الدم الفوار .

وحق لهم أن يتساءلوا : أى حدث هائل . هذا الذى أصار الضوء الباهر قطعة من الليل القاتم ، وأصار القلوب الرحيبة ـ من ضيقها ـ كأخوص القطاة ؟

هنا: اجاب الناعى بصوته المشئوم . إن « شوقى » قد اسلم روحه إلى الله !

وهنا تحركت الشفاه بتمتمة مخنوقة . فيها كل ما أوحت به النازلة الفادحة من حزن عميق !



الرجل الخالد

ولكن : هل مات « شوقى » حقاً ؟ اللهم إن « شوقى » لم يمت ، فما خلقت هذه الحياة كلها لتموت ، ولا ليأخذ بها الموت إلى موضع الفناء . وما كانت رسالة النابهين الذائعين إلا مجلبة خلودهم على الأجيال ، وليست رسالة « شوقى » التى أداها إلى العالم ، وأنفق فى سبيلها جهد الجاهدين ، إلا أصدق رسالة يثاب عليها بأخلد الخلد ، فهو إذن حى فى كل قلب ، وفى كل لب ، وفى كل وجدان ، وعلى كل لسان . وفى كل جيل ، وفى كل بلد ينطق الضاد .

طفولة ناعمة

كانت طفولة « شوقى » تشبه فى تكوينها قصيدة من قصائده الرائعة ؛ فقد درج على سرحة النعمة، ومشى إلى الحياة بين الطنف والزخرف ، واستقبلته الدنيا بالوجه المشرق والبسمة الضاحكة ، ومن حق الذى ولد « بباب اسماعيل » أن تكون هناءة العيش ميزته الكبرى ، وأن تكون عصارته خلاصة الطوية الطيبة ، والروح السمح ، والنفس التى لا تلبس مسوح الغموض ، والعقل الذى لا يرتدى إهاب الغباء ... وكأنما شاءت الأقدار أن تمهد لهذا الصغير سبيل العرفان بمستقبله الباسم ، فجعلت عينيه دائمتى التصويب بنظراتهما إلى السماء ... وجعلت منه وجهاً دائم التطلع إلى ما فوق الأرض ، حتى تنبه إليه « اسماعيل » العظيم ، فأراد أن يعود بعينيه إلى الوجهة المألوفة ، ولم يجد الطب سبيله إلى تحقيق ذلك هيناً سهلا ؛ وإنما وجد « الذهب » وحده سبيل التوفيق ؛ فقد كان « اسماعيل » يجلس « شوقى » الصبى إلى جواره ، ثم يمسك قطع الذهب ينثرها على الأرض نثراً ، وكان « شوقى » ـ بحكم ما فى الذهب من جاذبية ـ يحول نظره إلى أديم الحجرة حتى يشهد منظر الذهب فى استوائه عليها ، ولقد أفلحت الحيلة ، فعادت عيناه إلى الطبيعة المألوفة ؛ ولكنه اكتسب من هذه الحيلة ميزة الزهد فى كل شىء من هذه الأشياء التى تدعو إلى التناحر والخصام :

لسان نهضتين

والحق أن « شوقى » لم يكن إلا لسان نهضتين : النهضة العربية بما فيها من دعوة حارة إلى العروبة وتمجيد صادق لأبنائها ، والنهضة المصرية بما فيها من نشدان للحرية ، وهتاف بمجد الوطن ، ودعاء بحياته حياة مستقرة بين الشعوب .

ولقد كان هذا اللسان الشوقى، رائع التعبير عن خلجات النهضتين، صادق السعى فى حثهما على المضى والتوجيه بهما وجهة الخير والانتاج .

وإن قصائده السامية التى كان يخلد بها الأحداث التى تطرأ على العرب ، والأشخاص الذين يذودون عن العروبة، لدليل مقنع على صدق ما ذهبنا إليه.

وإن القصائد الرائعة التى كان يمضى بها وراء الحوادث المصرية، وخلف الشخصيات المصرية ، لحجة صادقة تحقق لك أن الرجل لم يكن خياله إلا لوحة تركن إليها كل صورة من صور الحياة فى مصر .

داعية اسلامى

ومن أظهر ميزات « شوقى » ـ بل لعلها الميزة الكبرى ـ أنه كان رجلا إسلامياً يوجه نفسه إلى ما يذيع من فضائل الإسلام ، ويزيد فى حقائقه السامية توضيحاً وتنويهاً .

فلقد كان ـ رحمه الله ـ من أولئك البناة الذين شيدوا فى قلوب الجماهير الشرقية صرحاً رفيعاً من حب الإسلام وتقدير الرسول ، وهذه القصائد التى كان ينظمها فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، هل استطاع واحد من شعراء الإسلام أن ينتج خيراً منها ، وأن يكون فى إنتاجه متمشياً مع هذا السياق الذى انتهجه الفقيد العظيم : من توفير أسباب الطلاوة ، والسحر ، والفتنة ، والجمال ، والروعة لكل ما يقول . . . ؟ اللهم لا .

وإنى لأذكر فى مناسبة الحديث عن روح الفقيد الإسلامية ، أنه تفضل على «المعرفة» فى بداءة سنتها الثانية ببضعة من جواهره النادرة التى جمعها فى كتابه « أسوق الذهب » قبل أن يتم طبعه ، وكنت أخذت نفسى فى تقديم هذه الثروة الطائلة إلى القراء بكلمات لم أقل فيها: إن « شوقى » أمير الشعراء ، وإنما قلت « شاعر الشرق والإسلام »،فلما التقيت به بعدئذ كانت هالة من البشر تغمر وجهه الضحوك المشرق، وهو يقول لى، «لكأنك ياأستاذ كنت تنطق بلسان الغيب،فإن قولك عنى: إنى « شاعر الاسلام » لأحب إلى من هذا اللقب الرنان الذى يطلقه الصحفيون على . . . ذلك أنى أتمنى أن أكون شاعر الإسلام حقاً » ! !

كيف لقب بأمير الشعراء ؟

ومن حقنا ـ وقد انتهينا إلى تسجيل اللقب الذى كان يتمناه ، وهو « شاعر الإسلام » ـ أن نعرض لحادث تاريخى أتاح للناس أن يطلقوا عليه بعده لقب « أمير الشعراء » ، فقد كان الفقيد ينشر بعض قصائده فى « الأهرام » حيناً، وفى « المؤيد » حيناً آخر.

وكان القائمون بأمر هاتين الصحيفتين يقدمون قصائده، تارة بأنها من نظم الشاعر المجيد أحمد شوقى ، وتارة أخرى يقولون عنه : إنه الشاعر المبدع ... وهكذا كانوا يطلقون عليه كل

يوم لقباً جديداً . . . إلى أن أرسل إحدى قصائده إلى « المؤيد » ذات يوم . . وكان مجلس المرحوم الشيخ على يوسف عامراً بالصفوة الصالحة من خيرة الأدباء والمتأدبين . . فأشركهم الشيخ معه فى التفكير عن لقب « واحد » يجعلونه علماً على هذا الشاعر الفذ . . فانتهى بهم التفكير إلى تسجيل هذا اللقب « أمير الشعراء » ، فرضيه الشيخ ، واطمأنت إليه الصحف ، وعرف به شوقى حتى اليوم .

أول قصائده

وما دمنا فى مكان المؤرخ للحوادث النادرة فى حياة الفقيد ، فان علينا أن نسجل على هذه الصفحات ، أول قصيدة فتح بها عهد نظمه للشعر ، وهى القصيدة التى رفعها إلى السلطان عبد الحميد . . . والتى يقول فيها :

سلام الله لا أرضى سلامى فكل تحية دون المقام
وعين من رسول الله ترعى وتحرس حامل الأمر الجسام
تقلب فى ليال من خطوب تركن المسلمين بلا سلام
ومن عجب قيامك فى الليالى وأنت الشمس فى نظر الأنام
أحب خليفة الرحمن جهدى وحب الله فى حب الامام
وأجعل عصره عنوان شعرى وحسن العقد يظهر فى النظام

وإن هذه الباكورة لكفيلة أن تفصح لك عن سليقة الشعر فيه إفصاحاً .

غريزة الشعر

كان الشعر عند شوقى كل شىء ، فان الذى أتاحت له الأيام أن يجلس إليه ، كان يعجب لهذا الرجل الصامت الذى لا يتكلم إلا بمقدار ، والذى لا يطفىء جذوة السيجارة المشتعلة . . . كيف به ينظم القصيدة التى تتألف من أربعين بيتا او من خمسين أو من مائة بيت فى ليلة واحدة ؟ ولكن ! لقد صدق « مطران » فى قوله عنه : ينظم الشعر فى الطريق ، وفى السيارة ، وفى مركبة السكة الحديد ، وفى كل مكان : وهذا ما يدعونا إلى القول بأن الشعر لم يكن من حظه أن يتوجه وحيه إلى قلم « شوقى » فى عسر وضيق ، وإنما كان قلم « شوقى » قادرا على أن يسترسل فى كل وقت ؛ ذلك لأن الشعر كان إحدى غرائزه التى نبتت معه ، وتأصلت فى ذاته .

للوفاء

نظم شوقى عشرات من قصائد المدح والرثاء ، فقال شانئوه : إنه لا يمدح إلا عن هوى ، ولا يرثى إلا عن تصنع ، ولعمرى لو علموا أن الفقيد كان من أولئك الذين طبعت نفوسهم على الوفاء كل الوفاء ، لأدركوا – فى غير لبس – أنه لم يكن يمدح إلا عن وحى نفسه ، ولم يكن يرثى

أحداً إلا بعد أن يحز الحزن فى نفسه ، وإلا بعد أن تباعده الدموع. فلا يرى ـ خلاصاً من إسار أحزانه الصامتة ـ إلا أن يسكب دموعه المدرارة فى إحدى قصائده الملتهبة الفوارة .

وليس كثيراً على «شوقى» أن يقول مئات القصائد فى الرثاء والمديح ، فانه لم يكن شاعراً مغموراً ، ولا رجلا مغموراً ، وإنما كان أكبر شاعر ، وكان إلى ميزته هذه رجلا من رجالات المجتمع البارزين ، ورجالات المجتمع وحدهم يعرفون قيمة الصداقة ، وقيمة الوفاء للأصدقاء . ولو أن «شوقى» كان يتصنع المدح والرثاء ، ما كان من شأنه أن يمدح إلا رجلا من رجالات الطلمة ، ولا يرثى إلا رجلا من خيرة البارزين ، ولكنه كان يقرظ رجالا لم يتدرجوا إلى السفح ، ويرثى رجالا لم تعلن الصحف نعيهم إلا بالأجر المحتوم . . . . ! !

من رجالات الخير

وليس إلا حقاً من حقوق الفقيد أن يذاع عنه بعد نعيه أنه رجل من رجال الخير . . . ذهب إليه أحد شعرائنا المغمورين وملء يده بطاقة يقول فيها :

هل أنت منقذ من ضاقت به الحال ومن تيتم ، لا أهل ولا مال ؟

فكان جواب «شوقى» عن هذا البيت رسالة من قلمه كل ما فيها قوله : «نعم منقذه» ، والحق أنه أنقذ الشاعر المغمور ، ولكنه لم يجعل إنقاذه له فى تلك المرة آخر حلقة فى سلسلة الانقاذ ، وإنما شجعه على السعى إليه كلما هبت على حياته ريح عاصف . . . ! !

لقد كان «شوقى» أحد النابهين بين رجالات المال ، ولكنه لم يسايرهم فى أسلوبهم الذى يحتوى على كل ما فى البخل من معان ، لأنه كان يؤمن أن المال فى يده شطران : شطر لبيته ، وشطر آخر لأولئك الذين يكونون معه أسرة المتآدبين .

بحاثة بعيد الغور

فى شعر «شوقى» ميزة قلما تقع عليها فى غير شعره ، فانك متى طلعت على بيت غامض فى إحدى القصائد ، وأردت التنقيب عن معناه ، كنت كمن يجول فى صحراء لا أثر فيها الظل ، لأن المعنى ـ كما يقولون ـ لايترك «بطن الشاعر» ، أو إذا ما لقيت أحد الشعراء وسألته عن الدافع الذى حدا به إلى الغموض فى إحدى قصائده ، أجابك بقوله : إن هذا وحى الخيال ، وليس لى من عمل فيه إلا أنى كتبته . . ! ! ولكن «شوقى» لم يكن من هذا الطراز ، وإنما كانت كل قصائده من نوع مفهوم ، تستطيع أن تمسك معانيها قبل أن تمر على ألفاظها . . وليس هذا إلا أثر من آثار دراساته العميقة التى نقب بها فى كل فن ، وأتى فيها على كل مستور خبىء . . . وإن الذى يدرس موضوعه كفيل أن يؤديه أداء لا لبس فيه ولا غموض ، وما «شوقى» إلا الدماغ الذى وعى كل ما فى الحياة من فنون .

والواقع أن «شوقى» قد تناول فى دراساته فنون الحياة كلها، وأتاح لذهنه أن يطويها بين جنباته حتى ينثرها ملفوفة فى رأيه حين يحين أوانها، أو تأتى مناسبة القول فيها.

وأذكر تزكية لهذا الرأى، أنى كنت فى مجلسه ذات يوم، فابتدرنى بقوله: «أى سر حدا بك إلى دراسة التصوف وما تزال شاباً؟» فأجبته: «إن الذى حدا بى إلى ذلك إنما هو البحث وراء الحقيقة، وإنما هو العمل — فى ظل التمحيص — على تزييف النظريات التى حشرت فى تضاعيف التصوف حشراً» .... وكنت أزعم فى نفسى أن «شوقى» لم يدرس التصوف بعد. فقلت «.. ومع ذلك كله فانى أرى فى دراسة التصوف لذة روحية بالغة الأثر» .. فأدهشنى منه أن يقول: «ذلك حق، فقد درست التصوف دراسة مستفيضة، وعرفت كل ما يتخذه المتصوفون لوصف حالاتهم من مصطلحات، وزدت على ذلك أن عارضت القصيدة التائية لابن الفارض، وعارضت القصيدة الخمرية له أيضاً، ولم أنشرها بعد».

ولو أنك توجهت إلى أحد شعرائنا بقولك: «هل درست التصوف؟» .. لكان كل جوابه: وماذا يجدى التصوف، وأية علاقة له بالخيال.؟.. ولكن «شوقى» كان يرى من حقه أن يلم بكل شىء، ليكون حديثه إلى الأجيال مفهوماً لا عناء فيه..!

وإن «المعرفة» — التى تعنى جهدها باذاعة النظريات الجديدة فى الفلسفة والتصوف، والتى عرف الفقيد الكريم عنها هذه النزعة فآثرها بطائفة من آثاره — لترجو أن يوفق الله ولديه الكريمين إلى العثور على هاتين القصيدتين حتى ينشرا على صفحاتها، أو يذاعا بأى أسلوب من أساليب الاذاعة، ليطلع المتأدبون ورجال التصوف على أحدث القصائد الصوفية فى العصر الحديث.

هل كان يحب الحياة؟

الذين ترجموا «لشوقى» يقولون عنه: إنه كان يحب الدنيا ويكره الموت، ويقولون عنه كذلك: إنه لم يكن يستشعر الغبطة حين يفد عليه طارىء من مرض بسيط، مخافة أن ينطلق به هذا الوافد المودع إلى الحياة الأخرى.

ولكن الذى يريد أن يقول الحق كل الحق عن «شوقى»، إنما يجب عليه أن يدحض هذه الفرية، وأن يستنكرها استنكاراً. لأن حب الدنيا لم يكن وقفاً عليه وحده، وإنما هو غريزة من غرائز النفس التى تنشد البقاء دائماً. حتى تستوعب كل ما يجد فى الحياة من وجوه.

ولقد كان «شوقى» يحب الدنيا، لا ليستمتع بما فيها من لهو، وإنما ليتمكن من أداء رسالاته التى يجيش بها قلبه، وتختلج بها كل حاسة فيه.

ولو أنه كان يحب الدنيا للمتعة واللهو، لأنفق كل حياته فى هذين الضربين، وقد يسرت الأيام له أسباب الرفه، وملأت يده بالذهب، وحققت له — كل ما يحقق للرجل الذى يريد المتع — وجوه أمانيه وضروب أحلامه.

ولكنه لم ينفق وقته - أو كثيراً من وقته - فى غير القريض ، وفى غير البحث عن سر دفين من أسرار الحياة ليلقى عليه الشعاع ، ويسكب على قتامه الضوء .

مسرحيات ...

وإنها لمعجزة كبرى أن يتمكن هذا الشيخ فى تلك السن المتأخرة ، وبين أنياب المرض الذى انتابه فى أعوامه الأخيرة . . . إنها لمعجزة كبرى أن يتمكن من أن يخرج فى ثلاثة أعوام أربع مسرحيات كبيرة ، لم يترك فى قرضها زمامه لخياله ، وإنما تركه ليد التاريخ الصادق توجهه إلى ما يجعل القريض الذى ينتجه درساً من دروس التاريخ النادرة .

ولقد جددت هذه المسرحيات فى فكرة المسرحيين ، وهيأت لهم ألا يستوحوا الخيال وحده ؛ لأنه لا يستطيع أن يقف بالقصة على قدم ثابتة ، وأن يوفروا على نتاجهم أسباب الصدق حتى تكون العبرة - من الأقصوصة - عبرة رائعة التأثير .

ولو أنه كان يعمد إلى خياله وحده ، أكان من شأنه أن ينتصر على النقاد الذين سلقوه فى مسرحية «قمبيز» بألسنة حداد ؟ والذين قالوا عنه : إنه شوه التاريخ ليرضى هواه . . ؟ لقد جابههم بالمصادر التى قرأها ، والتى استوحاها هذا المظهر الذى صور به شخصية «قمبيز» الجبار ، فلم يملكوا أنفسهم من الصمت ، ولم يكن من شأنهم إلا أن يلقوا إلى الأرض السلاح ! !

ولقد فتح «شوقى» بهذه المسرحيات فتحاً جديداً لم يألفه الشعر من قبل ، فلم يكن الشعر من أسلحة الرواية ، ولكن «شوقى» قدر له أن يكون من أمضى أسلحتها وأقواها .

وكان من أثر هذا الفتح - فى نفوس الشعراء المعاصرين - أن فريقاً منهم حاول اللحاق بالفقيد فى هذا الميدان العسير ، فرأينا المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب يضع رواية مسرحية عن «ليلى الأخيلية» ما تزال لدينا رهينة النشر ، ورأينا غيره يحاول وضع روايات من الشعر . . . على أن نتاج «شوقى» سيبقى إلى الأبد ، غاية لا يواتيها أحد .

وإذا كان «شوقى» قد جدد فى المسرحيات ولها أخضع الشعر ، فانه - إلى ذلك - قد أرسل من سمائه السامية فيضاً من القول الرائع . . هو هذا الذى جدد به من أسلوب الأغانى تجديداً تسمع الأذن منه المعجب والمطرب .

***

وبعد ، فتلك عجالة لا خير فيها ، وسنتبعها بدراسة مستفيضة ، لمن يريد استيعاب «شوقى» فى شىء من التبسط ، ولكننا نذيع عجالتنا الآن وفاء له ، وتقديراً لآثاره ، وتنويهاً بفجيعة العروبة فيه .

عبد العزيز الاسلامبولى

بين الأدب وعلم النفس *

استعراض سيكولوجي لاحدى روايات شكسبير

شاعر الانجليز العظيم

بقلم المربية الكبيرة السيدة نظلة الحكيم سعيد

لقد اخترت أن أدرس العلاقة بين أدب القوم وعقلية أفراده عن طريق نوع خاص من الأدب ، هو الأدب المسرحي ، وانتخبت لهذا الغرض رواية من روايات شكسبير، أريد اتخاذ وقائعها أساساً لتحليل العواطف والانفعالات البشرية، وهذه هي الرواية المسماة «قصة الشتاء»، وهي رواية تدل على انتصار المؤلف للمرأة، مع بيان النزعات القومية التي سادت في زمانه أبناء الناس. ونحن طبعاً نحكم على الأديب الحقيقي: بأنه الذي يخرج الأفكار في ثوب يتلاءم مع روح العصر ، ويتمشى مع قوانين الأخلاق والعرف السائد.

معنى كلمة أدب

والآن نريد أن نفحص معنى كلمة الأدب . . . إذا بحثنا في معنى هذه الكلمة حسب استعمالها نجد أنها قد استعملت استعمالا خاطئاً للدلالة على كل ما كتب في اللغة، بصرف النظر عن الجانب العلمي ؛ أي أنها في الشرق - وبخاصة في العالم العربي - تطلق مع التساهل على الجانب اللغوي الخاص بالمديح ، والرثاء ، والهجو ، والأوصاف ، وسرد تواريخ حياة الشخصيات البارزة ، مع الإشارة إلى بعض النظريات الفلسفية التي تجمع بين الوصف والنقد والتعليق على تصرفات البشر وظروف الحياة، وقد أدى هذا إلى وضع كثير من الحكم، والأقوال المأثورة. وإذا نظرنا إلى استعمال كلمة أدب في العالم العربي نجد أنها تشمل الأدب المدون « المكتوب »، والأدب المحفوظ في صدر صاحبه ورواته بالسماع ، ولذلك لم تتناول دراسة الأدب شيئاً سوى بحث أسلوب الكاتب ، ونقده، وتقدير مبلغ انتفاعه بمحصول اللغة في التعابير الشعرية أو النثرية ، ومقدار بلاغته في الأوصاف الخلابة ، وحسن ذوقه في الدخول في الموضوع أو الخروج منه ؛ ولقد أدى هذا إلى العناية بفحص كل ما تجود به القرائح ، من حيث حسن الابتداء « براعة الاستهلال »، وحسن الانتهاء « براعة المقطع »، وهذا بالضرورة جعل المسابقة بين المؤلفين المعتمدين على الذاكرة والكتاب، مقصورة على التفنن في مجرد اختيار الالفاظ ودقة التعبير .

---

* محاضرة ألقيت في الحفل الأدبي [illegible] السيدة الفاضلة وخصت « المعرفة » بنشرها .

وهذه النزعة بدورها جمات دراسة الأدب عندنا مقصورة على الجانب اللغوى الذى يشمل بحث الأسلوب ونقده ومدى تمشيه مع القواعد الأساسية التى سمعت عن العرب . ومن ثم كان الأدب العربى متبوئاً عرش الأدب فى العالم كله، من حيث جزالة اللفظ ، وانسجام العبارة، وحسن التآلف بين أجزاء العبارة الواحدة ، وقد بلغ من تمسكهم بصياغة اللغة وحسن الذوق فى اختيار اللفظ ، أنهم كانوا يهدمون القصيدة العصماء بكلمة واحدة نافرة فى مطلعها ، ولا ننسى غضب المأمون على شاعر مبدع هنأه، لأنه بدأ قصيدته بالنفى حيث قال:

لا تقل بشرى ولكن بشريان غرة العيد ويوم المهرجان

أما الغرب فكان يطلق كلة أدب على أحسن تعبير يضعه أى فرد كتابة لأحسن أفكاره ، سواء أكانت هذه الأفكار فى العلم ، أم الأدب ، أم الفن ، فاجادة الكتابة فى أى علم تعتبر ثروة أدبية للأمة وتراثاً خالداً يدل على مقدار رقيها وتطورها من عصر لآخر، فما كتبه أينشتين مثلا فى الرياضة يعتبر أدباً لأمته، وما كتبه نيوتن، وآدمز سمث، ولا بلاس، وداروِن، وفرنوف، فى العلوم الطبيعية والطبية يعتبر أدباً للأمة، بل أدبا للانسانية على الاطلاق، وعليه فان هذه النزعة ـ نزعة اعتبار جميع العلوم أدبا للامة أرشدت الفكر الغربى إلى طرق باب علم جديد أساسه المنطق الصحيح المتمشى مع الحقائق الواقعية. وذلك هو علم تنظيم الدراسة العلمية Methodology

ولقد كان من جراء هذا التقدم والتطور فى النظر إلى العلوم على اختلاف أنواعها أن تنبهت الأفكار إلى أنه يمكن دراسة الانسان من ناحيتين: ناحية الجسم ، وناحية العقل، فنشأ علم النفس أو علم الحياة العقلية ضمن العلوم الحديثة، التى تتقدم الآن بسرعة مدهشة، حتى لقد أصبحنا ندرس حياة الانسان العقلية فى ضوء نتائج التجارب العملية والاحصائيات الاقتصادية الدقيقة من مجرد الملاحظات البسيطة التى قام بها الأقدمون ؛ فهم حقيقة طرقوا باب علم الحياة العقلية، وبحثوا فيما سموه الروح ، والنفس ، والعقل ، ولكن بناء على مشاهدات بسيطة ؛ فمن ملاحظاتهم مثلا: أنه عند توقف القلب يصبح القلب بلا قيمة ـ ظنوا أن القلب هو مركز الروح ومصدر الحياة ـ ، ومن ملاحظاتهم ، أنه عند إتلاف أى جزء فى الرأس ، أو المخ ، تتعطل بعض أعضاء الجسم عن أداء وظيفتها ، وقد يفقد الانسان القدرة على التفكير الصحيح، مع وجود الجسم حياً ينمو ويتغذى .

انتقلوا إلى اعتبار المخ مركز الروح ، ولكن كل هذه كانت نظريات اجتهادية تحتاج إلى التصحيح العلمى، والبحث الدقيق المؤسس ـ من جهة ـ على ملاحظة تصرف الانسان ومقدار تأثره بعوامل بيئته ، ومن جهة أخرى، على مقدار ما يكشفه العلم من أسرار الطبيعة البشرية، وما يعرضه الأديب المطبوع من حقائق يلبسها ثوب الخيال، لتكون للناس تذكرة وعبرة ؛ ومن ثم كان

الأدب المسرحى هو أول الوسائل التى اتخذها العقل البشرى لعرض حوادث حياة الانسان العامة . بما فيها من فضائل ورذائل، وويلات وآلام . ليرى نفسه من جديد فى إحدى هذه الصور . ليتعظ بها ويعمل على إصلاح نفسه عن طريقها .

والأديب المطبوع لا المصنوع: هو الذى يسبق سائر الناس ، بل يسبق العلم أيضاً فى كشف غوامض الطبيعة البشرية، وإخراجها فى صورتها الحقيقية التى تتمثل فيها العواطف والانفعالات الصادقة .

ولما كان «شكسبير» هو من خير من يتمثل فيهم هذا النبوغ، فقد اخترته شاهداً على صحة ما أذهب اليه من علاقة وثيقة بين الأدب وعلم النفس ، وقد خطر ببالى - وأنا أفكر فى تقط هذا الموضوع - أن أشير إلى شكسبير مصر ، خالد الذكر وأمير شعرائها المغفور له «شوقى بك» ، ولكنى فوجئت بخبر وفاته، وأنا أعد مذكراتى فى الموضوع ، فلم أقو على الاستشهاد بشىء من أدبه، ولذلك رأيت أن أعفى نفسى من ذكر شىء عنه - رحمه الله - حتى لا أشعر بمرارة الكلام عنه ضمن من رحلوا . ولم تجف دموعنا عليه بعد ، وقد كان بالأمس بيننا من الأحياء .

والرواية التى اخترتها من بين روايات شكسبير العديدة هى قصة «الشتاء Winters tael» ؛ وهذه تتمثل فيها النزعات الوجدانية. والعواطف، والانفعالات البشرية على أكمل وجه.

وتتلخص القصة فى أن (لينتيس) ملك صقلية، تزوج من (هرمين) ابنة أحد حكام الروسيا؛ ولهذا الملك صديق حميم هو (بولكسين) ملك (بوهيميا) ، أقام فى ضيافته مدة حن فيها إلى العودة إلى بوهيميا، فاستأذن مضيفه فى الرحيل ، فدب الحزن فى قلب لينتيس ، ورجاه البقاء مدة أخرى ، فاعتذر بمشاغل الملك الهامة وبأمور حدثت فى بلاده تتطلب عودته ، فازداد حزن لينتيس ، ولم يجد له طريقاً غير أن يلجأ إلى زوجه الملكة هرمين ، يرجوها أن تتوسل إلى بولكسين فى البقاء ، علماً منه بأن الرجل الشريف لا يرفض لسيدة طلباً ؛ فتحرجت هرمين خشية ألا يقع رجاؤها موقع القبول ، ولكنها من ناحية أخرى لا تطيق أن ترفض لزوجها طلباً، فأقدمت على رجاء بولكسين فى لطف وإخلاص، ولم يكن فى وسع بولكسين غير القبول، وسرعان ما ذهبت تبشر زوجها الملك وتشاطره السرور .

ولكن لم تمض أيام معدودات ، حتى تبدلت حال لينتيس . وتغير شعوره نحو صديقه ؛ ورأت منه هرمين ذلك ، فساورها القلق ، وحاولت أن تدرك للأمر كنهاً ، وفكرت ملياً، فهداها تفكيرها إلى أن تزيد فى رعاية الصديق ، وتبالغ فى إكرامه ، وتبذل له كل وسائل السرور والراحة كلما رأت زوجها حزيناً مكتئباً، ظناً منها أن هذا يرضيه ، ولكنها أخطأت السبيل، فقد دبت عقارب الغيرة فى قلب لينتيس ، ووسوس له شيطانه أن زوجه تخونه ، وتتآمر مع صديقه

على حياته ليتخلصا منه ويخلو لهما الجو، وتجسم هذا الوهم حتى انقلب إلى نزعة جامحة ورغبة ملحة، في البطش بصديقه بولكسين؛ ولما تملكه الأمر، أفضى به لصفيه (كامليو) وعهد إليه بقتل بولكسين، أو يموت هو - وإذن فرأس بولكسين أو رأس كامليو -؛ وكم كان يود لو يقتل هرمين كذلك في نفس اللحظة، لولا خوفه من غضب البلاط وثورة الشعب؛ لأنها كانت محببة إلى الجميع، فهو يكتفي مؤقتاً بزجها في غيابة السجن حتى يستشير الآلهة في أمرها.

وعلى هذا أتم الملك تدبيره مع تابعه كامليو واطمأن اليه، ولكن كامليو يرى في الأمر ظلماً شنيعاً، وهدراً لدماء الأبرياء من غير جريرة، وهو كذلك يخشى بطش الملك - خصوصاً وقد فشلت كل مساعيه لاقناع الملك بأنهما بريئان - وهو لا يستطيع عصيان الملك جهاراً؛ فيختار أخف الضررين، ويفضي إلى بولكسين بما يدبره له الملك من سوء، ويعرض عليه طريق الخلاص بذهابهما إلى مملكة بوهيميا، تاركين وراءهما ليتيس يأكل الحقد قلبه، وهرمين تقتلها الحسرة في السجن.

ويطول الحال، ويدرك هرمين المخاض في السجن، فتلد بنتاً تسميها بردينا «المفقودة الضائعة»، وهنا تجد بولينا - وصيفة الملكة وخادمتها الأمينة - فرصة سانحة، فتأخذ الطفلة وتقدمها إلى الملك، وهي تشرق في ملابسها وفي الشيء الكثير من حلي والدتها، وينبعث منها نور الطهر والوداعة.

ولكنه جماد لا يلين، وصخر لا يرق، فتتركها بين يديه، عساه يثوب إلى رشده، ويشفق بابنته الضعيفة، وإذا به تتملكه ثورة الغضب، فينكر نسبها إليه، ويأمر انتاجوناس - زوج الوصيفة بولينا - أن يأخذ البنت وما عليها من حلي إلى البرية، ويتركها هناك بين الأدغال؛ وتشاء الأقدار أن تفترس الوحوش المسكين، ولا تمس الطفلة بسوء، فيعثر عليها أحد الرعاة، فيتبناها ويحسن تربيتها بفضل ما وجده معها من حلي ومال، واحتفظ بقطعة الورق التي احتاطت بولينا فوضعتها بين طيات ثيابها، مبينة فيها اسم الطفلة ونسبها؛ لأنها قدرت ما قد تخبئه الأقدار للطفلة، وقد صحت نظريتها.

وتكبر (برديتا) زهرة نضرة يتضوع أريجها في ذلك الكوخ الحقير، ويشرق نورها منه، وتشفق الأقدار بها مرة أخرى، فتسوق أمير بوهيميا - ابن الملك بولكسين - في طريقها، فيستولي حبها على قلبه ويأسر لبه حتى ينسى نفسه وشعبه؛ ويختلف إلى ابنة الراعي من آن لآخر، ويقضي معها الساعات الطوال يستمتعان فيها بلذة الهوى البريء، ويفتقده أبوه الملك من آن لآخر فلا يجده، فيتنكر ذات ليلة، ويقتفي هو وكاميل - صديقنا القديم - أثره إلى كوخ الراعي، وهناك يجده على وشك الزواج من برديتا، فيعنفه على فعلته هذه، ويأمره بالعدول. ولنتركه الآن

يذوب أسى، ويتذلل إلى كاملبو عساه يجد له مخرجاً، ونعود إلى ذلك البائس المسكين لينتيس، فقد هجره أصدقاؤه، وقضى ولى عهده حزناً على أمه هرمين، وكذلك سافت هرمين يوم أن حاكمها أمام الشعب علناً بتهمة الخيانة، قبل أن تصل الرسل من العرافين معلنة براءتها هى وسائر من اتهمهم معها بالباطل.

بيت الأحزان

يثوب بعدئذ لينتيس إلى رشده، ويتوب إلى ربه، ويرسل فى طلب كاملبو ليسرى عنه كربته، فيجيبه إلى طلبه، ويعود إلى بلده، وإلى زوجه بولينا صحبة الأمير والفتاة، وتكون بينهما مقابلة حارة ينفطر لها قلب الملك فتشفق به بولينا، فتذهب به إلى بيتها لتريه تمثالا لزوجه الميتة، صنعته خصيصاً لتخليد ذكراها؛ ولكنها تشترط عليه ألا يمس التمثال بيده، فيقبل، ويرى التمثال فيبكى وينوح ويتوجع للذكريات المؤلمة الماضية، ويقترب من التمثال، وإذا بالتمثال يمشى نحوه فى رفق ولين، فينسى عهده، وتخونه شجاعته، ويحتضنه. وإذا بالملكة حية بين يديه؛ ويكون ثمة مشهد مؤثر يحتضن فيه الأميرة برديتا أيضاً، ويبوح الراعى بالسر، ويعلم الجميع أن برديتا هى ابنة الملك، وتختم المأساة بالسعادة والهناء، بعد الحزن والألم الطويل.

* * *

هذا هو موجز قصة الشتاء لشكسبير، ويجمل بى أن أتعمق فى درس موضوع الرواية، وأغوص فى أعماق شخصيتها. فأبدأ بتحليل بسيط للعواطف الإنسانية عامة، وعاطفة الكراهية - كما وصفها شكسبير - على وجه الخصوص؛ وسنرى بعدئذ كيف اتفق رأى شكسبير، ورأى علماء النفس المحدثين.

عند ظهور عاطفة معينة عند أحد الناس يتأثر صاحب العاطفة بعاملين:

أولهما: يتأثر بمن تنصب عليه العاطفة، ومبلغ صلته بالذات صاحبة العاطفة، وأثره فيها من ناحية توفر المنفعة، وتوقع الضرر.

ثانيهما: يتأثر بالظروف التى تساعد على ظهور العاطفة وتقويتها فى شكل قوى، أو ضعيف كيفما تكون الحال؟

[للبحث بقية] نظلة الحكيم سعيد

آراء لها قيمتها

فى انشاء المجمع العلمى المصرى

تغتبط « المعرفة » لهذه الفكرة الرشيدة التى أوحت إلى حضرة صاحب المعالى الأستاذ محمد حلمى عيسى باشا وزير المعارف ، أن يعمل عملا خالص الجدى سبيل إنشاء المجمع العلمى فى مصر ؛ ويزيد فى غبطة « المعرفة » ، أن هذا العمل من جانب معاليه قد أيقظ فى أذهان علمائنا عاطفة البحث والتنقيب عما يجب أن يكون عليه المجمع المنشود ، وهذا البحث له دون ريب أثره وخطره ، لأنه يمحص الفكرة ويدعو إلى إخراجها كاملة التكوين ، قشيبة الثوب .

ولقد شاءت « المعرفة » أن تشترك فى سرد الآراء التى يفكر فيها جمهرة من علمائنا الأعلام لخير المجمع ، ولتوفير أسباب النجاح له ، فرأت أن تستفتى طائفة منهم فى فكرته ، وفى العبء الذى يضطلع به ، ويرى القراء أحاديثهم فيما يلى :

رأى الاستاذ مصطفى عبد الرازق

أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب

الأستاذ السيد مصطفى عبد الرازق ، يعيش فى جو كله علم ، وكله بحث ، وهو يطبق نظرياته الفلسفية على نفسه ، قبل أن يدعو إليها ، وقبل أن يزجيها إلى طلابه من منبر الجامعة ، وإلى المثقفين من منابر الجمعيات التى يحاضر فيها الجماهير .

وليس أصعب على الصحفى من أن يوفق إلى إقناع الأستاذ الجليل ، بالتحدث فى المسائل العلمية الهامة على صفحات الصحف ، دون أن يكتبها بقلمه ؛ ولكننى أردت أن أقتنص رأيه فى المجمع العلمى ، فترقبت الفرصة السانحة حتى واتتنى فى ليلة جمعتنى فيها إليه جلسة خاصة ، أخذنا نتنقل خلالها من حديث إلى حديث ، حتى جاء موضوع المجمع ، فاستطعت أن ألم من شتات القول الذى تحدث به ، تلك المجموعة الطيبة من الآراء الطيبة ، التى أذيعها مسئولا عنها ، ومغتبطاً بها .

قال الاستاذ الجليل :

قد تبدو على حديثى معك وجوه نقص كثيرة ، لأنى لا أعلم حتى الآن حقيقة الحال التى سيحيا عليها المجمع المنشود ، وإن الأقوال المتضاربة فى تحقيق المثال الذى سيولد على سياقه ، قد هيأت لى أن أركن إلى الصمت فى صدده ، وأن أباعد عن رأسى التفكير فيه ، حتى يحين

الوقت الذى نعلم فيه الحقيقة كاملة ، وليس علىَّ فى ظل هـذا التضارب القائم على الحدس والتخمين ، إلا أن أصرح لك بأنى أرجو ـ مخلصاً ـ أن يولد المجمع ، وأرجو كذلك ـ مخلصاً ـ أن يكون مولده مقترناً بالتوفيق .

وسواء أكان المجمع ـ كما يقول البعض ـ سيقصر كل همه على إنشاء قاموس عربى جديد ، فيه تحقيق للكلمات العربية ، وعود بها إلى أصلها الأول ، وفيه تمحيص للكلمات الدخيلة ، وعود بها إلى لغتها الأولى ، وفيه ابتكار لكلمات عربية جديدة ، تؤدى ما جدده العلم من ألفاظ ، أم كان المجمع ـ كما يقول البعض الآخر ـ سيولد على نسق المجامع الأوربية العريقة ، من حيث النظام ، والتنسيق ، والتقسيم ؛ سواء أصح هذا أم ذاك ، فإنى أتمنى أن يكون أعضاؤه من أولئك الذين ساهموا فى توجيه الأذهان العربية توجيهاً سديداً ، دون أن يعنى القائمون بأمر تخير الأعضاء بهذا الأسلوب العتيق ، الذى يرمى إلى تخيرهم من بين الأسماء الذائعة وحدها .

وأرى تصويباً لهذا الرأى ، وتوضيحاً له ، أن أصرح لك ـ مرة أخرى ـ بأن الطائفة التى لم تبلغ حتى اليوم مكانة الصدر بين الذائعين ، إنما يحمل كثير من أفرادها خصائص التفرد بالنجاح فيما يزاولون من بحوث ، وهم إلى ذلك أوفر نشاطاً من الطبقة الممتازة ، وأجزل سعياً وراء الحقيقة ، وأجمع عزمة ، وأقوى دأباً .

وقد يستطيع المجمع المنشود أن يستفيد من مواهبهم الكامنة ، لأن عملهم فيه ، واستقرارهم فى كنف ظله ، يدفعهم إلى مضاعفة الجهود ، ويحفزهم إلى البذل ، ويحثهم على التضحية ، حتى يبلغ إنتاجهم الذروة .

ولست بعدئذ من هؤلاء الذين يدعون إلى إضافة فريق من المستشرقين إلى قائمة الأعضاء العاملين بالمجمع ؛ فإن المجامع الغربية كلها لم تأخذ بهذا النظام ولم تعمل به : لأنه يضعف « القومية » من جانب ، ويعلن العقم العلمى بين أبناء الأمة من جانب آخر ، ولكننا متى افتقرنا إلى أحد المستشرقين فقراً مدقعاً ، فإن علينا فى هذه الحال ، أن نكل إليه كتابة الفصل العلمى الذى نفتقر إليه ، وحسبه جزاءً عليه ، أن يتناول مكافأة عنه ، وأن يقترن اسمه به .

أما ضم طائفة من العلماء ـ الذين ينطقون العربية ، ولا يعيشون فى مصر ـ إلى عضوية المجمع كأعضاء مراسلين ، فليس من شك فى أنه عمل يتيح لطائفة من الفوائد أن توجد بين جهود الناطقين بالضاد ، وتوسع من دائرة البحث المنتج ، وفى هذا كله ثروة للعربية ، وإحياء دائم للعروبة ؟

عبد العزيز ...

رأى الأستاذ الشيخ أحمد السكندرى

للأستاذ السكندرى قيمته الممتازة فى كل محافل العلم ، فإن بحوثه القيمة فى الأدب العربى، تعتبر بحق مرجعاً لمن ينشد الحقيقة ، لأنها عصارة دراسات مستفيضة قضى فيها أعواماً مديدة باحثاً منقباً .

لقد تحدثنا إلى الأستاذ الجليل فى شأن « المجمع العلمى » ،فكان حديثه - إلى طلاوته ورقته- بالغاً شأو التحفظ ... لأنه يرى أن الكلام عن المجمع لم يحن أوانه بعد .

أما آراؤه التى استفدناها فى كثير من الجهد فإنها تتلخص فيما يلى :

.... الدائم حتى الآن أن مهمة المجمع المنشود ستكون مقصورة على إنشاء قاموس عربى دقيق ، يحقق الكلمات العربية الأصيلة ، ويحقق إلى ذلك منابع الكلمات الأعجمية التى أدخلت على لغة الضاد ، ويحقق - أيضاً - فكرة استنباط كلمات عربية صحيحة تؤدى ألفاظ العلم الحديثة أداء موفقاً .

وإذا كانت هذه هى مهمة المجمع ، فما من ريب فى أنها مهمة شاقة تدعو إلى انتخاب أعضائه من أولئك الذين مارسوا الدراسات الطويلة الرحيبة فى اللغة العربية ، وفى آدابها ، حتى يتمكن المجمع من إخراج القاموس على نسق يجمع بين الدقة والكمال .

وإنه ليلوح لى أننا بحاجة ماسة -فى صدد إخراج القاموس - إلى جهود أولئك المستشرقين الذين استطاعوا ببحوثهم القيمة أن يبرهنوا على رغبتهم الأكيدة فى خدمة العلم ، ولكنى لا أدعو بما يدعو إليه بعض الداعين إلى إنشاء المجمع من تحتيم وجود طائفة من المستشرقين كأعضاء عاملين فيه، وإنما أرى الاكتفاء بتعيينهم كأعضاء مراسلين ؛ لهم حق الحضور إلى المؤتمر السنوى الذى يعقده المجمع ليذيع فيه نتيجة أعماله فى كل عام .

وقد يكون من السهل على ميزانية المجمع أن تحتمل نفقات أولئك المستشرقين طيلة الأيام التى يجتمع فيها المؤتمر السنوى ، وليست هذه النفقات- فى تقديرى- إلا مكافأة هينة لهم ،لأنهم بما لهم من إلمام كامل باللغات - وبينها اللغة العربية - يستطيعون فى كثير من السهولة ، أن يحددوا لنا أصل الكلمات الأعجمية التى تزدحم فى لغتنا ازدحاماً ، وليس هذا بالأمر السهل، وليس هو بالعمل الذى لا يحتاج إلى جزيل الجهود .

هذا مجمل الرأى عندى فى مسألة المجمع ، التى أستطيع القول فى صددها : إنها تكاد أن تكون اليوم مسألة الساعة فى وزارة المعارف .

رأى الدكتور احمد فريد رفاعى
مدير المطبوعات الأسبق

يتحدث الدكتور أحمد فريد رفاعى مع « المعرفة » اليوم عن المجمع العلمى المصرى حديثاً ليس لنا أن نعلق عليه ، وإنما علينا أن نبسط ما فيه بين أنظار القراء ، ليعلموا أنه : لم يغفل – حتى فى هذا الحديث – عن طبيعته التى وفرت له مكانة ممتازة ، وصيتاً بعيداً :

قال الدكتور : « إن أولئك الذين ينظرون إلى فكرة المجمع نظرة سطحية عاجلة ، يؤكدون لك – فى حرارة يقين ، وبالغ جرأة – أنه وليد هذه الرحلة التى رحلها وزير المعارف فى الصيف الفائت إلى زمرة من بلاد الغرب ، حين التقى بجمهرة من المستشرقين وتحدث إليهم ، وأنتج من حديثه معهم ذلك المجمع الذى ما يزال جنيناً لم يشهد المهد .

وقد يكون من المنطق الصريح الذى خلقته العاصفة – عاصفة القول بأن معالى الأستاذ حلمى عيسى باشا : هو مبدع المجمع – أن تضاف اليه وحده ميزات ابتكاره ، وأن يخلع عليه وحده مجد خلقه ، وأن يختفى غيره من أولئك الذين كادوا أن يخرجوا المجمع على أحدث النظم ، لولا أن عصفت بهم أعاصير السياسة ، فباعدوا منصة الحكم .

إن حديث المجمع العلمى يا صاحبى حديث قديم ، قد جابه الشمسى باشا فى سبيل وجوده بحث عميق ، حين كان يتولى وزارة المعارف ، وقد عانى الأستاذ بهى الدين بركات بك فى ذمته الليالى الساهدة ، حين كان وزيراً للمعارف أيضاً . وهذان الرجلان الجليلان ، قد استطاعا إلى حد بعيد ، أن يخلقا جواً يولد فيه المجمع المنشود صحيحاً متين الأعضاء قوى البناء . . .

ولكن . . . هل أسلم دعاة المجمع رءوسهم إلى الوسائد الوثيرة ، حين تنحى هذان الرجلان الكريمان عن مكانهما الرسمى ؟

إن الفكرة التى تحمسوا لها فى ظل هذين الوزيرين ، قد بقيت هى الفكرة التى ما زالوا يتحمسون لها حتى اليوم .

وأستطيع أن أصرح لك ، أننا عقدنا بضعة اجتماعات طويلة من أمد بعيد ، وأن هذه الاجتماعات كان أمرها مقصوراً على المجمع وحده . وكان شهودها من أكبر المستنيرين فى مصر ، وأننا خرجنا منها بما يشبه أن يكون لائحة كاملة لأعمال المجمع جميعاً ، وبما يشبه أن يكون تسجيلا دقيقاً لأسماء لجانه وأعضائه .

فى كنف الاكاديميات :

وكان همنا فى هذه الاجتماعات مقصوراً ، على أن يكون المجمع ناضجاً قوياً مؤثراً . . . فأخذنا لذلك نبحث فى نظم « الأكاديميات » الراقية ، وكان من حظنا أن نتخير . . « الأكاديمة » الفرنسية لنجعل منها مثلنا الأعلى وغايتنا التى ننتهى إليها .

وليس إلا تسجيلا مني لما حدث في هذه الاجتماعات ، حين أقص عليك الجوانب التي أردنا أن تقوم عليها دعامة المجمع ، والرجال الذين يستطيعون السير به سيراً موفقاً سديداً ؛ ولست الآن في صدد مقترحاتي الخاصة ، حتى يفهم أحد الناس ، أني أعني بهذا التسجيل أكثر من أنه تصوير تاريخي لتلك الجهود الشعبية ، التي توفر عليها رجال شعبيون ليخلقوا أكبر حدث علمي في مصر .

أما هذا الذي أريد أن أسجله . فإنه يخلص في أننا رأينا أن يكون المجمع قائماً على أربع شعب:

١ — شعبة القاموس
٢ — شعبة الموسوعة
٣ — شعبة إحياء الأدب القديم
٤ — شعبة تشجيع الأدباء الناشئين

وليست هذه الشعب التي تخيرناها جديدة على المجامع المعروفة ، وإنما هي مثل من أشباهها التي يتألف منها المجمع الفرنسي .

ولقد تخيرنا جميعنا لرئاسة لجنة القاموس ، ذلكم الرجل العلامة صاحب السعادة أحمد زكي باشا ، وتخيرنا لرئاسة لجنة الموسوعة ذلكم العالم النابه صاحب السعادة محمد علي علوبة باشا ، وانتخبنا لرئاسة لجنة الإحياء رجلنا الذائع الصيت الدكتور طه حسين ؛ وانتخبنا لرئاسة لجنة التشجيع رجل الآداب سعادة واصف غالي باشا .

ثم رأينا أن نبلغ بتصوير المجمع المنتهى ، فرشحنا لرئاسته سعادة علي الشمسي باشا ، ورشحنا لوكالته الأستاذين الجليلين : أحمد لطفي السيد بك ، وبهي الدين بركات بك ؛ ورشحنا لسكرتاريته الأستاذ الجليل سعادة واصف غالي باشا ، ورشحنا لأمانة صندوقه الرجل الأمين صاحب السعادة محمد علي علوبة باشا ، ثم رشحنا له زمرة من الأعضاء ، كلهم نابه ، وكلهم رجل قدير .

هذا مجمل ما حدث في اجتماعاتنا التي سبقت دعوة وزارة المعارف إلى بث فكرة المجمع وإذاعتها بين الجماهير .

كيف ننتخب الأعضاء :

والواقع أنه يبدو إغراقاً مني في الهزل ، أن أطلب إلى وزارة المعارف أن تأخذ بما ارتأيناه ، فتكون مكتب المجمع من هذه الأسماء التي رشحناها ، وهي أسماء لأعلام لهم خطر وأثر ؛ فليس علينا إلا أن ندع هذا القول ، ونتوجه بك إلى قول جديد يتعلق بالأسلوب ، الذي نرى

فى السير عليه ما يوفر للجميع أعضاء لا تستطيع ألسنة الشائنين أن تتحدث عنهم ، وعن طريقة اختيارهم بسوء .

إن الشورى محببة فى كل شىء ، وليست طريقة الانتخاب إلا الطريقة المأمونة العواقب ، المحمودة المغبة ، فأرى لذلك أن تنتخب كل كلية من كليات الجامعة من يمثلها فى المجمع ، وأن تنتخب كل كلية من كليات الأزهر من يمثلها فيه ، وأن تنتخب كل جمعية علمية محترمة ممثليها . . . فاذا تم انتخابهم كان علينا أن نؤمن إيماناً صريحاً بأننا نهجنا فى تقديرنا لشخصية المجمع النهج الصحيح .

وقد يكون فى خارج الكليات ، وفى خارج الجماعات العلمية ، أناس لهم أقدارهم الممتازة ... فعلينا ألا نغمطهم حقهم ، وألا نقف فى سبيل الانتفاع بهم ، وأن نحقق لهم عضوية المجمع حتى يستطيعوا إمداده بما تتيحه عقولهم الخصبة وأفكارهم المحققة .

ولن يضيرنا فى شىء مطلقاً أن تدعم جبهة ، المجمع بجمهرة شخصياتنا الشرقية العربية الممتازة ؛ تكون من بين أعضائه المراسلين ، حتى تتوجه جهود الشرقيين كلهم إلى خدمته والبلوغ به إلى غاية الكمال .

إن المجمع العلمى متى وجد ، سيكون مظهر حياتنا فى الأجيال الآتية . . . فليكن شعارنا فى خلقه ، وفى إيجاده . . . العلم وحده . . ! !



آراء جديدة في :

السلاح والمخدر

من حديث شائق للشيخ المحترم

الأستاذ عبد الباقي عامر بدران
عضو مجلس الشيوخ المنتخب

يجمع الأستاذ عبد الباقى عامر بدران عضو الشيوخ المحترم ، بين ثقافتين : ثقافة الأزهر وثقافة الريف .

فله من ثقافة الأزهر الجوانب التى تدعو إلى وفرة الاستقراء ، وعمق البحث ، وانطلاق الذهن فى رحبات التفكير المنتج؛ انطلاقاً له أثره وخيره وخطره، وله من ثقافة الريف الجوانب التى تدعو إلى وفرة الهدوء ، وحضور الذهن ، ويقظة البديهة ، والسير مع الطبيعة الصريحة دون تصنع أو مغالاة .

ولقد استطاع بهاتين الثقافتين - مضافاً إليهما معرفة جيدة باللغة الفرنسية - أن يكون من هذه الزمرة القليلة التى تعيش فى مصر عيشة لا قلق فيها ، لأن القلق يولده الضجيج الفارغ ، والادعاء الأجوف .

وقد يجدر بنا أن نعلق على هذه الصفحة ميزة ينفرد بها شيخنا المحترم دون كثير من أنداده الأغنياء ، وهى جزيل حدبه على الأدباء ، وجم تعشقه لمجالسهم التى تجمع بين الصخب والسكون ... وله فى هذا الضرب أياد يذكرها جمع من أدبائنا الذائعين بالخير .

وإذا كنا قد تخيرنا للحديث معه هذا الموضوع الذى يتعلق بالسلاح والمخدر ، فان مناسبة القول فيه ستجعله من طبقة الأحاديث التى ترجو «المعرفة» أن يكون لها من الأثر ما يبشر بإزهاق النقص الذى يغل يد القانون عن أن تمتد باللطمة الباطشة لتسحق بها أولئك الذين يستهترون بالأرواح والأموال استهتاراً .

جو الحديث :

كنا فى منزل الشيخ المحترم ، وكانت الصحف التى أخذنا فى تلاوتها تزودنا بالأنباء التى تجدد من بحوثنا العديدة ، بما كنا نتناولها به من تحقيق وتعقيب .

ولم يكن فى جو المجلس مايدعو إلى البحث فى مسألة السلاح ، بل لم يكن أحدنا يفكر فى أن يتجه الحديث بنا إلى الخوض فيه . . . ولكن « الصحف » وحدها هى التى خلقت هذا الموضوع الشائق ، بل هذا الموضوع الحيوى الاجتماعى الدقيق ... ذلك أننا تناولنا أنباءها التى تتعلق بحوادث الإجرام ، فاذا بنا نقرأ مايقرؤه القراء كل يوم من: أنباء تتقلب بين القتل العمد ، واستلاب المال عنوة ، والسطو على المنازل فى جرأة مروعة . وما إلى ذلك من ألوان الجرائم المتعددات .

ولقد كدنا أن نطوى هذه الأنباء ، كما يطويها كل قارىء ، لنمضى إلى مايشغلنا من وجوه السياسة . . . لولا أن الشيخ المحترم الأستاذ عبد الباقى عامر بدران ، أرادنا على المكث فى صفحة الجرائم .

هنا سألته :

— وماذا عسى أن تعقب به على هذه الأنباء، وهى فى عرف قراء الصحف « كليشيهات » لم تتغير من عشرات السنين ؟ .

فأجاب :

أريد أن أعقب عليها ، وأعقب عليها كثيراً ، فقد أحصيت من هذه الجرائم أكداساً ، وتناولتها بالتنقيب حتى أتعرف ذلك « المسئول الأول » عن ارتكابها ، وأحمد الله أنى اهتديت إلى عرفانه .

فقلت : ترى من يكون ؟

فأجاب : هو السلاح ، بل قل إنه العقل الأرعن ، أو القذيفة الحمقاء ، أو القوة التى لا يصدها عن الإثم شىء .

قلت : والسلاح ياسيدى : أى جرم نستطيع أن نلصقه به ؟

فأجاب :

هذا حق ، فليس ثمة من جرم نلصقه بالسلاح كآلة ،قد تكون ــ فى يد من يستعملها استعمالا موفقاً ــ سبباً من أسباب أمنه ، ولكن الجرم كله والإثم بأكمله ، يجب أن يلصق بأولئك الذين يحملون السلاح دون ترخيص ،ويجب ــ مع ذلك ــ أن تلصق جريرة هذا الإثم بأعناقهم وحدهم .

فقلت : أتمنى لو أنك زدت القول توضيحا ، فقد انتهى بنا البحث إلى صميم مشكلة اجتماعية بالغة الأثر .

فقال : . . . وأنا بدورى أتمنى لو أنك أفسحت المجال لخيالك حتى يضع حياله ألوان الشقاء الذى يفيض على أولئك التعساء الذين يذهبون ضحية كبيرة لهؤلاء العابثين من حملة السلاح خفية... إنك لو تصورت الأم المنكوبة ، أو الوالد الثاكل ، أو الابن اليتيم ، أو الزوجة المصدورة ، لو تصورت كل هؤلاء فى شقائهم الذى هب عليهم من يد آثمة ، تحركت فى نزق وطيش لتقذف

الرصاصة إلى صدر عائلهم فتقضى عليه بعد لحظات . . . لو تصورت ذلك لأدركت ما فى حمل السلاح خفية من مضار بالغة ، ومن شر مستطير . . .

طوائف :

وأصدقك القول ، أنى درست أولئك الذين يحملون السلاح خفية ، فلم أقع بين جموعهم على رجل له ضمير ، أو يتمتع بمكانة ممتازة . وإنما خرجت من دراستى وأنا أحمل فى يدى نتيجة واحدة ، هى أن هؤلاء القوم من أحقر الناس وأضألهم مكانة ، وأكثرهم شراً .

وإنى أستطيع أن أحصى لك من طوائفهم ماتعيه الذاكرة الآن ؛ فمن بين هذه الطوائف :

ا ـ طائفة تتاجر بالسلاح ! فكيف تتاجر به ؟ إن أفرادها معروفون فى دوائرهم ، فهم يؤجرون على القتل ، وينالون من وراء ذلك المال . . وليس لهم حيال من يقتلونه ديناً ماطلهم فيه ، أو إرثاً غبنهم فى قسمته ، أو دماً ينشدون من أجله الثأر . . . ولكنهم ـ وقد أغرموا بالكسب من وراء السلاح ـ لا يتحرجون عن القتل . . وكثيراً ما قتلوا شخصاً كان قد استأجرهم من قبل وأسبغ عليهم العطاء . ! !

ب ـ وطائفة ثانية تجمع إلى نفسها كل مافى الرعونة من جنون . . . ففى أفرادها حمق ، وفيهم أنانيـة وأثرة ، حتى إذا ما ألهبوا بالنقد ، يندفع إليهم من لسان ناقد ، بل إذا ما أحسوا ـ ولو كان هذا الذى أحسوه وهما خالصاً ـ أن هناك من يتربص لهم بسوء ، عمدوا فى جنون وطيش إلى الانتقام ، وكان من شأنهم أن يجدوا فى السلاح الذى يحملونه خفية منفذاً لأغراضهم التى ولدت بنت الساعة ، والتى كثيراً ما أوحت إليهم نتائجها الوبيلة بالندم وتقريع الضمير ... فى وقت لا ينفع فيه الندم ، ولا يجدى فيه تقريع الضمير شيئاً . . . ! !

حـ ـ وطائفة ثالثة . . هى طائفة اللصوص الذين يسرفون فى استخدام السلاح إسرافاً يمكنهم من ناصية مطامعهم فى السلب والنهب ، والإفلات بما يسلبونه وينهبونه فى أمن من أعين الرقباء ، ومن أيدى المتعقبين .

ء ـ وطائفة رابعة ترى من همها أن تكون حريصة على تهديد الأمن فى أشخاص حفظته ، لأنها تستشعر فى حفظة الأمن الحرص على عناد العابثين به وأخذهم بما يجترمون ... وليست الحوادث التى تقع بين الناس قديماً وحديثاً ، إلا صورة من هذه الصور الكثيرة التى تحقق لك ماتنطوى عليه نفوس هذه الطائفة من رغبة فى إحاطة القائمين بالأمر بإطار من شرورهم وآثامهم المهلكات .

أثر الجريمة :

لقد أحصيت لك جملة من هذه الطوائف التى تحرص على حمل السلاح خفية ، وكان فى

مقدوری أن أحصى لك عديداً من الجرائم التى ارتكبوها ، ولكن هذا الاحصاء يبدو كأنه ترديد منى لحال تشهدها ،ويشهدها معك كل مصرى من عشرات السنين .... فها أنذا أترك للقراء هذا الجانب ، ليتصوروه فى أنفسهم ، وأمسك بيدك وأيديهم لأضعها على موضع الأثر الذى تتركه الجريمة .... فأى أثر هذا ؟ إنه النكبة الفادحة ، والبلاء الكبير . فهذا رجل قد قتل ولفظ آخر أنفاسه قبل أن يذكر لأهله ما له وما عليه ، وقبل أن يوصى بهم أحداً ، أو ينثر لهم دقائق حياته المالية بما فيها من تفاصيل كان يكتمها عنهم طيلة حياته . وهذا رجل آخر كان يعول أسرته من أجره الذى يتناوله حيال عمله ؛ فلما قضى عليه فى لحظات سريعة ، تنكرت حياة الأسرة ، وانقلب هدوءها إلى ما يشبه الزلزال قلقاً واضطراباً ، وهذا رجل كان يعول أسرته من معاشه فى الحكومة ، فلما قتل ، إذا بقومه يتلفتون إلى مصيرهم فلا يجدونه إلا هاوية بعيدة الغور .

بد القانون :

والآن .... أراك تسألنى : « ولم يحرص أولئك القوم على حمل السلاح خفية ؟ » إذن فاسمع : « إنهم يحرصون على حمله ، لأن العقوبة التى تلحقهم إذا ما ضبطوا به لا تستطيع لهوانها أن تردعهم عن ذلك الغى .

إن المادة الثالثة من قانون السلاح الصادر فى ٨ يوليو سنة ١٩١٧ ، تقرر عقوبة لا تزيد على ثلاثة شهور فى السجن ، أو خمسين جنيها غرامة لمن يحرز سلاحاً نارياً دون ترخيص ، وإنها تقرر عقوبة أخرى لا تزيد على أسبوع واحد فى السجن ، أو غرامة قدرها جنيه واحد على من يحرز سلاحاً من الأسلحة البيضاء دون ترخيص .

ولعلك قد لمست معى مبلغ الضعف الذى تزدحم كتائبه على ناصية هذه العقوبة السهلة ...

علاج حاسم :

قلت : وأى علاج تقترحونه إذن ؟ .

فأجاب : إننى أقترح فى كثير من الإلحاف أن يسوى القانون بين من يحرزون السلاح خفية ، وبين من يتاجرون بالمخدرات ، فينزل على أولئك مثل العقوبة التى يلحقها بهؤلاء .

بين المخدرات والسلاح :

وليس فى هذا الاقتراح من صرامة ، وليس فيه من شدة ، لأننا إذا استوعبنا الخطر الذى يلحقنا عن طريق المخدرات ، لرأيناه خطراً يكفى للقضاء عليه أن نتعقب التجار المهربين تعقيباً منظماً ... أما خطر المخدرات فى من يتناوله ، فلن يضر المجتمع فى شىء ، لأن مدمن

المخدرات يموت موتاً بطيئاً ، وكثيراً ما أتيحت له لحظات يتساوله فيها ضميره بالتقريع فيلقى بنفسه إلى السجن ، أو يذهب إلى إحدى المصحات ، رجاء منه أن يقلع عن هذا الداء . . . ثم هو إذا مات . . هل يأسف عليه أحد، حتى من أقرب الناس اليه ؟

أما خطر احتمال السلاح خفية، فإنه أروع أثراً، لأن الرجل الذى يقتل لا يذهب دمه معه ، وإنما يبقى ثائراً فواراً ، يحتم على قومه أن ينتقموا من قاتله ، فاذا بها بعدئذ مصائب لا تنتهى . وإذا بالمجتمع قد فقد نفسين : نفساً ذهبت إلى السماء ، ونفساً أخرى ذهبت إلى السجن . . . أما ما يدفعه المستقبل إلى أسرتى القاتل والمقتول ، فلن يكون إلا أن يرسل فى كل حقبة نفساً إلى السماء ، ونفساً أخرى إلى السجن ، وهكذا دواليك .

أليس من الحق بعدئذ أن نوحد بين عقوبة السلاح والمخدر ، حتى نستطيع أن نقضى على هذا الشر الكبير ؟

الى رجال القانون :

ثم قال الشيخ المحترم :

« . . هى دعوة حارة إلى رجال القانون ، أرجو أن تقرع آذانهم ، وأن تفتح عيونهم ، وأن تلهب صدورهم ، وأن تنال من تقديرهم ما يتمنى كل مصلح أن تناله من عناية .

أرجو أن يكون هذا الاقتراح قد أثار فى نفوسهم عاطفة الدفاع عنه ، والحض على بحثه . . وأتمنى مخلصاً أن يقول كل باحث كلمته فيه . . حتى إذا ما استطعنا أن نخلق له جواً صافياً بين الجمهور ، كان علينا أن نتوجه كتلة متحدة إلى القائمين بالأمر فينا ، رجاء تنفيذه والأخذ به ، والعمل فى ظله .

وليس القائمون بالأمر فينا، بأقل منا رعاية لصوالح الشعب ، وتوفير أسباب الأمن لبنيه » .

* * *

هذا هو الحديث الجامع الشائق الطلى ، وإنا لندعو – فى صدده – إلى ما دعا اليه الشيخ المحترم ، راجين أن تفسح « المعرفة » صدرها لكل باحث فيه ؟

علي أحمد عامر

المعرفة فى تونس

تطلب « المعرفة » فى تونس من المكتبة العلمية لصاحبيها ووكيلينا : السيد محمد الأمين والسيد طاهر . بنهج الكتبية رقم ١٢

وتطلب أيضاً من مكتبة الاستقامة لصاحبها السيد محمد بن الحاج صالح التميمي .

تصدير

في علم النفس

بقلم عبد العزيز الاسلامبولي
صاحب « المعرفة »

انتهت « دار المعرفة للطبع والنشر » في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٣٢ من طبع الجزء الاول لكتاب عنوانه « في علم النفس » ، وضعه الاساتذة : حامد عبد القادر ، ومحمد عطية الابراشي ، ومحمد مظهر سعيد . وقد صدر صاحب « المعرفة » هذا الكتاب بتصدير تناول فيه الكلام عن الخلاف في أمر النفس والروح وآراء الفلاسفة فيهما ، فاقتطفنا منه هذا الجزء ليطلع عليه قراء « المعرفة » الكرام ؟

— ١ —

« هذا علم من العلوم الحادثة في الملة » ، بهذه العبارة كان يصدر ابن خلدون كلامه عن كل علم استحدث بعد الاسلام حتى عصره ؛ وها أنذا أقف نفس الموقف بعد ستة قرون من ابن خلدون ، فأردد عبارته في القرن العشرين ؛ ذلك أني لم أجد أبلغ من هذه العبارة في التدليل على ما أقصد من هذا التصدير الذي أتاحه لي حضرات الأساتذة الأجلاء : حامد عبد القادر ، ومحمد عطية الإبراشي ، ومحمد مظهر سعيد ، في كتابهم الفذ النادر « في علم النفس » .

والحق أن تصدير هذا الكتاب الفذ ، قد أتاح لي أن أعود إلى ما وعاه ذهني من ذكريات أنسانيها العمل الصحفي ، بما فيه من متاعب ومشاغل ؛ تلك ذكريات تمثل جانباً من الدراسات التي أغرمت بها بحثاً وراء الحقيقة : حقيقة الإنسان ، وحقيقة الوجود ، وحقيقة الروح ، أو حقيقة النفس ؛ رجاء أن أجد لها موفقاً بين الحقائق المحسوسة ، التي تقوم على القوانين الثابتة .

وأكبر الظن عندي أن هذا الكتاب قد أيقظ في النفس الميل إلى التحدث عن النفس ، أتكون هي الروح ، أم تكون شيئاً آخر ؛ وهل لا يزال علم النفس فرعاً من فروع الفلسفة ، يستمد منها الحياة والاستقرار ، أم أصبح علماً مستقلاً يقوم على دعائم ثابتة ، شأنه في ذلك شأن العلم التجريبي ؟

— ٢ —

فأما عن « النفس » و « الروح » ، فإن المعركة الهائلة التي دارت رحاها بين الفلاسفة قديماً وحديثاً ، والتي تضاربت فيها آراء الفلاسفة تضارباً ، كانت ـ ولا تزال ـ قائمة في بعض مسائل النفس حتى الآن .

ذلك أن « سقراط » حين اتخذ هذه العبارة « اعرف نفسك بنفسك » ، التي وجدها محفورة على باب هيكل أبولون في دلفي... حين اتخذ « سقراط » هذه الحكمة مبدءاً له ، أثار من حولها عاصفة هوجاء ؛ ذلك أنه لم يكن قد حدد تلك النفس بعد ، ولم يكن يعرف أهي عصب من أعصابنا الظاهرة ، أم ظاهرة من ظواهرنا المستورة ، أهي قبس من الضوء الوهاج يوحي إلينا السعي في غير ضلال ، ويحدد لنا جملة مشاعرنا وإحساساتنا تحديداً دقيقاً ، أم هي شيء آخر ؟

لقد بقيت هذه الأسئلة وحدها تصهر عقول الفلاسفة في أتون من النار، موزعة أفهامهم من موقف صعب إلى موقف أصعب ، وهم بين هذه وتلك ينشدون الحقيقة خالصة نقية .

فإذا نحن توجهنا إلى «أرسطوطاليس» لنأخذ عنه وجوه الرأي الذي انتهى إليه، لكان علينا أن نقف - في حيرة - أمام رأيه ، ذلك الرأي الذي لا نكاد نعرف منه . إن كان يوحد بين النفس والروح ، أم يفرق بينهما ؛ فهو يقول :

« ربما خلوت إلى نفسي ، وخلعت بدني ، وصرت كأني جوهر مجرد بلا بدن ، فأكون داخلا في ذاتي ، خارجاً عن جميع الأشياء ؛ فأرى في ذاتي من الحسن والبهاء ، ما بقي له متعجباً مبهوتاً . فأعلم أني جزء من أجزاء العالم الأعلى » .

فإن دل هذا القول على شيء ، فإنما يدل على أن الفيلسوف العظيم، يعبر عن الروح بالنفس ؛ أو أنه يضيف إلى النفس ميزات الروح وخصائصها ، من صفاء ونقاء ... الخ .

وقد حاول «أرسطوطاليس» نفسه أن يوضح الفرق بين النفس والروح في ثلاث رسائل أسماها « في النفس »، بحث فيها الإنسان من جانبه العقلي الدفين ، ولكنه لم يوفق كل التوفيق؛ ذلك أن رسائله الثلاث، لم تكن قائمة على السياق العلمي المعروف اليوم، وإنما كانت مهلهلة فضفاضة.

وإذا كان « أرسطوطاليس » قد ذهب إلى الوحدة الصغرى ، باعتباره نفسه جزءاً من العالم الأعلى ، فإن « ابن سينا » شيخ فلاسفة الاسلام ، قد نادى بأكثر من هذا في قوله :

وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وهذا ما يعبر عنه « الصوفيون » أو « المثاليون Idealists » بمذهب الوحدة ، أو وحدة الوجود . وكذلك إذا رجعنا إلى « أفلاطون » أستاذ « أرسطوطاليس » ، وجدناه يقسم النفس إلى ثلاث قوى ، هي : الغضبية ، والشهوية ، والناطقة ، تصدر عن شيء رابع هو « النفس » أو الجوهر .

ولكن! هل ارتضت الأفلاطونية الحديثة هذا التقسيم ، كما ارتضت أكثر ما قال أفلاطون ؟ إنها لم ترفضه كله، ولم تقبله كله ؛ وإنما أتاحت لجانب منه أن يكون شعارها المنشود ، فقبلت تقسيم النفس إلى ثلاثة أقسام : غضبية ، وشهوية ، وناطقة ، دون أن تخوض في ذكر الجوهر .

— ٣ —

وإذا كان ذلك شأن « النفس » فى أفهام الفلاسفة القدماء ، فإن حظها فى أفهام فلاسفة الإسلام كان خيراً وأنفع أثراً ، وإن لم يخل من تعقيد وخلط فى بعض الأحيان ، فلم يسلموا — هم أيضاً — من القول بالوحدة بين النفس والروح ، كالفارابى ، وابن سينا ، والغزالى ، وابن طفيل ، وابن رشد ؛ وإن كان الغزالى قد وفق بعض التوفيق — أكثر من السابقين — إلى أن يقرر فى تردد ، أن النفس شىء ، والروح شىء آخر .

— ٤ —

ظل إذاً علم النفس يتردد هنا وهناك ، حتى جاء « فيلو Philo » الفيلسوف اليهودى ، فكان أول من فصل علم النفس (Psychology) ، وقرر بأنه ليس فرعاً من فروع الفلسفة ، كما كان معتبراً من قبل — وإنما هو علم خاص مستقل بذاته ، له قواعده وحدوده وأوضاعه — وإن لم يضعها فى عصره — ، كما قرر أنه علم دراسة الظواهر العقلية فحسب : دراسة الوصف الخارجى ، لا الباطنى أو الذاتى للكائن الحى .

لم يكن لعلم النفس إذاً ، أن يشق سبيله نحو الوصول إلى حقائق ثابتة ، لا نشك فيها ، ولا ترفضها جميع العقول ، طالما كان يجرى وراء البحث عن النفس أو الروح ذاتها ؛ والنفس شىء لا يقع تحت الحس ، فهى لا تدخل فى دائرة المحسوسات أو الملموسات ، وإذاً فلن يتفق الناس عليها .

— ٥ —

فلما أن جاء عصر النهضة العلمية الأوربية ، واهتم العلماء بطريقة البحث العلمى الذى يوصلنا إلى المعرفة العلمية الوضعية التجريبية الثابتة ، وعلى رأسهم : جاليليو ، وكوبرنيق ، وبيكون ، وديكارت ... لما جاء ذلك العصر ، ابتدأت العلوم تستقر ، وفى مقدمتها علم الفلك .

ومن بين تلك العلوم التى حاول العلماء وضعها على بوتقة البحث العلمى الوضعى : علم النفس ، فبحث فيه « ديكارت » أبحاثاً عدة ، كان لها بالغ الأثر فى تطور هذا العلم تطوراً جديداً ، وإن كان هو نفسه أخفق فى الوصول إلى دراسة صحيحة فى هذا العلم ؛ لأنه حاول أن يحدد الصلة بين النفس والجسم ، بوجود غدة فى الدماغ أسماها « Glande Pinéale » ، أى الغدة الصنوبرية .

وإذا كان ديكارت قد أخفق فى بحثه ، فإن محاولته التجريبية وجهت أذهان العلماء ، فيما بعد ، إلى انتهاج هذه الطريق ؛ فجاءت المدرسة الانجليزية وعلى رأسها : « جون لوك John locke » و « هيوم Hume » و « هملتون Hamilton » و « سبنسر Spencer » و « وليم جيمس William James » وغيرهم ، فاستطاع كل منهم أن يبسط من دقائق هذا

العلم، وأن يفتح فيه فتحاً جديداً، حتى كادوا يصلون إلى وضع جميع القواعد والأوضاع العلمية وضعاً علمياً صحيحاً.

— ٦ —

وقد أخذ العصر الحاضر ماخلفه عصر النهضة الاوربية، وزاد عليه ما اكتسبه من تجارب حديثة، ولذلك يعتبر عصر النهضة لعلم النفس؛ ذلك أن علماء النفس الآن فى أوربا وأمريكا؛ قد استطاعوا أن يصلوا إلى تجارب قيمة، معتمدين فى ذلك على طرق علمية صحيحة، مستعينين بآلات فى منتهى الدقة؛ فكان من نتائج هذه التجارب، أن وضعوا قواعد أودعوها بطون المجلدات، وعلى رأسهم: مكدوجل Mc Dougall، وريفرز Rivers، ودريفر Drever، وسلى Sully، وستوت Stout، وفرويد Freud.

— ٧ —

هذه إلمامة أذاعتها فى نفسى تلك الذكريات التى ابتعثها تصديرى لهذا الكتاب، فماذا بقى بعدئذ؟

بقى علىّ أن أصدقك القول بأن كتاب الأساتذة الثلاثة، قد هيأ لى عرفان ماكنت أجتويه من مسائل النفس جميعاً؛ فعرفنا أن علم النفس مقصور على دراسة الظواهر العقلية فحسب؛ وعرفنا أن اللغة العربية، التى زعم البعض أنها لا تتسع للمصطلحات العلمية الحديثة، قد سلس لهم قيادها، فاستطاعوا أن يقتحموا كل باب، ليثبتوا أنها كفيلة بتسجيل كل كلمة علمية تسجيلا موفقاً.

وإنه لمن شأن هذه الحال أن تدعونا إلى القول بأن هذا الكتاب هو الأول من نوعه، فيما أخرجته دور الطباعة من أسفار فى علم النفس.

ذلك أنهم كانوا أول من بحث فى: الميول، والغريزة الجنسية، ونزعة التدين، وغريزة الضحك، وعلم النفس التحليلى، والعقل الفردى، والعقل الجمعى، وعقلية الشواذ، ونفسية المجرم، وشهادة الشهود، والأمزجة والأذواق، والانفعالات، والعواطف.

ولم يكن هم الأساتذة الثلاثة متجهاً إلا إلى إذاعة كتابهم على سياق علمى دقيق، فى أسلوب سلس يفهمه القارىء العادى؛ فقد لمست جهودهم فى إخراجه، ورأيت من حرصهم على تكوينه تكويناً علمياً، ما أستطيع — فى صدده — أن أصرح لك بأنهم جابهوا الأمرين، حتى باعدوا عنه النزعة الأدبية، وأخضعوا له هذا الأسلوب العلمى الدقيق.

ولست بمصور لك حقائق الصدمات التى اعترضتهم فى ذلك، ولكنى أرجو أن أسجل — بعد استئذانهم — صدمة واحدة من هذه الصدمات، التى كانت تستنفد الوقت كله؛ فأقول لك إن اللفظة الواحدة قلما كانت تنتهى إلى عامل المطبعة، قبل أن يصهروها فى بوتقة التحقيق

الشامل صبراً ، وقبل أن يؤمنوا - ثلاثتهم - أنها كفيلة بأن تترجم عما يختلج به صدر هذا العلم الواسع من أخاليج .

وقد يبدو هذا الحرص فى عقلية الرجل العادى ، كأنه عمل تافه ، وصنيع لا عناء فيه ، ولكنك متى أدركت أن كثيراً من ألفاظ المترادفات فى اللغة العربية ، لا تستطيع أن تؤدى كلها إلى معنى واحد ، ومتى أدركت - إلى ذلك - أن هذه اللغة العربية لا تزال فى حاجة لمن يحسن استخدامها فى الأسلوب العلمى الحديث : متى أدركت هذا كله ، استطعت - فى سهولة ويسر - أن تلمس بيديك هذا العناء الذى صادفهم ، وذلك الجهد الذى أخلصوا فيه إخلاصاً جماً .

وليس هذا عليهم بكثير ، فإن أقدارهم العلمية قد هيأت لهم ذلك ، كما هيأت لهم أن يظهروا هذا الكتاب فى حلة شملت من علم النفس كل قول ، ونأت عن كل نقيصة .

— ٨ —

أما بعد ، فإنى أخرج من هذا التصدير إلى تسجيل أمرين .

أما الأول ، فهو أنى خرجت من موقف الحيرة الذى أوقفتنيه دراساتى السابقة عن النفس والروح وما إليهما ، بفضل هذا الكتاب الذى أوقفنى على سر دفين من أسرار العبارة الخالدة « اعرف نفسك بنفسك » ، والحديث الشريف « من عرف نفسه فقد عرف ربه » .

كما أتاح لى أن أدرك أن علم النفس قد تزحزح عن موقفه الجامد ، وأن هذا الكتاب يعد فتحاً جديداً فى عالم التأليف باللغة العربية ، بل إن كل صفحة من صفحاته لتعد ثروة طائلة مما تتزود به اللغة العربية ، فتدفع عنها تهمة الجمود والقصور . وأكبر اليقين عندى أنهم بلغوا الأوج ، فإن ما فى الكتاب من أسلوب علمى ، وما فيه من إسهاب نزيه دقيق ، كفيل بتحقيق ما قدمت .

فأما الأمر الثانى ، فإن فى تسجيله فخاراً « للمعرفة » أى فخار ، ذلك أن ثلاثة من كتابها الأفذاذ ، قد استطاعوا اليوم أن يقتحموا باب البحث العلمى ، بهذا الكتاب الفذ ، بل بهذه الموسوعة الضخمة .

حقق الله لهذا الكتاب من الانتفاع به ، ما يكافىء جهود مؤلفيه ؟

عن دار المعرفة فى ٣٠ أكتوبر ١٩٣٢ عبد العزيز الاسلامبولى

اللخميون فى الحيرة*

تاريخ خمسة ملوك

٢ : امرؤ القيس الاول

٢٨٨ — ٣٢٨ م

بقلم الاستاذ يوسف بك غنيمة

وزير مالية العراق السابق

امرؤ القيس البداء ، وهو ـ الأول فى كلامهم ـ وهو ابن عمرو بن عدى ، وأمه مارية بنت عمرو أخت كعب بن عمرو الأزدى (١) ، وكان يلقب ذا التاج (٢) ، ويذكر الطبرى (٣) صريحاً أنه من عمّال ملوك الفرس .

والظاهر أن الأحوال السياسية أتت ملائمة لمدّ سلطانه وتوسيع ملكه ، فإنه حكم على خروج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ (٤) ، ومن أعماله أنه أخضع قبيلتى أسد ونزار وملوكهم ، وهزم مذحج ، وقاد الظفر إلى أسوار نجران مدينة شمر وأخضع معداً ؛ ونظراً إلى هذه الغزوات والفتوحات دعى بحق ملك العرب كلهم ، ولما بلغ هذا الشأو العظيم من النصر والظفر دبر إدارته بحكمة وحزم ، واستعمل بنيه على القبائل ، وانابهم عنه لدى الفرس والروم (٥) .

لا ريب فيما ارتأيناه من ملاءمة الأحوال السياسية ، وانها هى التى روجت امتداد سلطانه ؛ فنظرة واحدة إلى وضع الدولة الفارسية تحت لواء حكمه تُثْبت قولنا ، فبعد وفاة بهرام الثالث تنازع العرش ابناه : نرسى وهرمز ، وانتهى النزاع بانتصار نرسى ؛ ثم أثار الحرب على دقليانس ، فاشتبكت الفرس والروم فى القتال ، وانجلت الحرب عن اندحار نرسى ، وظفر الروم سنة ٢٩٧ م ، وكانت شروط الصلح ثقيلة الوطأة بترت من ملك الساسانيين كوراً كثيرة ،

* راجع القسم الأول من هذا البحث فى العدد الماضى من « المعرفة » .

(١) حمزة الأصفهانى ص ٦٦ و ٦٧ (٢) زيدان : العرب قبل الاسلام ص ١٩٧ (٣) الطبرى ٢ : ٦٤ و ٦٥ (٤) زيدان : تاريخ الآداب العربية ١ : ٢٨ والكتابة الضريحية التى تجدها بعد هذا (٥) سايكس : تاريخ بلاد فارس ١ : ٤٤١

وكانت هذه الفتنة وخيمة العقبى على نرسى ، انتزعت منه العرش والتاج سنة ٣٠١ ، أو ٣٠٢ م. وبعد أن تنازل نرسى عن العرش خلفه ابنه هرمز ، وكان حريصاً على انتعاش العدل فى بلاده ، ولم يعرف شىء عن سياسته ، ولكنه لم يقم بأى عمل لاسترجاع ما فقده والده من بلاد وسيطرة فمات سنة ٣٠٩ [1] قبل أن يولد ابنه سابور ذو الأكتاف ، ولما ولد نودى به ملكاً وهو طفل فى مهده ، وبقيت الدولة الساسانية ملازمة خطة الدفاع كل مدة حداثة سابور حتى بلغ السادسة عشرة من عمره سنة ٣٢٥ ، وقد طمع فيها جيرانها وغزاها عرب البحرين ، والحساء ، والقطيف ، والديار المجاورة ، مما حدا بسابور ذى الأكتاف أن ينكّل بالعرب بعد بلوغه سن الرشد تنكيله المعروف المشهور فى التاريخ ، وقد عرف امرؤ القيس كيف يستغل موقف الساسانيين ويواليهم ، فعظم أمره ، وقويت شوكته على العرب .

ولم تكن الأحوال السياسية أقل ملاءمة لامرىء القيس بن عمرو فى بلاد الروم ، إذ قامت هناك الفتن الداخلية وانصدع حكم القياصرة ، وتنازع السلطان أكثر من إمبراطور واحد ، فاعتلى العرش ستة قياصرة فى آن واحد سنة ٣٠٦ م ، ونشبت حروب القياصرة آنئذ فكانت خمس حروب فى ١٦ سنة [2] ، وتطورت حال النصرانية بصدور مرسوم ميلان سنة ٣١٣ م ، إذ اعتبر هذا المرسوم النصرانية مساوية الوثنية ، وزادت الاضطرابات فى بلاد الروم بين النصارى بظهور بدعة أريوس ، حتى التأم مجمع نيقية المسكونى سنة ٣٢٥ م [3] .

كل هذه الأحوال فى بلاد فارس ، وبلاد الروم تعلّل تبسط امرىء القيس بن عمرو فى الحكم ، وامتداد سلطانه حتى وافاه داعى الحمام وهو فى نمارة فى بلاد الصفا . وقد عثر الرحالة (دينه دوسو) على كتابة ضريحية هناك تدل على قبر هذا الملك فى بلاد حوران ، وهى بالخط النبطى الجميل محفوظة اليوم فى متحف (اللوفر) فى باريس ، وهى بالعربية المشوبة ، ولخطورتها التاريخية ننقلها إلى العربية الفصحى وهى [4] :

(١) هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذى تقلّد التاج .
(٢) وأخضع قبيلتى أسد ونزار وملوكهم وهزم مُذحج إلى اليوم ، وقاد
(٣) الظفر إلى أسوار نجران مدينة شمر وخضع معدا واستعمل بنيه ،
(٤) على القبائل وأنابهم عنه لدى الفرس والروم ، فلم يبلغ ملك مبلغه ،

---

(١) الطبرى ٢ : ٦٥ (٢) شارل سنيوس : العادية الرومانية ٣٣٤ (٣) كذلك ص ٣٣٧ .
(٤) إليك هذه الكتابة الضريحية بالعربية المشوبة كما وجدت :
ا — تى نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو اسد التاج .
ب — وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذ حجو عكدى وجاء .

(ه) إلى اليوم . توفى سنة ٢٢٣ فى يوم ٧ بكسلول ، وفق بنوه السعادة .

إن تاريخ وفاته المذكور أعلاه فى الفقرة الخامسة من القبرية ، وهو سنة ٢٢٣ هو تاريخ تقويم بصرى عاصمة حوران ، يقابله فى التاريخ الميلادى سنة ٣٢٨ ، وهى سنة وفاة هذا الملك بحوران ، أما ٧ بكسلول فيقابله – على رأى جرجى زيدان [١] – ٧ أيلول وعلى رأى شيخو [٢] ٧ ديسمبر (كانون الأول) .

قبل أن نختم حياة امرىء القيس البدء ، نقول إنه أول من تنصر من ملوك آل نصر اللخميين بشهادة المؤرخين العرب ، كالطبرى ، وابن خلدون [٣] كما بحثنا فى ذلك فى الفصل الذى عقدناه فى « أديان أهل الحيرة » فى هذا الكتاب ، ولكن لم نعثر على من ذكر خبر هذا التنصر من المؤرخين الآراميين ، واليونان ، واللاتين ، ولكننا لا نشك فى رواية العرب فى هذا الباب ، لما كان من انتشار النصرانية فى هذه النواحى من العراق ، وبين قبائل عرب اليمن ، كما أن النصرانية فى بلاد الروم دخلت فى عهد جديد من الزهو والازدهار ، وميل قسطنطين إلى النصرانية دين أمه ودخوله فيها فى آخر عمره [٤] ، وقد قال أحد المحدثين [٥] فى تنصّر امرىء القيس : إنه خالط الرهبان والنصارى فى العراق والشام وقدّمهم فتمكنت فيه الديانة النصرانية فتنصّر ، ونشر النصرانية فى قومه ، وحمى دعاتها ونصرهم مدة حياته .

٣ : عمرو الثانى

٣٢٨ – ٣٧٧ م

تولى مملكة الحيرة عمرو الثانى ابن امرىء القيس البدء بعد وفاة أبيه ، وكانت أمه مارية البرية أخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسان على ما رواه المسعودى [٦] ، وقيل : هند بنت كعب ابن عمرو [٧] ونشأ هذا الاختلاف فى اسم أمه من اختلاف روايات المؤرخين ، وقد اختلف الرواة أيضاً فى مدة حكمه ، فالطبرى [٨] وابن الأثير [٩] قالا إنه حكم ٣٠ سنة . أما المسعودى [١٠]

حـ – يزجور (؟) فى جبح نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه .

ء – الشعوب ووكله لفرس ولروم ؛ فلم يبلغ ملك مبلغه .

هـ – عكدى هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولدة .

(١) العرب قبل الاسلام : ص ١٩٧ (٢) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ص ٤١١ (٣) الطبرى ٢ : ٦٥ العبر ٢ : ٢٦٣ (٤) شارل سنبوس : العادية الرومانية ص ٣٣٢ وما بعدها (ه) الأعظمى : تاريخ ملوك الحيرة ص ٢٧ (٦) مروج الذهب ٣ : ١٩٩ (٧) حمزة الاصفهانى ٦٧ (٨) تاريخه ، : ٧٢ (٩) الكامل ١ : ١٥٨ (١٠) مروج الذهب ٣ : ١٩٩ .

فقال ٢٥ سنة ، وعلى رواية حمزة الأصفهانى [١] ٦٠ سنة . وجعل كوسن دى برسفال [٢] مدة حكمه ٣٥ سنة ، ونظراً إلى الرواية التى اعتمدنا عليها [٣] فيكون حكمه ٤٩ سنة .

ومما يؤسف له أن التاريخ لم يزودنا بأخبار الحوادث التى تمت فى مدة حكمه الطويلة، ك أنها نادرة جداً عن أيام خليفتيه: أوس بن قلام العمليق وامرىء القيس الثانى ، وهذه الحقبة تمتد من سنة ٣٢٨ إلى ٤٠٣ ، أى نحو ثلاثة أرباع القرن .

فسكوت التاريخ عن عهد عمرو بن امرىء القيس يدلنا على أن الرجل كان حازماً محنكاً بأحوال السياسة، إذ لبث واجماً يدبر شئون بلاده بحكمة وسداد رأى ، فى عهد الطاغية سابور ذى الأكتاف الذى نكّل بالعرب والمسيحيين على السواء .

٤ : أوس بن قلام

٣٧٧ — ٣٨٢ م

تبوأ عرش المناذرة أوس بن قلام بن بطينا بن جميهر بن لحيان العمليق [٤] فى فترة من اللخميين ، ويقال إن السبب فى توليته ملك الحيرة، أن أولاد عمرو بن امرىء القيس تنازعوا فيما بينهم ملك أبيهم بعد موته ، فقامت الفتن على ساق وقدم ، واضطرب حبل الأمن فى تلك الديار ، وكثر النهب والقتل ، فأقام سابور ذو الأكتاف أوساً ملكاً على الحيرة وعزز بالقوة والجيش ، فضرب على أيدى أولاد امرىء القيس وأخرجهم من الحيرة واستتب الأمن فيها .

فلم يرق هذا الأمر أولاد عمرو بن امرىء القيس وأصحابهم ، فتربصوا الفرصة للإيقاع بأوس واسترجاع الملك من هذا الدخيل ، فثاروا بأوس بعد حكمه خمس سنوات، وقتله جحجبا بن عتيل من بنى فاران . وقال ابن الكلبى :وهو فاران بن عمرو بن عمليق ، وهم بطن بالحيرة، يقال لهم بنو فاران وجحجبا منهم ، فرجع الملك إلى آل بنى نصر ، وملكهم امرؤ القيس بن

---

(١) تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ص ٦٧

(٢) كوسن دى برسفال: تاريخ العرب ٢ :٥٣ (٣) زيدان : العرب قبل الاسلام ١٩٨

(٤) العمالقة : قبيلة من العرب العاربة البائدة ، وهم بنو عمليق ، ويقال عملاق بن لاوذ ابن إرم بن سام بن نوح ، وهم أمة عظيمة يضرب بهم المثل فى الطول والجثمان ، قال الطبرى وتفرقت منهم أمم فى البلاد ، فكان منهم أهل المشرق ، وأهل عمان ، والبحرين ، والحجاز وكان منهم ملوك العراق ، والجزيرة، وجبابرة الشام ، وفراعنة مصر(عن القلقشندى : كتاب نهاية الأرب ص ١٣٠) .

عمرو بن امرىء القيس ، وذلك فى عهد أردشير ملك الفرس [١] ، وقال الطبرى [٢] قتل أوس حجحجنا بن عتيك بن لخم .

وذكر القرمانى [٣] أن بعد عمرو بن امرىء القيس ملك أوس بن قلام العمليق ، ثم ملك آخر من العماليق ، ثم رجع الملك إلى بنى عمرو بن عدى نصر بن ربيعة وملك منهم امرؤ القيس ، ولكن لم نقف على ذكر هذا العمليق الثانى ، الذى يلمع إليه القرمانى فى المصادر العديدة التى بين أيدينا .

٥ : امرؤ القيس الثانى

٣٨٢ – ٤٠٣ م [٤]

ويعرف بالبدن والمحرق الأول

ملك امرؤ القيس بن عمرو بن امرؤ القيس الكندى بعد قتل أوس بن قلام ، وقيل سمى بالمحرق الأول ؛ لأنه أول من عاقب بالنار فى هذه الدولة ، وكان ظالماً عاتياً فى عقاب أعدائه، ويذهب حمزة الأصفهانى [٥] إلى أن الأسود بن يعفر ذكر المحرق الأول فى شعره القائل :

ما ذا أؤمّل بعد آل محرّق ... تركوا منازلهم وبعد إياد
أهل الخورنق والسّدير وبارق ... والقصْر ذى الشرفات من سنداد [٦]

حكم إحدى وعشرين سنة وثلاثة أشهر [٧] ، ولم يرو لنا التاريخ عنه غير هذا . ؟

يوسف غنيمة

[بغداد]

---

(١) حمزة الأصفهانى ص ٦٧ (٢) ٢ : ٧٢ . (٣) أخبار الدول وآثار الأول ص ٢٤٠ .

(٤) جعل كوسن دى برسفال حكمه من سنة ٣٦٨ إلى سنة ٣٩٠ ، واعتمدنا نحن فى هذا التاريخ على جورجى زيدان فى كتابه (العرب قبل الاسلام) والسنوات التى أثبتناها تقارب ما يقوله حمزة الأصفهانى : إن امرأ القيس حكم خمس سنوات فى زمن سابور بن سابور ، « وكان بدء حكم سابور سنة ٣٨٢ ، أو ٣٨٣ وانتهى سنة ٣٨٨ » ، وإحدى عشرة سنة فى زمن بهرام (٣٨٨ – ٣٩٩) ، وفى زمن يزدجرد بن سابور خمس سنين (٣٩٩) . وعليه ينتهى حكمه سنة ٤٠٣ م ، أو حوالى ذلك .

(٥) ذكر سنى ملوك الأرض والأنبياء ص ٦٧ .

(٦) شعراء النصرانية ٤٨١ .

(٧) ذكر الطبرى أن مدة حكمه ٢٥ سنة .

المحاكاة أو التقليد

بقلم الأستاذ محمد عطية الأبراشى

أستاذ التربية واللغات السامية بدار العلوم والتربية والاخلاق بكلية أصول الدين وعلم النفس بكلية الحقوق

في هذا البحث القيم عن « المحاكاة أوالتقليد » ما يدل على دقة الأستاذ الإبراشى فى البحث ، وما يدل مع ذلك على تيسيره للنظريات المعقدة تيسيراً يقرب القراء منها ويحببهم إلى تلاوتها ، وليس هذا بالعمل الجديد على الأستاذ الإبراشى ، فإن بحوثه التى يلقيها من منابر الصحف حيناً ، ومن منابر الكليات التى يدرس فيها حيناً آخر ، إنما تجمع إلى العمق الطلاوة ، وإلى الدقة الرقة ، وإلى الإمتاع النفع الجزيل .

المحرر

ينكر (مكدوجل) أن المحاكاة غريزة من الغرائز؛ لأنها لا تصحب بانفعال وجدانى ، ويرى أنها ميل فطرى فى الإنسان يدعوه إلى تقليد غيره فى أفعاله وأقواله ، وحركاته وسكناته ، قصداً أو من غير قصد . فالطفل يقلد بطبيعته كل ما يحدث فى البيئة التى تحيط به ، حسناً كان أو قبيحاً ، فهو يحاكى من لهم به صلة من حيث لا يشعر ولا يشعرون ؛ ويتعلم اللغة بمحاكاة من يعيشون معه ، ويتعلم الحركة والمشى والآداب العامة بالمحاكاة . وهو فى العادة يحاكى الشيء المحبوب لديه ، أما المقلَّد فيجب أن يكون نموذجاً حسناً حتى لا يترك أثراً سيئاً فى الطفل ؛ فالوليد يقلد اللغة التى يسمعها ، ويردد الألفاظ التى تقال له فى المنزل أو المدرسة أو الشارع أو الملعب ؛ لذا يجب أن يرى الطفل أحسن مثل ، وأن يعود المحاكاة فيما يحسن من الأمور ، لا فيما يقبح منها .

وللتقليد أثر كبير لا فى التعليم فحسب ، بل فى التربية العقلية أيضاً ، وهو عامل رئيسى فى المرحلة الأولى لتكوين العادة ؛ فالطفل يرى الشيء يفعل أمامه فيحاكيه ويكرره حتى يصبح عادة له . ويختلف الأطفال كثيراً فى قوة المحاكاة لاختلافهم فى النزعات والقوى الجسمية : فالطفل النشيط ، القوى الجسم ، أسرع فى محاكاة الحركات من الطفل الخامل الضعيف . وهناك أطفال يشعرون بأنفسهم ويثقون بها ، ويحبون الاستقلال فى عملهم ؛ وأمثال هؤلاء لا يتأثرون بغيرهم فى المحاكاة ، كما يتأثر ضعاف النفوس من الأطفال ، الذين يحبون أن يخطوا خطوات غيرهم فيقلدوهم فى كثير من الأمور .

ويتبين أثر التقليد فى التعلم والتعليم إذا نظرت إلى الفرق بين تفهيم الطفل كيفية المشى بالحادثة والتكلم ، وبين رؤية الطفل طفلا آخر يمشى فيحاول تقليده فى ذلك . فتفهيمه المشى لايعلمه المشى ، ولكن بالمحاكاة والتجربة يستمر حتى يعتاد المشى ؛ فالتقليد له أثره فى الأمور العلمية التى تحتاج إلى مهارة ، وهو الوسيلة التى بها تكتسب المهارة فى كثير من الأعمال كالألعاب الرياضية ، والخط ، والرسم ، والتمثيل ، والخطابة .فهو يساعد على التعلم ، لأننا نلاحظ أولا ما يفعل أمامنا ، ثم نحاول تقليده بقدر المستطاع . وليس معنى ذلك أننا لابد من أن ننجح فى تقليدنا لأول مرة ؛ لأننا قد نفشل فى المحاولة الأولى ، وننجح فى الثانية مثلا ، وليس التقليد مقصوراً على الأطفال ، ولكنه موجود بين الكبار أيضاً .

أنواع التقليد :

أما أنواع التقليد ـ مرتبة حسب ظهورها فى الطفل ـ فخمسة ، هى[1] :

١ ــ التقليد المنعكس .

٢ ــ التقليد التلقائى .

٣ ــ التقليد الاختيارى أو المقصود .

٤ ــ التقليد التمثيلى .

٥ ــ التقليد الأعلى .

ولنشرح كلا منها فنقول :

١ ــ التقليد المنعكس : هو أول نوع يظهر فى الرضيع منذ الولادة ؛ فهو يبكى عادة حينما يؤلمه شىء ما ، وقد يبكى من غير ألم ، لا لسبب إلا لأنه يسمع ويرى وليداً آخر يبكى فيبكى مثله . ومن أمثلة التقليد المنعكس بين الكبار أنك تتثاءب حينما يتثاءب غيرك ، ولو لم تكن هناك حاجة إلى التثاؤب .

٢ ــ التقليد التلقائى أو الانبعاثى : وهو المرحلة الثانية من أنواع التقليد ؛ ولا يظهر عادة قبل أن يبلغ الوليد الشهر السادس من العمر ، ويختلف عن التقليد المنعكس فى أنه ليس مقصوراً على الأفعال المنعكسة التى يقلدها الطفل ، فقد يسمع الطفل كلمة من الكلمات فيحاول تقليدها من تلقاء نفسه ولو بالتقريب ؛ وقد يراك تصفق بيديك أو تهز رأسك ، فيفعل كما تفعل من غير قصد ، وهو مجرد تقليد ، وكثيراً ما تجد الناس فى المجتمعات يقلد أحدهم الآخر من

(١) انظر كتاب : علم النفس التعليمى لفريزر ص ٦٢ ـ ٦٤

غير تفكير فى السبب و الغرض من العمل الذى يقوم به . والتقليد التلقائى هو الأصل فى تعلم اللغات أثناء الطفولة . فالطفل يقلد اللهجة التى يسمعها من تلقاء نفسه .

٣ — التقليد المقصود : كأن يقلدك الطفل فى نطق كلمة من الكلمات ، او كتابة حرف من الحروف ، أو فى عمل من الأعمال قصداً لأجل التعلم مثلا ؛ ويظهر هذا النوع من التقليد فى السنة الثانية أو الثالثة من العمر . والفرق بين التقليد المقصود، والتقليد التلقائى : أن الأول تقليد لغرض خاص ، وأما الثانى فتقليد من غير غرض مقصود .

٤ — التقليد التمثيلى : وله أثر كبير فى حياة الأطفال ؛ ويظهر من السنة الثالثة إلى السابعة من العمر . ويلعب التخيل دوراً كبيراً فى هذا النوع من التقليد ؛ كالطفل يتخذ العصا حصاناً يركبه ويسوقه ، والكرسى سيارة فيركبه ويخاطبه كأنه يخاطب سيارة . وقد يقلد أباه، و أمه أو الطبيب أو الخادم فى كثير من أحوالهم ومظاهرهم .

٥ — التقليد الأعلى : وهو آخر أنواع التقليد ظهوراً ، ولا يبدو أثره حقيقة إلا فى حال البلوغ و المراهقة ؛ فالغلام فى هذه السن يقلد مايراه من الأمثلة التى تركت أثراً كبيراً فى نفسه ؛ ولهذا السبب يجب أن يستمر التعليم المدرسى حتى بعد مرحلة البلوغ ، فلا يحرم الشاب الفرصة فى غرس المثل العليا فى نفسه ليعمل للوصول إلى الكمال فى المستقبل . والفتيان يميلون الى أن يقلدوا اولا بعض المثل العليا التى تحيط بهم فى بيئتهم ؛ وبعد ذلك يرجعون إلى التاريخ والأدب فيحاكون الأبطال والأدباء ؛ وهنا الفرصة سانحة أمام المربى لتشويق الطلبة إلى دراسة حياة عظماء الرجال ، من : علماء ، ومخترعين ، وفنيين ، وسياسيين ، وأطباء ، وأدباء ، وقادة ، حتى يتسع المجال أمامهم فيختاروا ما يشاءون .

وليس معنى ذكر أنواع التقليد مرتبة بالكيفية السابقة ، أن الأنواع الأولى تموت بظهور الأخيرة ، بل تستمر كل هذه الأنواع فى الإنسان مدى الحياة ؛ ففى الشاب — مثلا — تجد كل أنواع التقليد .

وأرق أنواع التقليد التقليد لغرض معين ؛ وكلما كان الغرض حياً كان التقليد حسناً — كما فى حالة العزم على محاكاة نموذج من النماذج المستحسنة ، محاكاة وفق الأصل — ؛ أما النموذج الذى يحاكيه الأطفال فيجب أن يكون واضحاً حسناً حتى تسهل محاكاته . وعلى المربين أن يذكروا دائماً أن الأطفال يلاحظونهم ويقلدونهم فيما يقولون وما يفعلون من حيث لا يشعرون ، فيجب ان يظهروا دائماً المثل الأعلى أمامهم ، حتى يكونوا خير قدوة يقتدى بها . وأقل أنواع المحاكاة : المحاكاة فى الأفعال التى يظهر فيها الشعور والمشاركة الوجدانية . ؟

محمد عطية الابراشى

الغريزة الجنسية

بقلم الأستاذ حامد عبد القادر

أستاذ علم النفس والتربية بكلية أصول الدين

ربما يكون التوسع فى بحث الغريزة الجنسية وليد العصر الحاضر. وإن الفضل فى دراستها واعطائها حقها من العناية ليرجع إلى الدكتور سجمند فرويد الذى يعد بحق أبا علم النفس التحليلى وواضع حجره الاساسى والمشيد لبنائه.

وليس ببعيد أن السابقين من علماء النفس كانوا على علم بهذه الغريزة. ولكن الحياء منعهم من ابداء آرائهم، ومواجهة الجمهور بها. أما الآن - وقد أصبحت دراسة هذه الغريزة أمراً عاديا، وأدرك جميع علماء النفس - على اختلاف مذاهبهم - مبلغ آثارها فى الحياة العقلية بناحيتها الظاهرة والباطنة - فانى أرى أن الوقت قد حان لنا لمعرفة هذه الغريزة وفهم أسرارها - فإننا نقدم لقراء «المعرفة» وصفا عاماً لهذه الغريزة - وبيانا لآثارها متبعا فى ذلك رأى فرويد على الأخص فأقول: -

هذه الغريزة من أشد الغرائز تعقداً؛ إذ أنها تشمل جميع الوجدانات والأعمال التى لها علاقة بالاختلاط الجنسى، أى باتصال الذكر بالأنثى من أى نوع من الأنواع الحيوانية.

فالتقرب من الأنثى ومغازلتها وخطب ودها، وحب الاختلاط بها، وبناء الأعشاش والبيوت، وحماية الزوج والأولاد، والقيام بشئونهم - كل هذه الأعمال وما أشبهها راجعة إلى هذه الغريزة. وإن منزلة هذه الغريزة، من الوجهة الاجتماعية، لتظهر لك فى أن كثيراً من المشاكل الاجتماعية، والأمراض العصبية يرجع إلى ذلك النزاع المستمر بين هذه الغريزة، وبين القوانين الاجتماعية التى تحول دون ظهورها.

فاذا بلغ ذلك النزاع أشده، فمعناه أن تلك الغريزة نمت وأصبحت قوية بحالة خارجة عن حد الاعتدال، وهذه القوة ترجع فى الغالب إلى المغالاة فى إرضاء هذه الغريزة، ثم محاولة قمعها دفعة واحدة دون تمهيد لذلك.

وقد أثبتت التجارب أن قوة هذه الغريزة أو ضعفها، يرجع إلى زيادة أو نقص فى مواد خاصة تفرزها بعض الغدد الداخلية؛ ولا يبعد أن يأتى يوم يمكن فيه قياس الرغبات الجنسية بمقدار تلك المواد المشار إليها.

والعنصر الوجدانى الملازم لهذه الغريزة ، هو انفعال حي يشعر به كل من الذكر والأنثى نحو الآخر . والغاية العملية التى ترمى إليها فى الظاهر، هو اختلاط الشخصين ، وتعهد كل منهما الآخر بالحفظ والعناية ؛ ولكن الغاية الحيوية منها هى الاحتفاظ بالنوع ، ولذا ترى الخليطين يعنيان بأطفالهما عناية كل بالآخر .

ومن هنا ترى أن الغريزة الجنسية متصلة بغريزة الأبوة أو الأمومة اتصالا تاماً بحيث لا يمكن وضع الحد الفاصل بينهما ؛ فعمل الأعشاش ، وبناء البيوت ، والدفاع عن الحريم ، يرجع إلى كل من الغريزتين . ولذا يستحسن أن تسمى هاتان الغريزتان « الغريزة التناسلية » ؛ إذ أن الغريزة الجنسية تمثل الدور الأول للغريزة التناسلية ، وغريزة الأبوة تمثل الدور الثانى لها ؛ والغاية منهما واحدة : وهى التناسل ، والاحتفاظ بالنوع .

ويعضد هذا الرأى القائل بتوحيد الغريزتين : (١) أن العنصر الوجدانى فى كل منهما هو المحبة ، (٢) أن علم النفس التحليلى يقول : إن المحبة المتبادلة بين الشاب والفتاة ، أو بين الأب وابنته ، أو بين الأم وابنها ، محبة جنسية مختلفة الوجهة .

وإنا نشاهد أن من السهل قمع هذه الغريزة على قوتها ومعارضة مطالبها أحياناً للقانون الاجتماعى . وأن حياة الانسان حياة سلام ووئام فى بيئته تتوقف ـ إلى حد كبير ـ على حسن توجيهها .

ولذا نرى أن جميع المجتمعات ـ مهما كانت منزلتها من الحضارة ـ تعنى بهذه الغريزة وتضع ـ لتنظيمها أو إخضاعها ـ طائفة صالحة من القوانين تعززها التقاليد والعادات والعقائد القومية .

وربما يكون من أهم المشاكل التى تصادف كل أمة متمدينة ، تنظيم نزعات هذه الغريزة ، بحيث تصل إلى الغاية الحيوية التى ترمى إليها ، دون أن يحدث ذلك ضرراً اجتماعياً لتلك الأمة ، أو تأخراً فى الثقافة الأدبية والخلقية التى وصلت إليها .

رأى فرويد .

يرى (فرويد) الطبيب النمساوى ، والعالم النفسى الشهير : أن الغريزة الجنسية مصدر جميع الغرائز ، بل جميع الدوافع التى تحمل الانسان على العمل ، وهو يعزو جميع الأحلام ، وجميع الأمراض العقلية ، والعلل العصبية ـ مهما كان نوعها ـ إلى عدم إرضاء هذه الغريزة .

بل إنه يقول : إن جميع الأعمال العقلية مرتبطة بالغريزة الجنسية ، وإن خفيت علينا العلاقة بينهما . ويقول فوق ذلك : إن جميع الرغبات الظاهرة والمكبوتة التى تشغل ناحيتى العقل الظاهرة والباطنة ، وجميع أنواع المحبة ، سواء أكانت للأم أم للزوجة أم للزوج ، ترجع إلى الغريزة الجنسية .

والخلاصة : أن هذه الغريزة – فى رأى فرويد – هى الباعث الحيوى الوحيد الذى تنشأ عنه جميع البواعث التى تدفع الانسان إلى العمل. وهى تظهر – فى رأيه – بعد الولادة، وتلازم الانسان طول حياته . و(فرويد) لا يدلى برأيه هذا دون أن يبرهن عليه ، ولكنه يقيم عليه البراهين التى قبلها أتباعه ، ورفضها معارضوه ، فمن هذه البراهين : –

١ – ما يرى من ميل الطفل إلى امتصاص أصابعه ، وتعلقه بأمه ، أو حاضنته ، أكثر من تعلقه بأبيه ، وغيرته على أمه من أبيه ، وميله للاستئثار بها .

٢ – ما يلاحظ من أن الأطفال يحبون الاختلاط بالبنات ، وتمثيل الحياة الزوجية فى عهد الطفولة .

٣ – ما يشاهد من أن معظم الفنون الجميلة تدور حول المسائل الجنسية ، فالأغانى معظمها مجونية، وجميع الآداب مفعمة بالقصص الجنسى . وأغلب الروايات غرامية ، وللرسم والتصوير اتجاه كبير نحو الأمور الجنسية .

٤ – ما هو شائع بين الناس من أن جرى الرجل وراء المرأة أو العكس ، – كان ولا يزال – مصدر كثير من الأخطار الاجتماعية، ولذا يقولون إذا حدث حادث جلل : « ابحث عن المرأة » .

٥ – ما هو معروف من أن الغرض من كثير من القوانين الشرعية والوضعية هو تنظيم الحياة الزوجية ، وإيقاف الغريزة الجنسية عند حد معقول .

٦ – ما قد ثبت بالتجارب من إمكان مداواة جميع الأمراض العقلية والنزلات العصبية بعلاج جنسى .

هذا بالاختصار هو رأى (فرويد) وأتباعه ، الآخذ فى الانتشار فى أوربا وأمريكا . وأكبر معارض له هو الأستاذ (وليم مكدوجل) الذى ينقد رأيه ، ويبرهن على أن ما يقوله (فرويد) صحيح من بعض الوجوه ، أى إذا طبق على الأشخاص غير العاديين، الذين تقوى فيهم هذه الغريزة وتخرج عن حدها.

وأكبر حجة له على ذلك: هو أن البراهين التى يدلى بها (فرويد) ليست عامة، ولكنها خاصة تصدق على بعض الأفراد ، فلا يمكن أن تتخذ أدلة قطعية يثبت بها قانون علمى يقينى . فالمسألة – كما ترى – خلافية لا تزال رهينة البحث ، ولكن النصر – حتى الآن – لا يزال فى جانب (فرويد). فلننتظر حتى تنتهى المعركة ، وتبرهن الأيام على صحة أحد الرأيين .

الغريزة الجنسية والفنون :

وإنا – مع انتظار القول الفصل – لا ننكر أن للغريزة الجنسية السيطرة فى عالم الوجدان ، وأعظم الآثار فى عالم الفنون الجميلة . وها نحن أولاء نتكلم عن علاقة هذه الغريزة بالفنون الجميلة فنقول : —

من الملاحظ أن هناك علاقة متينة بين هذين الأمرين ؛ فالعاشق يحسن الكتابة الفنية ، ويجيد الشعر ، ويتقن الرسم والتصوير ، ويبدع فى الضرب والعزف والغناء ، وينبغ فى الرقص والتمثيل وتأليف الروايات . وقد لوحظ أن الفنان – وهو أعزب – أقدر على إتقان الفن منه بعد أن يتزوج .

آراء العلماء فى تعليل هذه العلاقة : –

وللعلماء فى تعليل هذه العلاقة آراء : —

١ – فمنهم من يقول : إن هذه الفنون من مظاهر الغريزة الجنسية ، وتتخذ وسيلة للتقرب من المحبوبة ، دون أن يشعر المحب بذلك ؛ فهى فى الأصل واسطة ووسيلة ، ولكنها تصبح غاية فى ذاتها .

٢ – وهناك من يقول : إن هذه الغريزة تثير فى النفس عواطف ورغبات وميولا نحو أشياء غامضة غير محدودة ، وتمد الجسم بطاقة عصبية قوية . ومن حيث إن اتجاه هذه الغريزة لا يكون محدوداً ، فإن هذه الرغبات – معززة بتلك الطاقة – تنصرف إلى الفنون الجميلة ؛ وتعضدها فى ذلك التقاليد الاجتماعيـة . وإنما تنصرف تلك الرغبات إلى الفنون الجميلة ، لأن هذه أقرب مُرَوِّض لتلك ، وأشد شبهاً بها لاتصالها كلها بعالم الجمال ، وارتباطها بعالم الوجدان والعاطفة .

٣ — ويقول فريق ثالث : إن الطاقة العصبية التى هى من آثار الغريزة الجنسية ، لا تستنفد جميعها فى سبيل إرضاء هذه الغريزة، ووصولها إلى غايتها ، فيبقى جزء منها يصير مدداً للقوة التى تستخدم فى الفنون أولا ، ثم فى أعمال عقلية أخرى لا علاقة لها بالغريزة الجنسية ثانياً .

وهذا هو رأى (فرويد) وأتباعه القائلين بأن منشأ الطاقة العصبيـة كلها هو الغريزة الجنسية التى يُرجعون إليها جميع الأعمال العقلية ، وجميع أنواع السلوك الانسانى .

عصر ظهورها :

يقول (فرويد) : إن هذه الغريزة تظهر بعد الولادة ، ويستدل بميل الوليد أو الطفل إلى أمه أو حاضنته دون أبيه ، وبالغبطة والسرور اللذين يظهران على وجهه عند التقام ثدى أمه ؛ أو

امتصاص إصبعه أو إصبع أمه ، حتى فى غير أوقات الجوع ، وبغير ذلك من الأعمال التى قد تكون من آثار هذه الغريزة ، ولكن الأستاذ (مكدوجل) لا يوافق (فرويد) على هذا الرأى، محتجاً بأن ليس لدينا من الأدلة ما يبرهن على أن تلك الميول وذلك الشعور بالسرور الآنف الذكر ، من مظاهر الغريزة الجنسية . وإن فقد الخجل الجنسى – فيما قبل الثامنة – قد ينهض دليلا على انعدام هذه الغريزة قبل تلك السنة .

فالرأى عند (مكدوجل): أن الغريزة الجنسية لا تظهر إلا حوالى السنة الثامنة، حيث تظهر على الولد أو البنت آثار الحياء، والخجل الجنسى ، وحيث تقع من الأطفال أعمال تدل على أن هذه الغريزة فى حال يقظة ؛ أما قبل تلك السنة ، فإنها تكون فى حال نوم عميق ؛ وما الأعمال التى ينسبها (فرويد) إلى هذه الغريزة فى عهد الطفولة الأولى ، إلا ناشئة عن أسباب (فسيولوجية) لا علاقة لها بالتفكير ولا بالشعور الجنسى ؛ فالطفل يلذ له التقام ثدى أمه – مثلا – لما يناله من لذة وسرور، لا لشعوره بأنها أنثى وهو ذكر .

وفيما بين الثامنة وسن المراهقة تستمر هذه الغريزة فى النمو ، وتقوى تدريجياً تبعاً لنمو اعضاء التناسل. وفى هذه المدة تظهر على الولد آثار هذه الغريزة واضحة جلية، ويبدأ تعلقه بالاناث إلى حد ما .

ومن حيث إن أعضاء التناسل لا تنضج قبل المراهقة ، فمن المضر جداً أن يستخدم الأولاد أو البنات أعضاءهم التناسلية ، قبل نضجها لأغراض جنسية ، أو يحرضوا على القيام بأعمال من هذا القبيل ، لأن التجارب قد دلت على أن كثيراً من العادات الجنسية القبيحة ، التى ينشأ عليها الأولاد بعد البلوغ، ترجع إلى سوء استعمال اعضاء التناسل فيما قبل .

فعلى المربين وضع هذه الحقيقة نصب أعينهم ، ومراقبة أولادهم فى تلك المدة ، مع توخى جانب الحكمة والحزم ، حتى لا يفهم الأولاد أنهم مراقبون من هذه الناحية .

وعند البلوغ يتم نضج أعضاء التناسل ، فتبلغ هذه الغريزة أشدها ، فتحمل المرء على السعى فى قضاء مطالبها ؛ ولذا تكون حياته فى خطر، ويصبح فى حاجة شديدة إلى حسن القيادة ، والتزويد بالأفكار الصالحة ، وتعود العادات الحسنة التى تكبح جماح هذه الغريزة ، وتهدىء من ثائرتها .

ومن هنا نرى الحكمة فى حث الدين الإسلامى على الزواج ، وتفضيل التبكير على التأخر فيه ؛ لأن فى إرضاء هذه الغريزة بالطرق المشروعة حفظاً للأخلاق والآداب، وتقوية للنسل ، وحثاً على السعى فى طلب الرزق .

وقد قال (فرويد) بحق : إن إرضاء هذه الغريزة بالطرق المعقولة لمن أسباب تنمية الجسم والعقل ، وتقويم الأخلاق ، وتقوية المواهب الإنسانية على العموم. أما كبتها أو سوء قيادتها، فيؤدى – ولا محالة – إلى اضطراب عصبى، وأمراض عقلية قد يصعب علاجها ، وتكوين عادات سيئة قد يكون من المستحيل التخلص منها . ؟

حامد عبد القادر

مذكرات خاصة

(٥) تجاربي في الحيـــــــاة (*)

بقلم الاستاذ أسعد لطفي حسن

بلغت الثانية عشرة من عمري وانتقلت إلى القاهرة ، وبها مقر أهلي من أمي ؛ وكان لزاماً على أن أعيش مع بعضهم ، فأقمت في إحدى الدور ، وكان بها من أبناء أهلها فتيان وفتيات لا يخلو الحال من درس أخلاقهم والبحث في تكوينهم النفسي ؛ وقد مكنتني قرابتي لهم وصلتي بهم من التعمق في درس حالهم ؛ فكنت وأنا طفل مراهق أستطيع المكث في مجلس السيدات وأحضر أحاديثهن ، وأدرس أحوالهن ، كما مكنتني سكينتي وهدوئي من الوجود في مجتمعات الرجال .

وإن أحسن ما أذكره عن تلك الفترة : سيادة الحياء وسلطان الأدب ، فقد كان لهما النفوذ المطلق في البيئات المصرية ؛ لأنه مفروض أن يكون الأب سيد العائلة ، له السيادة المطلقة ؛ ومن حقوقه أن يطيعه الجميع ، وكان الفرباء في الغالب يحتفظون بهذه المرتبة ، ولا يفرطون فيها ، ويحافظون عليها ، وكانت لهم الكلمة العليا ، ولا سيما إذا كانوا القدوة الحسنة ، يستعملون الحكمة في تصرفاتهم ، فلا يتشددون وقت التساهل ، ولا يفرطون وقت الشدة ، يتهيبهم أبناؤهم ويحفظون لهم مكانتهم ، حتى إذا ما دخلت بيتاً من بيوت الأسر ، رأيت أهله في سكون واحتشام يرفرف الوقار عليهم ، يتسابقون في إكرام الضيف ، والترحيب بالقادم ، ويتبسطون مع زائرهم ، ويعظمون مائدهم ، لا تسمع في أحاديثهم لغواً ، ولا باطلا ، يبدأ مجلسهم ويختتم بذكر الأدب ، حيث يكون الرجال في أماكنهم والنساء في خدورهن ؛ فكانت الكرامة والعفة والشمم أجمل ما تتحلى به الدور . كان الولد لا يجلس في مجلس أبيه إلا إذا أذن له ، ومع ذلك لا يقسو والده عليه ، ولا يحرمه حقوقه ، ولا يغلظ له القول ، ولا يهزأ برأيه ، بل يعظمه ويحترمه ويشركه معه في رأيه ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض يتسامرون ويتباحثون ويتناقشون ، لا يملي الوالد إرادته على ولده ، وإنما روح الاحترام هي التي توحي إلى الولد معاملة أبيه ، وروح الشفقة والرحمة والحبة هي التي تدفع الأب إلى إعزاز ولده ، لهذا

(*) راجع « المعرفة » ج ٩ و ١١ و ١٢ من السنة الاولى و ج ٥ من السنة الثانية .

كان فى الدار التى أقمت فيها أب وأولاد ثلاثة ، عمر الأب فوق الخمسين. كله كانت الحياة الأسرية: مشاركة فى الاهتمام، وتبادلا فى الاحترام ، ورابطة فى الخير، وجامعة للألفة والمحبة ، وليست هى - كما يتوهم بناء الجيل الحاضر - حجراً على الحرية ، واستبداداً فى الرأى، حتى كنت تجد رفع الكلفة بين الأب وأبيه مباحاً ، لكل منهما إتيان ما يرضيه فى مجلس الآخر -

وكان لأكبر الأخوة المكانة والمهابة عند الآخرين ، وكان الجميع يزايلون البيت فى الصباح بعد أن يتساءلوا عن بعضهم بعضاً ، ويتقابلوا لتطمئن خواطرهم ، ثم يعودوا جميعاً فى وقت واحد ليجتمعوا إلى مائدة واحدة ، ويتقاسموا الواجبات من مواساة لمرضى أو تعزية فى موتى ، أو مشاركة فى أفراح ، وإذا انصرف بعضهم إلى تلك الواجبات استبقوا واحداً منهم لاستقبال الزائرين ، ولأداء الواجب نحوهم . وأجمل ما يسر الخاطر تلك الروابط الوثيقة بين الأهل والأقارب والأصدقاء ، فإنهم كانوا يقضون أوقات فراغهم فى التزاور ، وكانت الدور عامرة بأهلها ، لا يجلس على المقاهى - فى النادر - إلا السوقة والعامة ، وأما دور الفجور والخمور ، فقد كانت فى حيز العدم .

أذكر هذا وأوازنه بالحاضر، تغيرت حال المنازل أولا ، وأصبحت الدور الكبيرة تضم فى طبقاتها المتعددة أسراً كثيرة من طبقات مختلفة بينها فوارق شديدة ، وقد يقيم الساكن ويبرح محل إقامته دون أن يتعرف من معه، وربما تضم البناية الواحدة خليطاً من الأجناس ، وقد يندس بينهم بعض من لا خلاق له ، وربما أصاب بعضهم همّ أو غمّ فيحضر لمواساته من أقصى المدينة من يعرفه ، أو بعض أهله ، ولا يشاركه أحد من جيرانه ؛ وفى هذا تفكك الرابطة وانفصام عرى التآلف والتعارف، وقد جرّ هذا وراءه عدم المجاملة. فقد يفقد أحد السكان بعض أعزائه ، فيعلو صراخ النساء، وعويل الأطفال، حيث تسمع الحاكى (الفونوغراف)، أو صوت الموسيقى، وفى هذا من قلة الذوق وعدم المبالاة ما فيه من قسوة القلوب ، وتحجر الأفئدة، وانعدام عاطفة المجاملة ، وربما نزلت بأحدهم نازلة فيستغيث وما من مغيث ، وقد ضاعت الشهامة ، والمروءة . . تلك نوازل وكوارث حلت بالآداب والعادات الشرقية ، فكانت علة شقاء الأسر وسبب تدهورها ، وتفكك عروتها ، وضياع مهابتها، وفى ظلال الحرية المكذوبة ، وباطل الادعاء بها تجرأ الصغير على الكبير ، وتعاظم الحقير على الأمير ، فضاعت حكمة التفضيل والتعظيم ، ولا أعنى بذلك فى جامد قديم أطلب استبداد المماليك ، واستعباد الصعاليك ، وإنما أندب مكانة كل فرد، وأرجو وقوف كل عند الحد ، واحترام الصغير للكبير ، وإشفاق الكبير على الصغير ، لأن من الواجب على الكبير احترام الصغير ، كما يجب على الصغير توقير الكبير ، وواجب الجميع الاحتفاظ بكرامة بعضهم بعضاً .

فى ذلك الحى الذى نزلت بدار أهلى فيه، كان العم ابراهيم بائع (البليلة) ، والحاج عثمان بائع القصب،وأم يوسف بائعة الكراث والبصل الأخضر والفجل ، وغير هؤلاء من الباعة ، ولى مع كل واحد منهم موقف لابد من ذكره،ولى معهم جميعاً ملاحظات شتى فى شئون حياتهم العامة.

لاحظت أن المصرى أشد الناس قناعة،وأبذلهم لجهوده وقوته فى سبيل الحصول على قوته برأس مال قليل جداً،يطلب العيش ويسعى طول يومه ليحصل على ما يسد به رمقه راضياً مرضياً.

راجعت نفسى مرة وأنا أذكر أنها كانت جبارة قاسية؛حيث كنت أشترى بمليمين (بليلة) من (عم ابراهيم) فيملأ لى وعاءه الذى أعد الكثير منه لطلاب البليلة وأصحاب الملاليم، فكنت أطلب الزيادة،وكان يشجعنى على ذلك باقى صغار الحى الذين يحيطون به ويطرب لأصواتهم المختلفة ونغماتهم (زَوِّد) ياعم ابراهيم ،وهو مسرور جد السرور بإقبالهم عليه ومنشرح الصدر لاستهلاك بليلته،وأنا أحدث نفسى بأن مجموع ما فى القدر لا يتجاوز القدحين من القمح أو الذرة ، وأنه يساوى من الثمن القرشين أو الثلاثة على الأكثر،ومصاريف (المستوقد) نصف القرش،وثمن السكر لا يزيد على القرشين . أمام هذه التجارة التى لا يتجاوز رأس مالها الخمسة قروش يجلس (عم ابراهيم) ويقضى نصف نهاره،وأسعد أيامه أن يربح مايوازى رأس المال،أى خمسة قروش طول النهار، وهو عائل لزوج وأولاد ربما يتجاوز عددهم الخمسة من فتيان وفتيات ؛ وكان هانئاً سعيداً جد السعادة . وقد تطفلت على حياته ببحثها ، فوجدته يستأجر قاعة فى إحدى الدور القريبة منه، وفيها يقيم مع أولاده على حصر،ينامون بالليل ويجلسون بالنهار عليها، سعداء بما هم فيه من عيش هو أحلى ما يشعرون به . وكنت أجد تعاوناً واخلاصاً إذ لا تغفل الزوجة عن إرسال أحد أولادها إلى أبيه فيجلس مكانه حيث لا تفوته الصلاة ، ولا تضن عليه بالطعام فتبعث إليه به حتى لا يضيع وقته فى الذهاب والعودة لعمله ، وهكذا كانت حياة عم ابراهيم حياة الرضا والقناعة .

أما الحاج عثمان بائع القصب فكان أمره عجيباً جداً، فهو شيخ فوق الخمسين إلا أنه كان كبير النشاط، كثير الحركة، يحمل فوق كتفه مجموعة القصب،وينادى فى سكون الليل والمطر يهطل (سليم ياقصب)،وأذكر فى ليلة ليلاء ممطرة جادت السماء فيها بوابل من المطر،والناس فى دورهم حول المواقد يتدفئون،والحاج عثمان وحده فى الطريق،وكنا جلوساً فى البيت،فسمعناه ينادى فأجمعنا الرأى على إنقاذه ، وأسرعت إليه وساومته على شراء ما معه،فتمسك بطلبه لأنى قدرت له بضاعته بأقل من قيمتها، فزهد فى البيع وهم بالانصراف إذ قال: « لا أرضى بالخسارة والرزق على الله » ، فهدمت جملته عزة تمسكى،وتراجعت فى قولى وأجبته إلى ما طلب،وقد رجوته البقاء معنا حتى الصباح فشكرنى وقال« أولادى فى انتظارى ولو فى طلعة الفجر » ،وتسلم منى ثمن القصب

وقال « الحمد لله » وحملت القصب إلى جماعتى ، وقصصت قصته عليهم ، وكان حديثنا خاصاً به.
هذا الرجل على فطرته مملوء ثقة بنفسه،عامل قدر استطاعته،لم ينس الله فهو معتمد عليه ،ولم يفكر فى غير أولاده.وما كان لشيطان الهوى من سلطان عليه ،ولم تنصرف نفسه إلى الشر .
وأعجب من أمره أن (أم يوسف)بائعة الفجل والكرات كانت زوجته،تشتغل هى بدورها فى النهار، إذ تبرح دارهامبكرة إلى الغيط، فتحمل فجلها وكراثها وبصلها وتبيعه للناس ثم تعود بربحها إلى دارها وقد عهد إليها الحاج عثمان بشئونه،فتكون قد أحضرت معها الطعام فتهيئه وتعده،فيكون الحاج عثمان قد ترك الدار ليستحضر القصب،وريثما هو يحمله إلى البيت يجدها قد أعدت له الطعام ،بينايكون أولادهما قد عادوا إما من الكتاب أو من المصنع الذى يشتغلون فيه ، أو من بيت المعلمة التى كانت ابنته تتعلم عندها خياطة الملابس ،ويجلس الأبوان والأولاد حولهما كالهالة حول القمر ، ثم يودعهم الحاج عثمان ليبيع قصبه ويعود إليهم بربحه ، وقد تمكن ذلك الأب الجد والأم العاملة من تربية أولادهما تربية صحيحة ، وساعدتهما عناية الله فكان أكبر الأولاد (الأسطى محمود النجار صاحب ورشة للوبليات) ، وكان الثانى (المعلم حسن صاحب ورشة للرخام) ، وقد أخذا قسطهما من الحياة وعرفا بالجد والنشاط والاستقامة ، فصاهرهما أمين افندى الموظف بمصلحة السكة الحديد ، والحاج عبد الفتاح التاجر بالغورية ، وهكذا أوجد العمل الصالح والصدق فى المعاملة والإخلاص والوفاء عائلة أخذت مركزها تحت الشمس ونسيت شظف العيش ، وجعل الله للحاج عثمان وأم يوسف قرة عين لهما فى الحياة الدنيا ، وقد توافاهما الله ، فوفدا عليه فى دار الخلد ، وقد قابلا نعمته ومنته بالحمد والشكر . وشيعت جنازة كل منهما عند دفنها بمشهد من أهل الفضل والمهابة والوجاهة ، وختمت حياتهما بالأعمال الصالحات . وقد كنت متتبعاً أخبار تلك الحياة فوجدتها المثل الصالح ، وتعارفت بالولدين الصالحين ، وتعاملت معهما ، وقد ورثا عن والديهما الأمانة والاستقامة . وكانت تجارتهما رابحة ، وتضاعفت ثروتهما وهما فى حياء وتواضع ، لم تلعب الحياة وزهوها برءوسهما،بل كانا يتحدثان بنعم الله ويفخران بما أوصلهما إليه من الخير،ويضربان به الأمثال. جالست أكبرهما – وقد طاب المقام – فطفق يسرد حقائق أمرهم دون تغيير أو تبديل ، وهو فخور بكسب ماله بالجد والنشاط ، معجب بأنه سرى من أبناء الفقراء ، واستخلص عباراته – كمجرب – بأن سر هذا النجاح العظيم هو عدم الاغترار بالنعمة والانقلاب السريع ، إذ كان هم أبيهم المحافظة على الآداب ، والعمل على القيام بما يرضى الله الذى أنعم عليهم بالتمسك بالدين والتحلى بفضائله. وقد كانت آخر كلمة له « يا أولادى ! لا تغتروا بما أنتم عليه من نعمة ، فتنسوا الذى أنعم عليكم فيسلبكم ما أعطاكم ، حافظوا على مرضاته واعملوا بما يرضيه، ولا تنسوا طعم الفقر ، بل اذكروا الفقراء دائماً ، وآتوهم مما آتاكم الله » ، « وهذه

عبارة حفظناها ونرجو أن يدوم توفيقنا» ، فدعوت الله لهم بالخير والبركة ، وقلت لهم إن مما يضاعف الثروة ويبارك فيها أداء فريضة الزكاة .

ذلك أن الزكاة فى الاسلام هى أساس تضامن المسلمين والرباط المتين للإخاء والمحبة. فهى تغرس فى قلوب السراة والأغنياء عواطف الرفق والرحمة والشفقة ، وتجعلهم يحسون آلام الجوع والحاجة والمسغبة ، فيذكرون إخوانهم فى الانسانية ، ويشركونهم فيما يدفع عنهم غائلة الفاقة ، ويغرس فيهم الحمد والشكر لمن أنعم عليهم. فينمو السلام والوئام. ويموت الحقد والحسد. ولما فرط فيها المسلمون تفشى فيهم داء الضغينة، وانتشرت شهوة الاغتيال والانتقام. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

كنت أتوق إلى المكث قليلا بمحل تجارة ذينك الشابين الهادئين ، لأنى مقت المناهى والتسكع عليها. وأحرص على عدم ضياع وقتى على كراسيها. وكان ذلك المحل فى حى وطنى ، كانت لى فيه مشاهد كثيرة ، منها ما يدعو للحسرة والأسف ، من إغراق عامة الباعة فى الكذب والحلف الباطل . فإنك لترى بائع الترمس ينشره أمام أعين الناس وهو وهم يعرفون أنه الترمس ولكنه ينادى ؛ أنه لوز ـ يا لوز يا ترمس ـ فماذا يريد من هذا التضليل إلا ما تعوده وتناقله من هذه التسمية. وهى خديعة منه ولسامعيه وللعامة. وخرافة مفضوحة ينسبونها إلى الشيخ اسماعيل الإمبابى القائم ضريحه على النيل؟ ومثلا العنب ـ « زى بيض اليمام ياعنب » . « أبيض من القشطة وأحلى من الحلوى » ... وكثير من هذه الصغائر التى يتلهى عنها العقلاء. وهى فى الواقع مقياس للأخلاق ، وإن قال قائل إنه نوع من المباهاة أو تحلية بضاعة ، ولكنه تعويد على الكذب والغش يتدرج بالباعة إلى أحط المواقف. ودليلنا على ذلك حلفهم الكاذب فى تقدير الثمن والمساومة فيه ، إذ يجيبك عند سؤاله كم الثمن ؟ ؟ بثلاثة أو أربعة أمثاله . وإذا راجعته يغلظ لك الأيمان . فإذا عرضت عليه ما تقبله من الأسعار. وتمسكت به وهو ربع ما قدره وبدأت فى الإعراض عنه ، رضى وقبل متذرعاً بالضرورة ؛ معتمداً على خيانته فى الوزن. فينتقص لك القدر الذى اتفقت معه عليه. فإذا راجعته وأظهرت خيانته تطاول عليك. ولا تجد من يرقه عند حده. وبذا فقد العامة كل ناحية من نواحى الأمانة والذمة والشرف. وهجروا الفضيلة ولم يعرفوا من الدين غير اسمه ، إذ لو عرفوه ما وقعوا فى هذه التهلكة . افتقروا فى الأخلاق وابتعدوا عن الإيمان فضلوا سواء السبيل، ولو كانوا قليلا لهان الأمر، ولكنهم العامة من بائع ومشتر ، وكلاهما يسرف فى الحلف الكاذب والتهويش والتضليل . وقد يستخدم الكثير منهم الطلاق يميناً حاسمة يلقيها ولا وازع له من نفسه إن كان صادقاً وكاذباً. ولا مراجع له إن كان يعاشر زوجه وهى طالق منه. ولا محاسب ولا رقيب عليه إن كان يفتح منها دريه من حلال أو سفاح، وضل منهم من يتصدرون للفتوى بصحة الطلاق أو بطلانه. وهم شر من أهل الضلالة والتضليل. اللهم رحمة بهذه الأمة الهاربة من اهلها والمهملة من المسئولين عنها .

أسعد لطفى حسن

الأخلاق عند أفلاطون

بقلم الاستاذ يوسف كرم
مدرس الفلسفة بالجامعة المصرية

١ ـ القانون الخلقي والطبيعة

م — لما كان أفلاطون قد ميز بين العقل والحس والنفس والجسم [1]، فقد ميز فى الأخلاق بين اللذة والألم من جهة، والخير والشر من جهة أخرى.

وأعلن الحرب على أصحاب اللذة من السوفسطائيين وتلاميذهم، ونقد مذهبهم من جميع جهاته، وأقام مذهبه الخاص: فكان أول مذهب جامع عرّف للانسان قدره وبصّره بغايته وبالوسائل إليها من طريق العقل الصرف.

كان هؤلاء السوفسطائيون يعلمون البيان وأساليب الغلبة فى المحاكم والمجالس الشعبية، لا يقصدون إلا إلى هذه الغلبة من غير نظر إلى الحق ولا اكتراث للعدل، فاصطنعوا نظرية تخلى الآخذ بها من حكم الضمير، وتطلق لدلمه ودهائه العنان فى سبيل شهواته. وتتلخص هذه النظرية فى معارضة القانون بالطبيعة، وقد عرضها أفلاطون فى أقوى صورها وأبعد نتائجها [2]، ثم فندها تفنيداً. قالوا إن القانون الذى يخشاه الناس إنما هو من وضع الناس لا من وضع الطبيعة، بل إن الطبيعة تعارضه وتأباه، فبحسب الطبيعة: الأمر الأقبح هو الأخسر، والأخسر تحمل الظلم؛ وبحسب القانون: ارتكاب الظلم هو الأخسر الأقبح. ولقد نشأ هذا التباين من أن القانون سنه الضعفاء والسواد الأعظم بالإضافة إلى أنفسهم، وابتغاء مصلحتهم الخاصة فرموا إلى تخويف الأقوياء وصدهم عن التفوق عليهم، وذهبوا إلى أن كل تفوق قبيح ظالم، وأن الظلم يقوم بالذات فى إرادة التسامى على الآخرين. ولكن الطبيعة تقدم الدليل على أن العدالة الصحيحة تقضى بأن يتفوق الأحسن الأقدر، فترينا أن هذا هو الواقع فى كل موطن: فى الحيوان والانسان، فى المدن والأسر، وأن علامة العدالة سيادة القوى على الضعيف، وإذعان الضعيف لهذه السيادة.

الكل يطلب السعادة وهل يستطيع أن يعيش سعيداً من يخضع لأى شىء كان قانوناً

---

(١) راجع مقالاتنا عن افلاطون فى أجزاء «المعرفة»: الثاني والثالث والرابع من سنتها الحالية

(٢) انظر محاورة غورجياس والمقالات الاولى والثانية والثالثة والتاسعة من الجمهورية

أم إنساناً ؟ إلا أن العدالة والفضيلة والسعادة ـ على حسب الطبيعة ـ : أن يتعهد الانسان في نفسه أقوى الشهوات ثم يستخدم ذكاءه وشجاعته لإرضائها مهما تبلغ من القوة مع تظاهره بالصلاح لإسكات العامة والانتفاع بحسن الصيت . ولا يتسنى هذا لغير الرجل القوى [1]؛ لذلك نرى العامة تعنف الذين تعجز عن تقليدهم ، لتخفى بهذا التعنيف ضعفها وخجلها منه ، وتعلن أن الإسراف عيب، محاولة أن تستعبد من ميزته الطبيعة من الرجال ، وتشيد بالعفة لقصورها عن إرضاء شهواتها الإرضاء التام ، وبالعدالة لجبنها وقعودها عن عظائم الأمور ، ولو صح ما تقول من أن السعادة في الخلو من الحاجات والرغائب ؛ لوجب أن ندعو الأحجار والأموات سعداء .

ب ـ هذه دعاوى السوفطائيين ، فلنسألهم أولا : أليس يتفق مع الطبيعة أن الكثرة أقدر من الفرد ؟ فإن كانت الكثرة هي التي فرضت القوانين ، فهي الأحسن من حيث إنها الأقدر وقوانينها حسنة حسب الطبيعة لأنها قوانين الأقدر ، وإن كانت ترى أن العدالة تقوم في المساواة ، وأن الظلم أقبح من الانظلام ، فرأيها مطابق للطبيعة ، وإذن فلا تعارض بين الطبيعة والقانون .

ولنسألهم ثانياً : من هو الأحسن الأقدر ، الذي يتمدحون به ؟ وهل هاتان الصفتان متلازمتان ، أم يمكن أن يكون إنسان حسناً مع كونه ضعيفاً ، وأن يكون إنسان قوياً رديئاً معاً ؟ مهما تقلب المسئلة فلا محيص عن التسليم بأن الأحسن هو الأحكم في عمله الخاص ـ أياً كان هذا العمل ـ وأن الحكيم ـ بالإجمال ـ الملتزم جادة القصد والاعتدال؛ وفي السياسة بالخصوص : من يحقق الاعتدال في نفسه ويضبط شهواته، قبل أن يحكم الآخرين والإساءات حاله وحالهم جميعاً.
ولنتصور رجلهم الأقوى هذا الذي يقيمونه مثلا أعلى ـ وقد بلغ إلى قمة السلطان ـ فصار طاغية سكيراً، متهتكا مغضاباً ، لا يردعه وازع من ضميره، ولا خوف من الناس ، ولا تشتهي نفسه حتى تنال من اللذات أصنافاً وألواناً ـ هل هو سعيد ؟ كلا ! بل إن حياته مخيفة تعسة؛ فإن جزء النفس الذي تقوم فيه الشهوات لا يعرف القصد ، ولكنه يميل بطبعه إلى الإسراف ، ولما كان الاشتهاء ألماً من الحرمان، كان إنماء الشهوات لأجل إرضائها عبارة عن تعهد آلام في النفس لا تهدأ ، وكانت حياة الشهوة موتاً متكرراً ، مثلها مثل البرميل المثقوب تصب فيه ، فلا يمتلىء ، أو مثل الأجرب لا يفتأ يحس حاجته لحك جلده ، فيحك بقوة فتزيد حاجته إليه ويقضي حياته في هذا العذاب ، أو مثل مدينة رعاعها هائجة مائجة ، أو مثل مسخ متعدد الرءوس ، وسبع جائع تمزق الشهوات نفسه وتتغذى بلحمه ودمه ، وهو لا يملك فكاكاً منها بعد أن ارتمى بين أيديها عبداً

---

[1] نكاد نقول « الانسان الاعلى » فإن (نيتشه) ـ هذا السوفطائي الكبير ـ لم يبتكر من النظرية المشهورة عنه غير هذا اللفظ كما يرى القارىء ، و « لا جديد تحت الشمس »

وضحية ؛ هذا المخلوق لا يمكن أن يحبه الناس ولا ترضى الآلهة عنه ، بل لا تمكن معاشرته ، فلا يذوق لذة الصداقة ، فهو شقي للغاية ؛ والدولة التي يحكمها أشقى الدول.

ح — فلا تقل : إن السعادة تقوم في الشهوة القوية وفي اللذة بالاطلاق، ولكن قل: إن من اللذات والآلام ما هو حسن وما هو ردىء ، وإن الانسان أسعد في النظام منه في الاسراف، ولو اتبعنا حساب أصحاب اللذة - بشرط أن نجيد وضع القواعد ونضبط الحساب - لوجدنا أن الحياة الفاضلة هي أيضاً ألذ حياة ، أما القواعد فهي أننا نطلب اللذة ونهرب من الألم ، وأننا لا نرغب في حال بين بين ، ولكننا نؤثرها على الألم - وأننا نختار ألماً يعود علينا بزيادة من اللذة، ونرفض لذة ينجم عنها زيادة من الألم ، ولا نكترث للذة وألم متعادلين ؛ وأما الحساب فندخل فيه عدد اللذات والآلام ومدة كل منها وقوته - ونحن نطلب حياة ترجح فيها كفة اللذة بعد اعتبار الشروط المتقدمة، لا حياة ترجح فيها كفة الألم، فان هذه مرفوضة نؤثر عليها حياة تتعادل فيها الكفتان ، فاذا نظرنا إلى الفضائل وأضدادها من هذه الوجهة، وضاهينا بين حياة العفة والحكمة والشجاعة من ناحية ، وبين حياة الشره والحمق والجبن من ناحية أخرى ، رأينا الطائفة الأولى تمتاز بخفة الانفعال ، وضعف اللذة والألم ، ولكن اللذة فيها أغلب وأدوم من الألم ، في حين أن الألم أغلب وأدوم في الطائفة الثانية (١) ، فالكفة راجحة في الفضيلة إلى جهة اللذة ، وفي الرذيلة إلى جهة الألم ، والقائلون باللذة لا يقدرون مرمى قولهم ، ولا يدرون ما يريدون ، يطلبون السعادة وفق الطبيعة ، فتنكل بهم الطبيعة شر تنكيل ، وتؤيد القانون الذي يسخرون منه .

وما ذلك إلا لأن القانون مستخرج من الطبيعة مفهومة على حقيقتها ، وهي تضطر الناظر في السيرة الانسانية أن يعدل عن اللذة إلى المنفعة ، وأن يحكم على الأولى بالثانية ، فيقر أن من اللذات ماهو حسن، أي نافع ، وما هو ردىء ، أي ضار ، وأن من الآلام ما هو حسن نافع ، كتعاطي الدواء ، وتحمل العلاج ، وما هو ردىء ضار ؛ وأن اللذات والآلام الحسنة هي التي تطلب ، واللذات والآلام الرديئة هي التي تتقى ، وأن النافع ما يجلب الخير ، والضار ما يجلب الشر ، والمنفعة التي توسم بالخير هي التي تكمل الشيء وفق حقيقة هذا الشيء ، والضرر الذي يوسم بالشر ، هو الذي ينتقص الشيء ، أو يقضي عليه ، فإن كل شيء يقوم بالنظام والتناسب ، فإذا ما اختل النظام فقد الشيء قيمته و « فضيلته » ، وأن الذين نسميم أخياراً وأشراراً يحسون اللذة والألم على السواء ، فليس الأخيار أخياراً باللذة ، بل بالخير ،

---

(١) هذا الحساب ذكره أفلاطون في المقالة الخامسة من « القوانين »، وسنورد له حساباً من نوع آخر، فهو قد سبق أبيقور وبنتام والنفعيين أجمعين ، وزاد عليهم أن أقام هذه الحكمة التجريبية المتواضعة على أساسها العقلي ، فرفع النفع الى مستوى الفضيلة كما سيأتي .

وليس الأشرار أشراراً بالألم ، بل بالشر ؛ وكما أن الكيفية التي تحدث في الجسم عن النظام والتناسب تدعى الصحة والقوة ، فإن النظام والتناسب في النفس يسميان القانون والفضيلة .

٢ : الفضيلة

ا — الفضائل ثلاث تدبر قوى النفس الثلاث : الحكمة فضيلة العقل تكمله بالعلم والحق ، والعفة فضيلة القوة الشهوانية تلطف الأهواء فتترك النفس هادئة والعقل حراً ، ويتوسط هذين الطرفين الشجاعة ؛ وهي فضيلة القوة الغضبية تساعد العقل على الشهوانية ؛ فتقاوم إغراء اللذة وخوف الألم — والحكمة أولى الفضائل ومبدؤها جميعاً ، فلولا الحكمة لجرت الشهوانية على سليقتها وانقادت لها الغضبية ، ولو لم تكن العفة والشجاعة شرطين للحكمة تمهدان لها السبيل وتتشرفان بخدمتها ما خرجنا عن دائرة المنفعة الى دائرة الفضيلة ؛ إذ « ما الهرب من لذة لنيل لذة أعظم سوى عفة مصدرها الشره ، وما خوض الخطر لاجتناب خطر آخر سوى شجاعة مصدرها الخوف ، ليست الفضيلة هذه الحسية النفعية التي تستبدل لذات بلذات وأحزاناً بأحزان ومخاوف بمخاوف ، كما تستبدل قطعة من النقد بأخرى ، فان النقد الجيد الوحيد الذي يجب أن نستبدل به سائر الأشياء هو الحكمة ؛ بها نشترى كل شيء ونحصل على كل الفضائل ؛ أما الفضيلة الخالية من الحكمة والناشئة عن التوفيق بين الشهوات فهي فضيلة الرقيق » [١] ، فالفضيلة إذن من جنس العقل والنفس ، ولا يسوغ أن نذكرها إلا بالاضافة إليهما ؛ والحياة الفاضلة لا تستمد قيمتها من لذتها أو منفعتها ، بل من هذه الاضافة ، ويمتنع على من ينكر النفس والعقل أن يبلغ إلى معنى الفضيلة .

ب — وإذا ماحصلت هذه الفضائل الثلاث للنفس ، فخضعت الشهوانية للغضبية ، والغضبية للعقل ، تحقق في النفس النظام والتناسب ؛ ويسمى أفلاطون حالة التناسب هذه بالعدالة ، باعتبار أن العدالة بوجه عام إعطاء كل شيء حقه ؛ فليست العدالة عنده فضيلة خاصة ، ولكنها حال الصلاح والبر الناشئة عن اجتماع الحكمة والشجاعة والعفة .

وأما العدالة الاجتماعية ، فهي تحقيق مثل هذا النظام في المجتمع ؛ فإن الرجل الصالح في نفسه صالح بالضرورة في علاقاته مع الناس ، والعكس بالعكس ، وتستتبع العدالة الاحسان تاماً شاملا ، فلا نحدها بأنها الاحسان إلى الأصدقاء والاساءة إلى الأعداء ، لأن الاساءة إساءة للنفس أولا ؛ فالذي يقابل الشر بالشر يفقد عدالته ، ويزيد الشرير شراً ، فتنتج

(١) عن محاورة « فيدون » ص ٦٨ .

العدالة عكسها من الناحيتين ، وهذا محال ؛ أتسمع إلى سقراط يتحدى السوفطائيين ويقلب آيتهم رأساً على عقب حيث يقول : « أنا لا أشتهى ارتكاب الظلم ولا تحمله ، ولكن إذا وجب الاختيار فأنا أختار الثانى » ، « وأنا أنكر أن يكون منتهى العار أن أصفع ظلماً ، أو أن تقطع أعضائى ، أو أن أسلب مالى ، وأدعى أن العار يلحق المعتدى ، وأن الظلم أقبح وأكثر خسراناً لصانعه منه لضحيته [(١)] » .

وتستتبع العدالة السعادة مهما يكن من حال الجسم وشئون هذه الدنيا ، لأن العدالة خير النفس ، والنفس أسمى وأبهى وأبقى من الماديات جميعاً ؛ فقد تنزل بالعادل المصائب ، « ويجلد ويعذب ويوثق بالأغلال وتكوى عيناه ويعلق على صليب » ، وهو سعيد بعدالته مغتبط بها ؛ أما الطاغية الذى ينكل بالناس ، وأما السياسى الذى يوقع بخصومه ، فكلاهما شقى حقيق بالرثاء ؛ لأن الظلم أعظم الشرور ، وليست المسألة بيننا وبين السوفسطائيين : هل الظالم منتصر دائماً أم غير منتصر ؟ ولكن هل هو سعيد أم شقى ؟ وقد أوردنا لها حلا : أولا لما خاطبناهم بلغتهم وجادلناهم من وجهتهم ، فبينا أنه تعس معذب فى جسمه وشعوره . والآن وقد عرفنا النفس والفضيلة ، نستطيع أن نسلم لهم جدلا بأنه موفق هانىء فى ظلمه ، ونؤكد مع ذلك أنه شقى غاية الشقاء ، لأنه ظالم ، وأن العادل سعيد لأنه عادل ، بل نتحداهم مرة أخرى ونزيد على هذا القول ، أن الظالم أشقى إن لم يكفر عن آثامه ، ومعنى التكفير تحمل القصاص العادل ؛ وكل ما هو عادل فهو جميل ، وتحمل القصاص جميل وخير يستقيم به النظام وتخلص النفس من شرها وهو أعظم الشرور لأنه شر النفس ؛ وكما أن علاج الطبيب مفيد — ولو لم يكن مستحباً — وأن السعادة الكبرى للجسم أن لا يمرض أبداً — ويليها أن يشفيه الأطباء إذا مرض ، فإن أسعد الناس البرىء من الشر ، ويليه الذى يشفى من شره ؛ أما الذى يحتفظ بشره ، فأشقى الناس جميعاً ، لا يدرى أن مصاحبة الجسم المريض لا تعد شيئاً مذكوراً بالقياس إلى مصاحبة النفس المريضة ، أى الفاسدة الظالمة الملطخة ، وكما أن المريض يسعى إلى الطبيب ويتحمل الكى والشق ، يجب على الخاطىء أن يسعى إلى القاضى بنفسه فيعترف بخطيئته ولا يكتمها فى صدره ، ويطلب العقاب ولا يتهرب منه ، فإن استحق الجلد قدم جسمه للسوط ، أو الغرامة أداها ، أو النفى رحل عن وطنه ، أو الموت تجرعه ، فإن التكفير أعظم الخيرات بعد البر » [(٢)] .

حـ — « هذه حقائق قائمة على أدلة من حديد وماس » ، من يعلمها بأدلتها ومراميها يأت الخير حتماً ، من حيث إن الإنسان يطلب الخير بالضرورة ، ويمتنع أن يؤثر الشر مع علمه بالخير

---

(١) محاورة غورجياس ص ٤٦٩ و ٥٠٨ .

(٢) غورجياس ص ٤٧٦ وما بعدها .

علماً صحيحاً ، أما الذى يعلم الخير ويأتى الشرفعلمه ناقص وحقيقته : أنه « رأى » قلق عار عن الأصول والنتائج، لايقوى على إغراء اللذة ؛ فالفضيلة علم ، والفاضل هو الحاصل على العلم بالخير يعرف مايفعل فى كل حال ، لأن نظره موجه دائماً إلى الخير المطلق ، والفاضل دليل يجب الاسترشاد بفكره كما يسترشد بالقيثارى لتعلم العزف على القيثارة ، أما الرذيلة فجهل بالخير الحقيقى واغترار بالخير الزائف » .

هذا القول - إن الفضيلة علم والرذيلة جهل - المأثور عن سقراط والمنبث فى كتابات أفلاطون، قد توهم البعض أن فيه إنكاراً للحرية،وليس هذا بصحيح،فان الحكيم يفعل الفضيلةحتماً من حيث إنه يرى فيها خيره،لامن حيث إنه مضطر اضطراراً طبيعياً،فهو يفعل الفضيلة مع قدرته على فعل الرذيلة ، ولكنه لايفعل هذه لأنها فى نظره نقص وشر ، ولا يراد الشر من حيث هو كذلك . أضف إلى هذ أن هذه المرتبة العليا التى يتحدفيها العقل والارادة، لا تتفق للحكيم عفواً ، ولكنه يبلغ إليها بمجاهدة النفس أى بالحرية ، وأن الحرية ليست العبث،بل القدرة على الفعل،والترك بمقتضى العقل؛وما هذا العلم الملزم سوى الواجب فى تعبير العصر الحديث،تأدى اليه أفلاطون « بأدلة من حديد وماس » .

ونحن لا نرى أية قيمة لادعاء من يدعى أن فلاسفة اليونان لم يعرفوا فكرة الواجب بحجة أنهم كانوا يطلبون السعادة ، وأن لا معنى لأمر الناس أن يعملوا ما فيه سعادتهم [1] - فان فكرة الواجب تلزم من إدراكنا اشتراك الخير بين المحسوس والمعقول، وإن سعادة الانسان خيره من حيث هو إنسان ، لا من حيث هو حيوان . وإن النظام « يقضى » بايثار الخير المعقول . وإنما نشأت هذه الدعوى من فهم الواجب على أنه فكرة دينية صرفة ،وأنه أمر عال صادر بالوحى عن عزيز مقتدر « وعقد بين الله والناس » ، أن يعملوا كذا فيصيبوا كذا - وهذا وهم كبير يحط من كرامة الله ومن كرامة الانسان ، إذ يصور الواجب شريعة وضعية بحتة يخضع لها الانسان دون أن يدرك لها حكمة ، أما أفلاطون فقد جعله أولا شريعة طبيعية خارجة من نفس الانسان مصورة فى عقله ، فكان المنفعة الحقة كما تبينت ، والحكمة كما وصفت ، ثم أيده بأن مد فى الحياة إلى عالم آخر ، تتحقق فيه العدالة تامة ، ليسبغ على الحياة الانسانية معناها الكامل ، فهو قد فعل خيراً من وضع الواجب قانوناً قاهراً ، فقال : إنه النظام ، والنظام حق وجمال تسعى إليه النفس مشتاقة .

يوسف كرم

---

[1] Brohard, Etudes de phil ancienne et mod.

الجوهر الفرد

بين الفلسفة والعلم

للاستاذ أحمد الشنتناوى

ليسانسيه فى التاريخ والآداب وليسانسيه فى الفلسفة والاجتماع

مسألة المادة وكيفية تركيبها ، من المسائل الهامة التى شغلت أذهان المفكرين منذ القدم ؛ فالفلاسفة اليونان أصحاب المدرسة الأيونية ، كان يطلق عليهم لقب «الطبيعيين» ؛ ذلك لأنهم وجهوا همهم إلى البحث عن المادة وكيفية تركيبها ، وكان ذلك منذ القرن السادس قبل الميلاد. ولا عجب فى ذلك ؛ فالمادة أول شىء تقع عليه إحساساتنا، فهى جديرة بالبحث والتحليل لنعرف طبيعتها وكنهها . وليس غرضنا فى هذا المقال أن نتتبع مجرى التفكير الإنسانى خطوة خطوة إزاء تلك المسألة ، فان هذا يطول الكلام فيه ، وإنما قصدنا أن نشير إلى أهم النظريات العلمية والفلسفية التى تناولت هذه المسألة، ثم نتوسع قليلا فيما وصل إليه رجال العلم والفلسفة فى العصر الحديث بخصوص المادة وتركيبها .

لو أخذت قطعة من السكر مثلا ، فانه يمكن تقسيم تلك القطعة إلى حبيبات صغيرة ، ثم هذه الحبيبات إلى أخرى أصغر منها ، وهكذا حتى يعجز النظر المجرد عن رؤية دقائق تلك الحبيبات ، فلنستعين بالمجهر، فنجد أن الحبيبات التى وصلنا إليها لا تزال كبيرة يمكن تقسيمها إلى أصغر منها، وهذا نفس ما يحدث لو أخذت نقطة من الماء أو أى سائل آخر ، فانه يمكن الحصول على رذاذ صغير من ذلك السائل متناه فى الصغر ، وهـذه التجربة الحسية البسيطة قد جعلت الفلاسفة القدماء يقولون: إن المادة عبارة عن شىء متصل قابل للقسمة إلى غير حد ؛ وقد كان هذا القول من بين تعاليم الفيلسوف أنكساغور Anaxagoras الذى عاش منذ أربعة قرون قبل الميلاد ، كما أننا نجد فى فلسفة أرسطو نفس هذه الأفكار، ولكن يعترض هذا الرأى شىء آخر، وهو أنه لو أتينا مثلا بقدم مكعب من الهواء ، فانه يمكننا بواسطة الضغط أن نجعل حجمه جزءاً من مائة من القدم المكعب أو أقل من ذلك لو أردنا ، كما أنه من الممكن لهذا القدم المكعب أن ينتشر ليشغل نحو مليون من الأقدام المكعبة أو أكثر من ذلك ؛ وخاصية التقلص والانتشار هذه لا تتمشى مع القول بأن المادة متصلة ، ولو نسبنا هاتين الخاصيتين للغازات، فأن هذا يؤدى إلى اتصافه

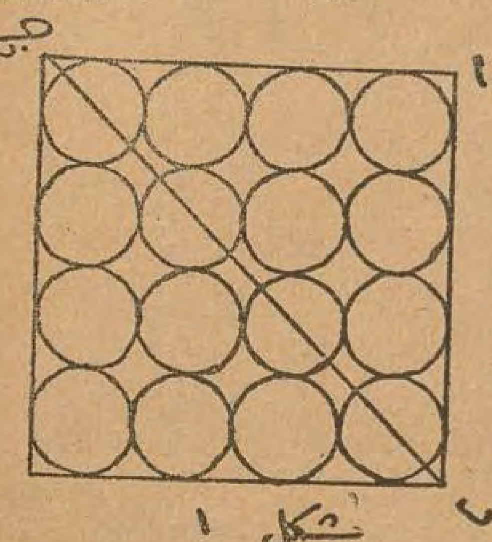
السوائل والأجسام الصلبة بها كذلك ؛ لأن الغازات يمكن تحويلها إلى سوائل دون أى تغير فى طبيعتها ، كما أن الأجسام الصلبة يمكن تحويلها إلى غازات عن طريق الحرارة .

وقد أتى بعد ذلك ديموقريطس الفيلسوف اليونانى ٤٦٠ — ٣٦٠ ق . م ، وهو أول من تكلم كلاماً منطقياً عن المادة،فذكر أنها ليست قابلة للقسمة إلى ما لا نهاية ، كما ذهب إلى ذلك (أنكساغور) وأتباعه،وإنما هى مؤلفة من جزئيات متناهية فى الصغر، لا تقبل القسمة، أطلق عليها اسم الجواهر الفردة أو الذرات Atomes ؛وهذه الجواهر غير متناهية فى العدد ، وهى تتحرك فى الفراغ،ليس بسبب ثقلها الذى هو فى الحقيقة نتيجة لحركتها،بل تتحرك وفق قوانين ضرورية ثابتة،بمقتضاها تتولد حركة عن أخرى، وهذه تولد ثالثة وهكذا إلى مالا نهاية ، كما أن الجواهر أو الذرات ـ عند ديموقريطس ـ ليست متشابهة فى المواد المختلفة،ولكنها تختلف شكلا وحجماً فى مادة عن أخرى،وأن هذه الجواهر باتحادها تؤلف المواد المختلفة التى هى فى طبيعتها غير متصلة كما ذهب إلى ذلك (انكساغور) وغيره ؛ ولقد اعتنق هذا المذهب الذرى كثير من الفلاسفة وأهمهم (أبيقور) الذى أدخل بعض تعديلات فيه بخصوص حركة الجواهر ، إذ كان من رأيه أنها تتحرك نتيجة لثقلها فى حركة دورية؛ومجمل القول فى هذه النظرية أنها قديمة جداً ، إذ نجد بذورها فى الفلسفة الهندية ، أى منذ اثنى عشر قرنا قبل المسيح .

ثم بعد ذلك نرى أن نتكلم عن آراء الفلاسفة الإسلاميين إزاء تلك المسألة ؛ فإن لهم فيها أقوالا كثيرة ؛ ولكن يمكننا جمعها فى ثلاثة مذاهب :

الأول هو مذهب الفريق الذى يقول بأن المادة مؤلفة من أجزاء لا تقبل القسمة ـ لا بالوهم ولا بالعقل ـ تسمى جواهر فردة ، وهؤلاء هم أتباع ديموقريط ، ولكنهم لاقوا من الفلاسفة الإسلاميين الآخرين ـ الذين ليسوا على مذهبهم ـ مقاومة أدبية عنيفة لهدم مذهبهم ، وفعلا أتوا بعدة براهين قوية فى دحض المذهب الذرى ، ولا مانع من أن نذكر هنا برهانين من تلك البراهين على سبيل التمثيل : الأول أنهم قالوا : لو فرض جوهر بين جوهرين ، فكل واحد من الطرفين يلقى من الأوسط ما يلقاه الآخر أو غيره ، فإن كان غيره فقد حصل الانقسام ؛ إذ ما شغله هذا الطرف بالمماسة غير ما شغله الآخر ، وإن كان عينه فلا شك فى أنه محال ، لأنه يلزم عليه أن يكون كل واحد من الطرفين مداخلا للوسط بكليته ، إذ لقى جميعه ، وليس له جميع، بل هو واحد وقد لقى منه شيئاً فقد لقى كله ولقى الآخر كله، فيلزم أن يكون مكان الكل ومكان الوسط واحد، وإلا كان الوسط حائلا بين الطرفين وصار ملاقياً لكل واحد من الطرفين بغير ما يلاقى الآخر،ولا يمكنه أن يلاقيه بعين ما يلاقى الآخر إلا بالتداخل . ثم إن جاء ثالث ورابع وهكذا ، يلزم ألا يزيد حجم ألف جزء على جزء واحد ، ولا شك فى استحالة هذا .

أما البرهان الثانى الذى اخترناه ، فهو أننا إذا فرضنا ستة عشر جوهراً فرداً ، وضعت متلاصقة متجاورة على شكل مربع وهى ذات أربعة أضلاع (انظر شكل واحد) ، فلا شك فى أن أضلاعها متساوية ، لأن كل ضلع مركب من أربعة أجزاء،وقطره أيضاًمركب من أربعة أجزاء أخرى ، فيجب أن يكون قطره مثل ضلعه ، وذلك محال ، فإن القطر الذى يقطع المربع بمثلثين متساويين دائماً يكون أكبرمن الضلع،وذلك معلوم بالمشاهدة من جميع المربعات ، ودل عليه البرهان الهندسى ،وذلك محال مع الجوهرالفرد[1].



هذا - كما يخيل لى - من أهم براهينهم فى هدم الجوهر الفرد ، كما أن لهم براهين أخرى غاية فى القوة والطرافة فى هذا الصدد .

أما المذهبان الآخران اللذان انقسم إليهما الفلاسفة الإسلاميون بخصوص مسألة المادة.

فأولها : هو أن الجسم غير مركب أصلا ، بل هو موجود واحد بالحقيقة والحد ، وليس فى ذاته تعدد .

والمذهب الثانى هو أن الجسم مركب من الصورة والهيولى ، وليس من موضوعنا أن نتعرض لهذين المذهبين ، إذ أن كلامنا خاص بالجوهر الفرد .

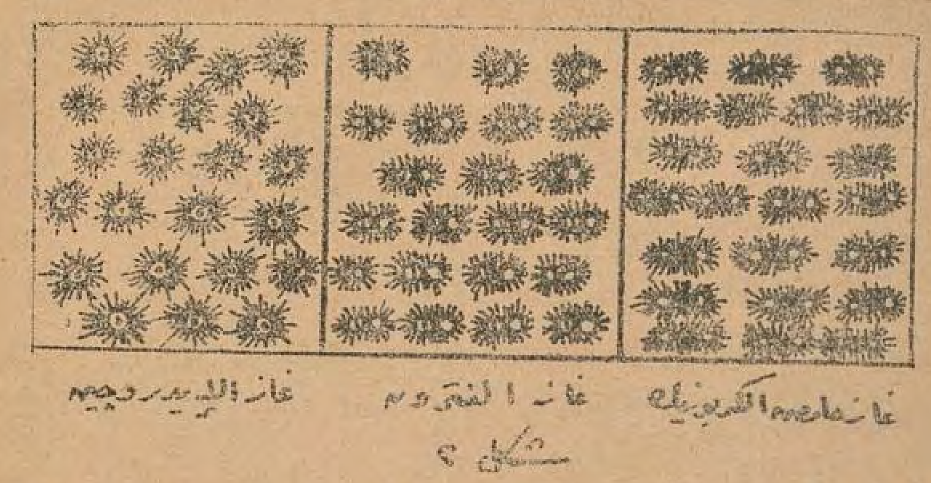
وفى مستهل العصر الحديث تقدمت العلوم الطبيعية ، ونهض الفكر الانسانى مع النهضة الاوربية العامة ، وظهر بضع فلاسفة وعلماء أتوا بآراء طريفة إزاء مسألة المادة وبنائها ،وكان أشهرهم الفيلسوف الفرنسى (ديكارت) ١٥٩٦ — ١٦٥٠ ، وهذا ذكر أن المادة لا تخرج عن كونها شيئاً له طول وعرض وعمق ؛ وهى فى جوهرها عبارة عن نظام هندسى قابل للقسمة إلى ما لا نهاية ، فهى متصلة فى جملتها ، وهذا خلاف ما ذهب إليه (ديموقريط) ؛ أما الحركة فقد وضعها الله فى المادة منذ الأزل ، وهى ثابتة المقدار ، ولم يعتقد (ديكارت) بوجود خلاء فى المادة ، كما لم يعتقد بوجود الجوهر الفرد ، وعنده أن الحركة دائرية ، فهى شبيهة بحركة الإعصار ، أى أن كل جزء من المادة يأخذ مكان الجزء الذى تحرك قبله وهكذا .

أما الفلاسفة الذين أعقبوا (ديكارت) وكانوا من تلامذته،فإنهم لم يأخذوا آراء أستاذهم

(١) مقاصد الفلاسفة ص ٨٩ .

كأنها قضية مسلم بها ، ولكنهم ناقشوها واعترضوا عليها وزادوا عليها شيئاً كثيراً ، فذكروا أن المادة ليست فقط عبارة عن امتداد هندسى ، ولكنها كذلك قوة ومقاومة ، وهذه القوة والمقاومة تفسر بشكل رياضى هندسى ، هو فى جملته يتفق مع ما ذهب إليه (ديكارت) ؛ وكان أهم القائلين بهذا الرأى الأخير هما (ليبنتز Leibniz)الفيلسوف الهولندى ، ثم (نيوتن) الطبيعى الأشهر . وفى أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر انقسم العلماء إلى قسمين : أحدهما تبع رأى (ديكارت) وأصبحوا يعرفون باسم (الميكانيكين Mecanistes)، والقسم الآخر تبع رأى (نيوتن) وأصبحوا يعرفون باسم (الديناميكيو Dynamistes) ، وظل النزاع قائماً بينهما حتى بداية العصر الحاضر ، إذ دخلت فى المسألة طائفة جديدة ، وهؤلاء هم رجال العلم الذين عملوا على إثبات مذاهبهم وآرائهم بالتجربة العملية التى لا تقبل الشك أو التأويل ؛ ومنذ ذلك العهد دخلت المسألة فى طور جديد ، واتسعت دائرة النظر أمام رجال العلم والفلسفة ، وشعروا أن المسألة أعقد بكثير مما كانوا يظنون .

ولعل الكيميائى الفرنسى المعروف (لافوازيه Lavoisier) هو أول من فتح فتحاً علمياً جديداً فى تلك المسألة ، إذ ذكر أن العناصر التى عجز الكيميائيون عن تحليلها إلى أبسط منها، هى فى الحقيقة أجسام مركبة ؛ ولكنه لم يذهب إلى أبعد من ذلك . وظلت النظرية الذرية هكذا نظرية شكلية بحتة لم تفد الكيمياء أو العلوم التجريبية شيئاً ، كما أنها لم تجد فى الكيمياء دعامة تقويها،أوتستند عليها، إلى أن ظهر العالم الانجليزى (دالتون Dalton) ، فأعطى لهذه النظرية الشكلية وجهة أخرى عملية ، وأظهر أنه بواسطتها يمكن حل كثير من المعضلات الكيميائية وتفسيرها،لهذا يعتبر(دالتون) المؤسس الحقيقى للنظرية الذرية فى العصر الحديث . ومما يجب ذكره أن (دالتون) قد عاش فى عصر اشتهر بتقدمه فى الكيمياء التجريبية ، وقد مهد لذلك الأمر (لافوازيه) ـ السابق الذكر ـ بأبحاثه المتعددة ، كما أن (دالتون) هذا كان طبيعياً رياضياً أكثر منه كيميائياً ، وكانت عنايته بالأخص موجهة إلى دراسة الغازات ، وكان اعتقاده أن الغازات على اختلافها مكونة من ذرات دقيقة تفصلها عن بعضها مسافات نسبية شاسعة ، وقد أدى بحثه إلى القول بأن ذرات الغاز الواحد متشابهة فيما بينها ، ولكنها تختلف عن ذرات الغاز الآخر فى حجمها ووزنها ، ومن هنا أتت نظرية الوزن الذرى للعناصر ، أى أن كل عنصر له وزن ذرى خاص به . وترى فى (شكل ٢)



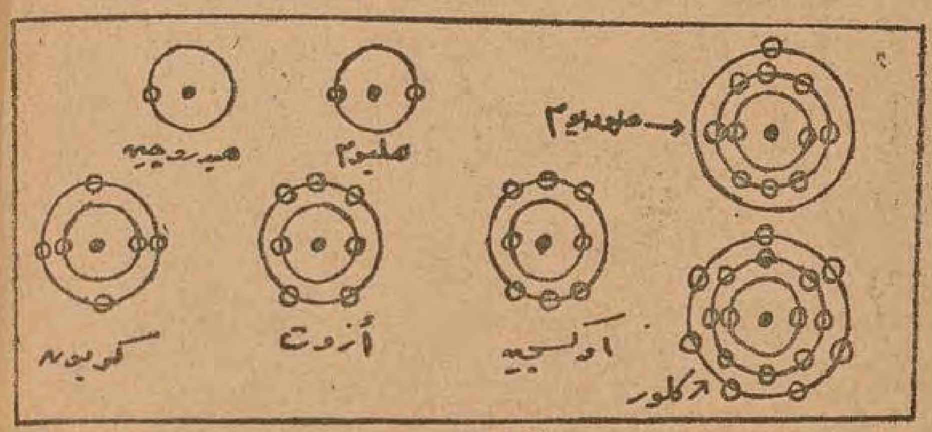
شكل ٢

رسماً مأخوذاً من كتاب أصدره (دالتون) نفسه عام ١٨١٠ ، ويسمى « الفلسفة الكيميائية الجديدة » ؛ وفيه نرى ثلاثة أنواع من الغازات ممثلة وفق نظرية (دالتون) الذرية ، فنرى مثلا أن غاز (النترون Nitrous) مؤلف من الأوكسجين والنتروجين، واعتقد (دالتون) كذلك أنه عبارة عن تأليف بسيط بين هذين العنصرين ؛ لهذا مثل ذرة هـذا الغاز بنواة مؤلفة من ذرة من الأكسجين ، وأخرى من النتروجين متجاورتين، وعندما يؤلف عنصران أكثر من مركب واحد ـ كما فى حالة الأكسجين والكربون ـ فان (دالتون) يرمز للمزيج الناتج بنواة مؤلفة من ذرتين من أحد العنصرين ، وذرة من العنصر الآخر ، كما فى حالة غاز حامض الكربونيك .

ومجمل القول فى فلسفة (دالتون) الكيميائية ، أنه قد كون فكرة محدودة عن طبيعة المركبات الكيميائية ، وأن الجوهر لا يمكن قسمته أو رده لشيء آخر ، فجوهر الأكسجين أو الكربون مثلا متمايز عن جوهر الهيدروجين ، وأن اجتماع الجواهر المختلفة ـ بعضها مع بعض بنظام خاص ـ يعطينا جوهراً مركباً يتألف منه عنصر جديد ؛ وقد ذكر الكيميائى الانجليزى (بروت Brout) سنة ١٨١٥ ـ بعد عدة مشاهدات وتحقيقات ـ أن الوزن الذرى للعناصر على اختلافها ما هو إلا مضاعفات للوزن الذرى للهيدروجين، واستنتج من ذلك أن العناصر عبارة عن مشتقات لعنصر الهيدروجين ، أى أن هذا العنصر هو المادة فى أبسط حالاتها، وقد أكد التحليل الطيفى ، وكذلك ما ذهب إليه (بروت) ـ أن ذرات العناصر المختلفة لا تمايز عن ذرة الهيدروجين إلا فى تركيبها وليس فى جوهرها .

أما فى هذا القرن الحالى فقد دخلت المسألة فى طور جديد هام ، وكان (لورنتز Lorentz)

ول من ذكر أن الجوهر الفرد أشبه شيء في بنائه بالمجموعة الشمسية (١) ؛ فهو يتألف من نواة



شكل ٣

وسطى مشحونة بالكهربائية الموجبة، وأن هذه النواة الوسطى نفسها، حسب الآراء الحديثة، عبارة عن مجموعة من (البروتونات) أي نوايات من الهيدروجين. ولقد تمكن العالم الانجليزي المشهور (رذرفورد Rutherford) عام ١٩١٩ ، من استخلاص نوايات الهيدروجين من عدة عناصر كالصوديوم والأزوت ، كما تمكن كذلك عالمان هولنديان عام ١٩٣٦ ، من تكوين عنصر الهليوم بتجميع نوايات الهيدروجين، أي عكس العملية التي قام بها (رذرفورد) ؛ ثم تحوم حول هذه النواة عدة ذرات صغيرة مشحونة بالكهربائية السالبة . ولو أخذنا قطر أحد هذه الذرات الصغيرة المستديرة الشكل - فرضاً - وحدة للطول، فيكون متوسط المسافة بينها وبين النواة الوسطى متناسباً مع متوسط المسافة بين الأرض والشمس ، مع أخذ قطر الأرض وحدة للطول في هذه الحالة الثانية ؛ ثم إن هذه الذرات ذوات الشحن السلبية متشابهة دائماً في تركيبها وبنائها. فهي واحدة من حيث التركيب في جواهر الحديد والذهب والهيدروجين مثلا ، ولكن عددها يختلف حسب العنصر الذي تدخل في تركيبه: فمثلا جوهر الهيدروجين يحتوي على ذرة واحدة من هذه الذرات، وجوهر الكربون يحتوي على ست منها، وجوهر الأورانيوم يحتوي على ٩٢ ذرة منها وهكذا . وهذه الذرات الصغيرة تسمى اليكترونات، لأنها في جوهرها عبارة عن شحنات كهربائية يمكن قياسها . ولقد قدرت شحنة الأليكترون الكهربائية بجزء واحد من مليار من وحدة المقياس الكهربائي . أما من جهة كتلته فهو أقل من كتلة ذرة الهيدروجين بمقدار ١٨٠٠ مرة . أعني أنه في جرام واحد من الهيدروجين

(١) انظر شكل ٣

يوجد نحو ٦٠٠ ألف مليار المليار من هذه الذرات . كذلك يجب أن نذكر أن كتلة البروتون تزيد على كتلة الأليكترون بمقدار ١٨٤٠ مرة ، ويبلغ قطر الأليكترون نحو جزء واحد من خمسين ألفاً من قطر الجوهر كله ، كما يقل عن ذلك بكثير قطر البروتون .

ولقد استنتج (رذرفورد) من دراساته وأبحاثه العميقة فى المادة وبنائها: أن الجوهر فى ذاته ذو فجوات هائلة ، كما تفصل المجموعة الشمسية بعضها عن بعض مسافات شاسعة، ولقد ذكر أنه لو أمكننا أن نطرح بعيداً جميع الفجوات التى تفصل بين الأليكترونات والبروتونات التى تؤلف جسم الإنسان ، ما تبقى منه إلا كتلة ضئيلة لا نكاد نراها إلا بالمجهر . . . . ؟

ولا ننسى أن نظرية (رذرفورد) الذرية لا تعتبر فى الحقيقة إحدى الانقلابات العلمية العظيمة التى حدثت فى هذا القرن العشرين ، ولكنها مع ذلك تعتبر اكتشافاً عظيماً فى مجاهل المادة ، وهذا الاكتشاف قد تم على نور الأسس الطبيعية المعروفة التى وضع أسسها (نيوتن) وغيره فى مستهل العصور الحديثة . أما الانقلاب الكبير ، بل الثورة العلمية العظمى ، فقد حدثت بظهور نظرية النسبية ونظرية الكم (quantum) لأنهما قد بنيتا على أسس طبيعية أخرى جديدة ، غير الأسس (الكلاسيكية) المعروفة ؛ فهاتان النظريتان قد غيرتا نظرة الإنسان نحو العالم تغييراً تاماً ، وأدخلتا فى ذهنه طرقاً من التفكير جديدة ، كان لا يحلم بها حتى نهاية القرن التاسع عشر .

والآن وقد فرغت من هذا المقال ، فإنى أخاف أن أكون قد قصرت فيه ، ولم أوفه حقه ، فإن الوريقات القليلة التى شغلتها من « مجلة المعرفة » الغراء ، لا تسمح لى أن أصف فيها كل ما حدث فى العلوم الطبيعية المحضة ، حتى لو كنت قادراً على هذا الوصف ، إذ أن كل ما تم من التقدم فى معرفة بناء المادة اشترك فيه العلماء من كل البلدان المتحضرة . وإنا لنأمل أن نرى فى القريب العاجل بعض علمائنا الطبيعيين يخوضون غمار تلك المباحث العويصة الشائقة، وها قد ظهرت بارقة أمل بفضل رجال كلية العلوم، ولا ريب فى أن النور سيعم بعد ذلك وينتشر .

أحمد الشنتناوى

أيها المشـــــترك !!

إن « المعرفة » تفخر كل الفخر ، وتتيه على غيرها ، بأنها مجلة المثقفين والعظماء ، وبأن مشتركيها من خاصة العلماء والأدباء فى جميع أنحاء الشرق العربى .

لذلك يهمها أن تحافظ على سمعتهم الأدبية من اتهامهم بعدم تقدير المشاق الصحفية ، وما نبذل فى سبيل « المعرفة » من مال وجهد .

فهل أديت واجبك نحوها ؟ وهل سددت اشتراكك ؟ تذكر قليلا ، وتفضل مشكوراً بتسديد ما عليك إن لم تكن سددته .

المذهب الهندوسي

عرض لتاريخه وتحليل لفروعه ومعتقداته

بقلم الأستاذ محمد قطب الدين
عضو بعثة حكومة النظام حيدر آباد بالهند
وليسانسيه في العلوم الفلسفية من الجامعة المصرية

أثارت هذه الوثبة الجريئة التي وثبها «غاندي» حين بدأ الصوم الأبدى، ما تثيره الذوبعة من عنف شديد، وأتاحت للعالم كله أن يتحدث من جديد عن الديانة الهندوسية، وعن حالة المنبوذين فى الهند؛ ولقد جمع هذا المقال الذى كتبه الأستاذ «قطب الدين» كل ما فى هذه الديانة الهندوسية من جوانب. ومن حقنا أن نقول: إنه مقال جامع، لأن كاتبه هندى مثقف، أتم دراسته العالية فى الهند، واجتاز مرحلة الليسانس فى الجامعة المصرية بتفوق، ليعود إلى وطنه أستاذاً للفلسفة فى جامعة «عثمانيا» الشهيرة بحيدر آباد.

المحرر

تاريخ المذهب الهندوسي:

كانت الهند – ولا تزال – مهبط الحكمة من أمد بعيد. وفى عقيدة الهندوسيين – وهم سكانها الأصليون – أن ديانتهم الهندوسية هى أقدم الديانات، وهم لذلك يطلقون عليها اسم «الديانة الأزلية»، ويدعون أنهم أساتذة العالم الذين نشروا تعليم ما وراء الطبيعة المتعلقة بالإله والنفس البشرية والجسم، وأن آثارهم ونقوشهم القديمة، تدل على انتشار أفكارهم وتعاليمهم فى العالم، وخاصة فى مصر واليونان.

وقد قيل إن «فيثاغورس» هو أول يونانى تعلم مذهب «تناسخ الأرواح»، وقد زاد «أبيلوس» هذا القول توضيحاً حين قال: إن «فيثاغورس» ذهب إلى الهند حيث تلقى المذهب الهندوسى فيها على أيدى البراهمة.

والواقع أن أول ظهور لمذهب [Pre-existeuse] ومذهب الروح الفردية الأزلية، كان بين الآريين فى الهند، وكذلك مذهب المنفيسيين (نسبة إلى منفيس) كما قال كارل هيكل: «لم يكن

أول بزوغ له في سماء مصر القديمة ، وإنما أخذ عن الديانة الهندوسية أخذاً ، كما أن فكرة الروح وفرديتها عند العبريين أخذت هي الأخرى من تعاليم المصريين المتصوفين، الذين استقوها بدورهم من الهند ، وهذا كله لقي طريقه إلى الاسكندرية معبداً سهلا فاستقر فيها ؛ بدليل أن المراجع البوذية توضح لنا نشاط التبشير البوذي في الاسكندرية وفي آسيا الصغرى .

والآن ، وبعد أن سردنا تاريخاً موجزاً للمذهب الهندوسي، نرى - توضيحاً للبحث - أن نتكلم كلمة عامة عن سكان الهند بأجمعها ، والديانات التي يدين بها هؤلاء السكان ؛ فأما عدد سكان الهند ، فانه يقارب في الإحصاء الأخير ثلاثمائة وخمسين مليوناً من الأنفس ، مقسمين إلى ثلاث ديانات كبرى .

١ — المسلمون ، ويبلغ تعدادهم سبعين مليون نسمة .
٢ — البوذيون ويبلغ تعدادهم تسعة ملايين .
٣ — الهندوسيون ويبلغ تعدادهم مائة وستين مليوناً .

وإذا نحن أردنا أن نعرف الديانة الهندوسية تعريفاً يلائم مايعرفه به أشياعها وأتباعها، كان علينا أن نقول بأنها - في أسسها - مبنية على التأمل الفلسفي، وعلى التعاليم الأخلاقية الموجودة في مختلف الكتب المقدسة (ويداس)، التي أدخلها رجال الدين الهندوسي في أزمنة متفرقة .

التعاليم الهندوسية :

« إن العالم لانهائي في المكان ، وأزلي في الزمان ، وليس له أول ولا آخر » .

وإننا لنرى من الظواهر الكثيرة ما يدل على قوة الروح ، كما أننا نرى أيضاً الظواهر التي تبرهن لنا كل يوم على نفوذ الروح اللانهائية والروح الأزلية ، في مملكة الأرواح المتناهية ، فنجد أن الروح اللانهائية هي الموجودة لنفسها وبنفسها ؛ نجدها أزلية ثابتة ، وأن مرور الزمن لايؤثر بأي حال في تلك الأزلية ، وأن مملكة هذه الأزلية لايمكن أن تكون في متناولنا على الإطلاق ؛ لأنه ليس لها ماض ولا مستقبل .

والروح البشرية غير فانية، ولكن الجسم خاضع لقانون النمو والفناء ، لأن كل ما ينمو لابد له أن يتلاشى ، ولكن الروح المتقمصة تدخل في عداد الحياة الأزلية اللانهائية ، فليس لها أول وليس لها آخر ، والروح البشرية صادرة عن الوجود الأزلي ، كما أنها ليست سابقة على الإله نفسه ؛ فتجدها الظواهر الكثيرة - التي تعترضها وستعترضها في انتقالها من شخصية إلى أخرى - خاضعة للقانون الأعظم التطوري ، إلى أن يصل بها إلى درجة الكمال الذي لايتبعه تغيير .

ورب معترض يقول : إذا كان هذا كذلك فلماذا لانتذكر حياتنا الماضية ؟ فالهندوسيون يردون بقولهم : إن الوجدان ؛ أو الضمير (Consciousness) ماهو إلا اسم لظاهر المحيط

العقلى ، ولكن فى جوفه تخزن تجاربنا ، المفرح منها والمحزن ، وإن رغبة النفس الانسانية هى أن تكتشف شيئاً أساسياً ، لأن العقل والجسم خاضعان للتغيير الدائم ، بل إن كل الظواهر الطبيعية مقيدة ، ولكن الأمنية العليا لوجداناتنا ، هى أن تكتشف الشىء الثابت الذى يصل بها إلى حال من الكمال الدائم ، وهذا هو أمل النفس البشرية على أسلوب لانهائى .

وكلما كمل خلقنا ورقينا العقلى ، كلما صار أملنا قوياً بتقتضى الأزلية الثابتة .

ثم الموت . . . . ما هو – فى عرفهم – إلا حالة من التغيير ، فإننا نبقى فى نفس العالم ، ونخضع لنفس القوانين ، كما كنا قبل ذلك .

واجب الوجود :

وهم يعتقدون فى إله واحد ، وهو « أبو الكل » ، الموجود فى كل مكان ، القادر المطلق ، وهو القائد والحافظ لعبيده ، المحوطين بحبه الأبدى ، يعتقدون أن شخصه – الإله – منصب فيهم ، أى أن الله فيهم وهم فيه ، ويعتقدون أن كل دين يحمل ذرات من الحقائق التى غرستها فيهم قوانين الديانة الهندوسية ، لأن الحقيقة فى هذا العالم توجد بالإيجاب لا بالسلب :

ومن شعائرهم : « يجب أن نحب الإله للإله نفسه ، ونؤدى واجبنا نحوه للواجب نفسه ، لا لأمل الحصول على جزاء » ، فيمكن هنا أن نشبه كل مخلوق بكرة من زجاج . . فهناك نور وهاج قوى منبعث إلى قلب كل من المخلوق والكرة ، صادر فى الرب (الإله) ، وما دام الزجاج مختلف الألوان متباين الكثافة ، فإن الشعاع يتخذ له اتجاهات مختلفة ، لكى يصل إلى الصميم منه ؛ فالتساوى والجمال متكافىء فى كل من المخلوق والكرة ، والتباين الخارجى ما هو إلا نقص عرضى ؛ فكلما زاد ارتفاعنا على درجات الوجود ، كلما انكشف لنا ما خفى عنا من الحقائق الإلهية .

طرق العبادة وصلتها بالأصنام :

أما العبادة عند الهندوسيين فذات وجهين ، يتخذ الوجه الأول له أسلوباً رسمياً ظاهرياً ، ويطلقون على الوجه الثانى اسم « العبادة العليا » ؛ فالرسمى ضرورى على الإطلاق ، لأنه يعاون النفس على الصعود ، والانسان يخطىء خطأ كبيراً عند ما يظن أنه يقفز طفرة واحدة إلى أعلى مكانة .

وكل الكتب الدينية ، وكل رجال الدين ، يعترفون بوجود الاله والنفس ، ولكن : هل يمكننا رؤيتهما ؟ فالدين ما هو إلا تقدم بطىء ممتد ، وكلنا هنا أطفال تتعلم المذاهب والعقائد ، ولكنا لا نتحقق من شىء فى حياتنا ، ولأجل أن نصل إلى حال يمكننا أن نتحقق منها ، يجب

أن نمر داخل المحسوس ، فإن الأطفال يتعلمون المحسوسات أولا، ثم يتدرجون منها حتى يصلوا إلى المجردات : فإذا قلت لطفل إن اثنين فى خمسة تساوى عشرة ، فقلما يفهم ما تريد ؛ ولكنك إذا أحضرت عشرة أشياء ، وشرحت له كيف أن العشرة تساوى ٢ × ٥، فإنه يفهم ما تريد على الفور ؛ ولذا فإنه يجب علينا أن نتخذ طريق الحس، لنصل منه إلى الطريق المجرد .. وليس طريق الحس إلا قاعدة لعبادة الأصنام ، فإن كل ألفاظنا ليست إلا رموز لأفكار سابقة ؛ وكما أن الألفاظ تصور لنا الأفكار المجردة فى صورها المحسوسة ، فإن الصور المحسوسة — على العكس — تصور لنا الفكرة المجردة فى الباطن ، ولذا فإن العبادة الرسمية التى أشرنا إليها ترشدنا عن الأصنام المختلفة وعبادتها .

وإنا لنجد فى الهند عبادات مختلفة ، فهناك أناس يعبدون صور القديسين ، وآخرون يعبدون هياكل وأصناماً ، وغيرهم يعبدون البشر الذين هم دونهم فى المرتبة والجاه ؛ وعدد هؤلاء يتزايد فى سرعة فائقة ، ويدعون بعباد أرواح الأموات؛ وهناك أناس آخرون يعبدون مخلوقات خاصة أرفع شأناً ، كالملائكة والآلهة . . .

والكتب المقدسة للهندوس لا تنتقد طريقاً من طرق العبادة المختلفة ؛ فكل ماذكرنا من هؤلاء العباد يعبدون — فى الحقيقة — شيئاً هو أقرب إلى الخالق منه إلى الأصنام .

وهذا التعبد لا يمكن أن يقودهم إلى الخلاص والتحرر ، بل يمنحهم شيئاً خاصاً من أجله هم يعبدونها (الأصنام) ؛ فالرجل الساذج ، ولو أنه لا يمكنه أن يسمو بتفكيره بهذه العبادة، إلا أنه يحصل على شىء من الثقة والطمأنينة بواسطتها ؛ ولكنه بعد قطعه مضماراً طويلا فى التجارب ، يكون على استعداد للتحرر ، وبذلك يترك هذه العبادة من تلقاء نفسه .

البوذية :

والبوذية هى قسم من أقسام المذهب الهندوسى المترامى الأطراف ، وقد أوجدها الرجل العظيم (جوتما بوذا) قبل خمسة آلاف سنة ، وقد أوجد نواميسها بعد ما درس الالهيات والروحانيات دراسة عميقة ، وخرج منها بهذه الفكرة السامية ، وإذا نحن درسنا المذهب الهندوسى ، وحللناه تحليلا دقيقاً ، وجدنا أنه منقسم إلى أربع طوائف أو طبقات Caste System سنفسرها فيما بعد ، وقد أنكر عليهم الحكيم «بوذا» هذا التقسيم الذى يعتقد به بعضهم ، وهو: أنهم خلقوا من طينة أرقى من تلك التى خلق منها الآخرون ، وكان يحارب رجال الدين الذين اتخذوا منه تجارة يجنون من ورائها أطيب الثمرات ، ولذلك فإنا نجد أن عبادة الله فى المذهب البوذى خالية من أى غرض ، فإنهم لا يتخذون من عبادته تعالى وسيلة للدخول فى الجنة أو نيل مقصد آخر ، وإنما هى عبادة خالصة دائمة الخلوص .

ولقد حدث أن خمسة من البراهمة المختلفين فى الرأى، وفدوا عليه لكى يحكم بينهم ويرجع من آرائهم مايلابس الصواب، فأذن لكل منهم أن يدلى بآرائه وبراهينه، حتى يتعرف إلى ماينهم من خلف فى الرأى حول وجود الله، حتى إذا ماانتهوا، أقبل «بوذا» عليهم يسأل كلامنهم على حدة: «هل يقول كتاب من كتبكم المنزلة إن من صفات الله الغضب؟ وهل من صفاته بعث الضرر إلى واحد من عبيده؟ وهل من صفاته أنه مفقود الكمال؟»، فأجابوه نفياً، لأنهم تعلموا أن الله كامل الصفات؛ وعند ذلك قال لهم بوذا: «إذن ياأصدقائى، لماذا أنتم لاتتعلقون بالكمال وبما هو طيب؟ إن ذلك هو الذى يصل بكم إلى معرفة الاله».

وقد كان «بوذا» الرجل الوحيد الذى يحارب الأغراض، وقد كان هناك كثير من عظماء الهندوسيين، الذين يقولون بتقمص روح الاله فيهم، وإن دخول الجنة لمن يطلبها مرهون بالاعتقاد فى هؤلاء العظماء، ولكن «بوذا» كان يحاربهم حرباً عنيفة شعواء حتى لفظ النفس الأخير، وكان يقول: «عاون نفسك، واعمل دائماً لنجاتها، فلن يأخذ أحد بيدك». وكان يقول أيضاً عن نفسه: «إن بوذا اسم خالد إلى الأبد، لانهائى كالسماء، أنا (جوتما) الذى وصلت إلى هذا الدرج الذى ستصلون إليه أيضاً إذا جاهدتم من أجله».

وكما أن «بوذا» كان يناضل الأغراض، فانه كان لا يود النعيم، زاهداً فى النقود، مضحياً بعرشه وبكل ما يملك، وكان يستجدى طعامه فى طرقات الهند، مبشراً بالخير للناس، وللحيوانات بصدر واسع كالمحيط، وكان هو الرجل الوحيد الذى استعد لتضحية حياته فى سبيل الحيوانات للحيلولة دون تضحيتها، وقد قال يوماً لملك من الملوك: «إذا كانت التضحية بجرو تعاونك على الدخول فى الجنة، فالأولى بك أن تضحى بانسان لتزداد قوتك على الوصول إلى هذا النعيم، وهأنذا بين يديك، فضح بى»! وقد دهش الملك من ذلك الرجل الذى يحمل فى نفسه أسمى معانى التضحية الخالية من كل شوب.

وحسب هذا الموقف أنه يدل على أن هذا الرجل كان المثل الأعلى للكمال العملى، وقد وصفه أحد كبار علماء الدين الهندوسى بقوله: «إن الطريق تكون سهلة إذا اعتقد الناس فى الاله مباشرة؛ ولكن «بوذا» على العكس، فان حياته ترينا أن الرجل ـ ولو أنه لا يعتقد فى الاله ولا فى الالهيات ولا ينتسب إلى مذهب، ولا يتعبد فى كنيسة أو هيكل، وهو مادى مع ذلك ـ فانه وصل إلى أعلى قمة الكمال، فليس من حقنا أن نحكم على بوذا إذا كان يحتمل أو لايحتمل أنه يعتقد فى الاله، فان هذا لا يعنينى بقدر ما يعنينى أنه وصل إلى المكانة العلياء، مثل ما وصل إليها أى رجل دينى يؤمن بالاله... إن الكلام لا يجدى شيئاً، لأنه من صفات الببغاوات، ولكن الكمال يأتى عن إنجاز العمل الممل».

وقد أنكر بوذا تقديس الكتب المقدسة عند الهندوس «ويداس»، كما أنكر

التعاليم وقواعد العبادات التى جاءت بها هذه الكتب ؛ لأن البراهين التى جاءت فيها لم تكن كافية لإثبات وجود الله ، وكان يعتقد اعتقاداً جازماً فى الحواس الباطنية والخارجية، وكان يعتقد فى « نروانا Nirvana »، التى تقول بأنه ليس هناك بؤس وليس هناك بعث ، وإنما هى حال ليست فى متناول الوصف ؛ وقد قال بوذا فى ذلك : « إذا كان الرجل قادراً على أن يمحو الجهل عن نفسه وعن روحه وعن عقله ، فانه يصبح بوذا ويدخل فى نروانا (Nirvana) ».

وإن الحدثين من البوذيين يعلمون أن كل شىء لا يمكن أن يعرف بالحواس الخمس غير موجود.

الحال الاجتماعية الراهنة:

إن نظام الطوائف عندهم موجود من الأزمنة الغابرة ، وقد استمر إلى اليوم عنيفاً قوياً، ويوجد أربع طبقات من الناس : فالأولى هى طبقة رجال الدين ، والثانية طبقة المتحاربين ، والثالثة طبقة التجار وأصحاب الحرف ، والرابعة هى الطبقة السفلى ، كالحمالين والنجارين والحذائين ومن إليهم ؛ وأى رجل من هذه الطبقات ، لا يمكن له أن يختلط بغير رجل من طبقته ، ولا أن يتزوج من غيرها .

والطبقة الأولى – أى البراهمة – تكون الطبقة العليا المقدسة التى تجمع القساوسة ، الذين كانوا يقبضون على زمام الحكم فى العصر الغابر .

وأما الطبقة الثانية ، فقد أصبحت الآن تكوّن الحكام والملوك .

وليس من شك فى أن هذا النظام ، سبب نكبة الهندوسيين الفادحة ، وهو الذى يسبب اندثارهم يوماً إثر يوم . أما الآن فقد ظهر من بينهم أناس عظماء يعملون على هدم ذلك النظام .

وإذا اطلعنا على الكتب المقدسة عند الهندوسيين استطعنا أن نلم بأطراف الخلاف، فاننا نجد اختلافاً بسيطاً بينها وبين ديانات العالم البارزة ، وإذا أردنا أن نسجل حالة الهندوسيين الراهنة فاننا لا نتمثلها – فى وجهة الدين – إلا صورة شوهاء ، تطلع فيها على حظهم السيء المؤلم فى طريقة العبادات والأكل والملبس والمعيشة والمعاملة مع غير الهندوسيين ؛ وهذا من دون ريب نتيجة معتقداتهم الغريبة التى ورثوها عن تقليد وهمى سقيم .

وفى يقينى أن البراهمة أتعس الهندوسيين حظاً، لأنهم يكرهون سواهم إلى حد بعيد يدفعهم إلى تصوير أنفسهم تصويراً مشوهاً ؛ ذلك أنهم يعتقدون أن النجاسة تلابسهم حين يلمسهم من لم يكن هندوسياً، أو حين يقع ظله على طعامهم، فاذا حدث من ذلك شىء كان معناه الواضح أن أجسامهم حفلت بالنجاسة، وأن أطعمتهم قد صارت قذرة ملوثة لا قبل لهم فى ازدرادها أو القرب منها.

على أن غاندى هو أول رجل يعمل جهده من أمد بعيد ، لكى يمحو هذه الأوهام ، ويقضى على ذلك النظام .

محمد قطب الدين الهندى

أسلوب التفكير فى الأزهر

ومنزلته من تطور العقل الانسانى

بقلم الاستاذ أحمد توفيق عياد

تشاهد مصر منذ أعوام مأساة مفجعة، تدور رحاها حول المشادة بين نزعتين فى التفكير: نزعة التجديد التى أفادنا الغرب فى تكوينها وبعثها فى عقولنا المصرية ، ونزعة التفكير التى يسير عليها علماء الأزهر . وفى الأمس اتهم كثير من أحرار الفكر بالزيغ والخروج عن الدين، واليوم نسمع هذه التهمة تتردد كثيراً على الألسن، وينبعث صداها من جوف الأزهر. والأزهر حقيقة هو موئل الدين وحماه ، ولكن الدين برىء من الجمود والتعصب ، وموقف الدين الاسلامى الحنيف - من الدعوة إلى حرية الفكر والنظر إلى هذا العالم نظرة المتأمل الحكيم، والبحث عما يعمر النفس بالايمان الحق واليقين الصادق - موقف يكلل هامة الاسلام بشىء كثير من الفخر والاعجاب .

ومرجع هذا الخلاف يعود - كما يتبين للباحث - إلى اختلاف بين أسلوب التفكير فى الأزهر، وأسلوبه فى غيره من الهيئات الجامعية الحديثة . ولقد عمر الأزهر إلى الآن ما نيف على الألف عام ، انقلب العالم فى أثنائها انقلاباً تاماً ، وتغير كل شىء على وجه البسيطة ؛ والانسان فى العصر الحاضر يوشك أن يكون مختلفاً عنه فى العصور الخوالى . وليس من المبالغة أن يقال إن الانسان فى أيامنا يغاير أخاه فى القرون الوسطى مغايرة تشمل التفكير والنظر والحس . والبيئة الاجتماعية والسياسية قد تحولت وتطورت كثيراً عما كانت عليه من قبل . ومن التعسف أن نرهق النفس ونظلمها لتحيا فى هذه البيئة الجديدة ، بالاستعداد والكفايات التى استطاعت أن تعيش بها فى القديم ، وإنها لن تستطيع بها حياة فى عهدنا الحاضر الذى تغيرت معالمه وتبدلت شئونه .

ولقد اتجهت النية الطيبة إلى إصلاح الأزهر وتجديده ، فكان الاصلاح كله موجهاً إلى الشكل ، لا إلى الاب، يتناول العرض ، ولا يمس الجوهر : ولقد كتب أحد الكتاب فى مصر يوماً يشير إلى الكليات التى أنشئت فى الأزهر، والألقاب الجديدة التى أسبغت عليه ، فقال: إن هى إلا أسماء سميت ، لا أكثر ولا أقل ، والإصلاح لا يكون بتغيير الأسماء وإبدالها ، إنما الإصلاح الذى يفيد الأزهر وينتفع به، لابد أن يكون موجهاً - أولا وقبل كل شىء - إلى

تغيير أسلوب البحث العلمى فيه تغييراً يعمل على تكييف الفكر الأزهرى ، بحيث يتمشى مع تطور العصر الحاضر ، ولقد كتب الأستاذ (Thwing) فى فصل عقده عن الأزهر فى كتابه (Universities of the world) ينعى طريقة التدريس بالأزهر، ويقرر أنها لا تساعد مطلقاً على إبراز الشخصية فى المتعلم ، فيتخرج الطالب فيه ، ولا تزال كفاءاته الفطرية دفينة فيه ، مقبورة لايستطيع لها انبعاثاً ، وكل ماتؤدى إليه هذه الطريقة فى الدرس ، إفساد القوى العقلية وتحويلها دون صفاء العقيدة وصلاحها . والمدرس هو كل شىء فى الأزهر : أما الطالب فلا خطر له ، وهو يقرر أشياء أكثر من هذا لا يعنينا أن نقف أمامها كثيراً ، فخير أن يصف الإنسان العلاج بعد تشخيص المرض ، من أن يدأب يشنع بأعراض هذا المرض .

ويضطرنا البحث عن هذا إلى الرجوع إلى الفكر الإنسانى نستعرضه مسرعاً ، حتى يصل إلى مكان الفكر العربى ومركزه منه ، وليكن الاستعراض مقصوراً على ما كان له اتصال مباشر ، أو غير مباشر بالتفكير العربى الذى يتمثل الأزهر فيه .

وليس من شك فى أن الفرس من ناحية ، واليونان من ناحية أخرى ، كانتا من العوامل الهامة فى تكوين العقلية العربية وتشكيلها ، « ولقد كان للفرس دين ، وكان لهم حكمة ، وكانت لهم عقلية ، وكان للروم دين وعلم وعقلية ، وقد أثر هذان العاملان أثراً كبيراً فى الأمة الإسلامية » .

وأثر اليونان هو الذى يعنينا كثيراً ، فهو الذى يرشدنا إلى حقيقة الفكر الحديث فى العرب .

وليس من شك كذلك فى أن التفكير الإنسانى يتأثر كثيراً بالعوامل السياسية والاجتماعية ، التى ينشأ تحت وطأتها الإنسان ، وأن العقل الإنسانى يسير جنباً إلى جنب مع هذه الظروف السياسية ، والاجتماعية ، والدينية ، والفنية للأمم . ولقد انحط الفكر الانسانى وفقد كماله ، بعد أرسطو : حيث ضاع استقلال اليونان السياسى ، وضعف فيها الروح الفلسفى ، بعد سلطان مقدونيا عليها وحكم الرومان لها ، وأصبح الباعث على التفكير ضيقاً أحس به الفرد ، فأراد أن يتسلى عنه ، فأصبحت الفلسفة بهذا شخصية ، بعد أن كانت عالمية . وصار الانسان هو المحور الذى يدور حول التفكير ، بعد أن كانت الفكر لا تستقر بحثاً فى كل ظواهر الكون وقوانينه . وأهم الفرق التى قامت بعد أرسطو فرقتان (١) الرواقيون (٢) الأبيقوريون .

وأهم ما يمتازان به كله الابتكار ، والخلق .

ولمذهب الرواقيين أثر كبير فى المسلمين، لأنه أميل إلى التصوف واحتقار الحياة وشهواتها؛ وأسس هذا المذهب (زينون) الذى مات سنة ٣٤٢ ق. م، ويقال: إن سبب اشتغاله بالفلسفة اعتداء جلب الفقر إليه، فقد كان غنياً موسراً من كبار التجار فذهبت تجارته فعاد إلى الفلسفة، ففى سنة ٣٠٠ ق. م أسس مدرسة، وبنى فيها رواقاً جميلا مزخرفاً، وسمى أتباعه الرواقيين، ومات منتحراً.

ومن أهم تعاليم هذه المدرسة: نظريتهم فى المعرفة التى تقول بأن الحواس طريق المعرفة، والحقائق فى هذا الكون لا تدرك من غير طريق الحواس، ولو جرد الإنسان من حواسه كلها، لا يمكن أن يصل إليه شىء من العلم؛ وهى بهذا تهزأ بالميتافيزيقا (ما بعد الطبيعة). وتقف وأفلاطون على طرفى نقيض، لأنه ينكر بالمرة الإدراك الصحيح من طريق الحواس. وتهتم الفلسفة التجريبية الحديثة بشرح هذه النظرية؛ والعقل بهذا ـ فى رأيهم ـ قابل لا فاعل، والفاعل هى الحواس، والحق هو ما يعتقده الإنسان حقاً، وفق ما يرى، ما دامت الحواس يتعذر تشابهها.

وكانوا يرون أن العالم وحدة، وأن الله ليس شيئاً منفصلا عن العالم، فهم قريبو الشبه بأصحاب مذهب الحلول فى التصوف الاسلامى، وقالوا إن الله هو العقل المطلق، والعالم مسير بالعقل والحكمة، وإن العالم مربوط برابطة السبب بالمسبب.

وقالوا: إن الفضيلة هى السير وراء العقل، كما يقرر أرسطو، ولكن الفرق بين الاثنين أن هذا يحترم الشهوات ويخضعها لارادة الإنسان، وأولئك ينكرون الشهوات ويعملون على إبادتها، ويعدونها شراً محضاً، وكانت حياتهم حرباً شعواء على العقل والشهوات، ومن أجل هذا كانت حياتهم تنتهى بالزهد والتقشف والعزوف عن الحياة، مما أدى إلى اختلال التوازن فى قوى الإنسان وملكاته، ولكنهم لم يستطيعوا السير وراء هذه التعاليم الجامدة، فقرروا فى النهاية أن إبادة الشهوات موت مطبق.

والحق أن الرواقيين لم يزيدوا فى الفلسفة شيئاً جديداً يؤبه له، وكل ميزتهم أنهم كانوا قساة على أنفسهم. وتعاليمهم تنظر إلى النفس والبحث عما يتعلق بها وكيف تعيش. وترتكز أفكارهم فى القلب، وليس لها شأن بالعالم، وهى فلسفة متشائمة حزينة تنتهى باليأس عادة، أو بالايمان الذى يشبه الانتحار فى بعض وجوهه.

وأما الأبيقوريون فقد أردف اسمهم باسم الشهوانيين وهو مخالف للواقع، فانهم قالوا إن كل عمل منشؤه اللذة والألم، ولا خير إلا اللذة، ولا شر إلا الألم، ولكنهم كانوا يطلبون اللذات العقلية والروحية، وقنعوا بإشباع شهوات قليلة، حتى كانت حياتهم بسيطة متبسمة باشة.

وهذا المنحى الفلسفى فى التفكير جعل بحث الإنسان منصرفاً إلى نفسه، وجعل الذاتية مدار

تفكيره ، وهى تفكير العقل فى نفسه . وهذا النوع من التفكير يؤدى إلى الشك ؛ فالمعرفة علاقة العقل بما فى الخارج ، فاقتصار الباحث على دائرة النفس، مهملا ما فى الخارج ، يؤدى إلى إنكار ما فى هذا الخارج ؛ ومن هنا يأتى الشك ؛ وعلى هذا ظهرت «مدرسة الشكاك» ، وهى مزيج من الأبيقورية والرواقية ، وترمى إلى تقرير استحالة الوصول إلى الحقائق وعدم إمكان الوصول إليها . ومن أشهر ما ينسب إلى أحد مؤسسى هذه المدرسة قوله : إن البرهان عبارة عن مقدمتين ونتيجة ، فأنا أبرهن على النتيجة بمقدمتين ، وكل مقدمة تحتاج إلى برهان ، وبرهان نتيجة هذه المقدمة يحتاج إلى مقدمتين ، كل منها تحتاج إلى برهان ، وهكذا يستمر الدور وتكون سلسلة أسباب لا نهاية لها . وقال أيضاً : إنه لا يمكن أن نقول إن رأينا فى الشىء هو كالشىء نفسه .

وقد أوردنا هذه الكلمة عن تطور الفكر فى هذا العصر، لنصل إلى الأفلاطونية الحديثة ، التى يهمنا الكلام عنها ، فهى الخطوة التى أعقبت ذلك ، وهى التى عملت كثيراً فى جمع الفكر العربى وتشكيله .

وقد رأينا أن أغلب هذه التعاليم الأفلاطونية بعد أن عملت فيها الشيعة وحاولت تطبيقها على دعوتهم ، كانت تدرس بالأزهر أيام الفاطميين ، ورأينا أن إخوان الصفا استمدوا تعاليمهم منها؟

[للبحث بقية] أحمد توفيق عياد



٣ - المعانى الافلاطونية عند المعتزلة *

للاستاذ محمود الخضيرى
عضو بعثة الجامعة المصرية بباريس

نشأة الكلام فى الاسلام

كتب موسى بن ميمون (١٢٠٤ م) وهو يؤرخ علم الكلام : « إن أول ابتداء الإسلام بهذه الطريقة [أى علم الكلام] كانت فرقة ما ، وهم المعتزلة » (١). وكذلك جاء فى مخطوط عربى فى المكتبة الأهلية بباريس، يرجع تاريخ نسخه إلى سنة ٨١٧ من الهجرة، تحت عنوان أول من صنف فى الكلام : « أبو حذيفة واصل بن عطاء . . . لم يعرف فى الإسلام كتاب كتب على أصناف الملحدين ، وعلى طبقات الخوارج ، وعلى غالية الشيعة والمشايعين فى قول الحشوية ، قبل كتب واصل بن عطاء الخ . . . » (٢)

والواقع أنه لما كان المعتزلة يعيشون فى وسط ثقافى ، لم تنفصل فيه الأنظار الفلسفية عن التصورات الدينية ، فإنهم لم يتوانوا فى أن يبدأوا فى الإسلام هذه الخطة ؛ وكان عليهم إذاً أن ينظروا فى المسائل الفلسفية الكبيرة بعون القرآن ومدده ؛ ومما يثبت أنهم كانوا فلاسفة قبل كل شىء ، أنهم لم يفعلوا العكس ، أى أن القرآن لم يكن محور مقالاتهم ومبدأ آرائهم ، وإن كانوا يستشهدون بآياته فى أحايين كثيرة ، ثم إنهم لم يضحوا مع ذلك بعقيدتهم ؛ وفى هذا يمتازون عن المتكلمين الذين جاءوا من بعدهم ، والذين كانوا يرفعون أصول العقيدة فوق متناول العقل (٣) ؛ والذين لم يكونوا يتعاطون الفلسفة إلا وهم بادئون من الايمان كما يبدأ بالمقدمات ، ثم ينتهون إليه بعد كل شىء كما ينتهى إلى النتائج ؛ ولكى نبين مدى المناسبات والخلاف بين المعتزلة والمتكلمين ، نكتفى بأن نورد هنا بعض ملاحظات على أصل كلمة « كلام » باعتبارها اصطلاحاً فنياً ، وسوف تعيننا هذه الملاحظات على أن نثبت أن المعتزلة هم مؤسسو علم الكلام الذى يشتمل على الفلسفة الحقيقية للاسلام .

---

* راجع عددى أغسطس وأكتوبر سنة ١٩٣٢ من « المعرفة »

(١) دلالة الحائرين ج ١ ص ٩٤ وجها

(٢) كتاب الاوائل للعسكري (أبى هلال الحسين الخ) رقم ٥٩٨٦ من القسم العربى (الحيازات الجديدة) ص ١٩٥ ظهرا .

(٣) الفارابى : احصاء العلوم ، طبعة عثمان أمين ، القاهرة سنة ١٩٣١ ص ٧٢ الى ص ٧٦ ، وابن خلدون : المقدمة ، الطبعة المذكورة سابقا ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠

يعرف علم الكلام بأنه «صناعة يقتدر بها الانسان على: نصرة الآراء والأفعال المحدودة التى صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل» [١]؛ وبتعريف آخر: «هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين فى الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة؛ وسر هذه العقائد هو التوحيد» [٢]

ولكن! أى علاقة بين علم هذا موضوعه، وبين الاصطلاح الذى يدل عليه؟

إن المعنى الأول لهذا الاصطلاح هو المعنى الشعبى المعروف، ثم توسعت دلالة الكلمة فأصبحت تطلق على «النظر» أو «البحث» بمعنى عام؛ وعلى هذا النحو يتكلم المرتضى عن «كلام» الطبقتين الأولى والثانية من المعتزلة، أى عن كلام الخلفاء الراشدين وعبد الله بن عباس وأبناء على بن أبى طالب [٣]؛ ثم إن الكلمة أخذت بعد هذا معنى الجدل والمناقشة؛ ومن هنا يذهب بعض مؤرخى علم الكلام إلى أن لفظ «الكلام» مشتق من أصل آخر، وهو «كلم» بمعنى جرح [٤]؛ وذلك لأن هذا العلم كان يرمى قبل كل شيء - حسب زعم هؤلاء - إلى نقض حجج الخصوم وإظهار بطلانها؛ ومن هنا يتصور «الكلام» كمنهج يقابل «المنطق» عند الفلاسفة؛ والكلمتان تدلان فى الأصل فى اللغة العربية على معنى واحد.

ونحن نعلم من جهة أخرى أن من المسائل التى بدأت تشغل الفكر الاسلامى مسئلة كلام الله، أى القرآن، ومعرفة ما إذا كان مخلوقاً محدثاً أم قديماً أزلياً؛ ولما كان هذا أهم الموضوعات التى دارت حوله الخلافات والمناقشات الدينية فى ذلك العصر، فربما كان هذا هو السبب الذى من أجله سمى العلم الذى كان يبحث فى كلام الله «علم الكلام» [٥].

نحن نرى من ذلك أن المعتزلة هم الذين خلقوا علم الكلام على كل حال؛ ونستعين فى ذلك بالشهرستانى الذى يقول: «إن المعتزلة بعد أن طالعوا كتب الفلاسفة، أفردوا مناهج الكلام فناً من فنون العلم وسموه باسم الكلام» [٦].

وكذلك يسميهم الخياط المعتزلى (المتوفى ٣٠٨ هـ - ٩٢٠ م تقريباً): «أرباب الكلام» [٧]؛ وكذلك يقول المرتضى، كما ذكر اسم معتزلى؛ «إنه كان من أعلم أهل الكلام».

---

(١) الفارابى: الكتاب المذكور، ص ٧١ (٢) ابن خلدون: المقدمة، ص ٣٦٣. (٣) المنية من كتاب الملل والنحل، ص ١ الى ١٢ (٤) النسفى: العقائد. طبعة استامبول. ص ٧ (٥) الشهرستانى. الملل والنحل. الطبعة المذكورة سابقاً ج ١ ص ٣٢، والنسفى: العقائد ص ٦ (٦) الشهرستانى: الكتاب المذكور. فى نفس الصفحة.

(٧) كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد نشره الدكتور نيبرج Nyberg، القاهرة سنة ١٩٢٥ - ص ٥٠

وإنما أصبح اسم المتكلمين يطلق فيما بعد على خصوم المعتزلة ممن يجمعون إلى الاشتغال بعلوم الدين الخبرة بمسائل الفلسفة ، وهذا ما يلخصه الأستاذ (ده بور De Boer) الهولندى بقوله : « أصبح اسم المتكلمين ـ الذى كان يطلق فى بادىء الأمر على كل النظار Dialektiker على العموم ـ يفضل إطلاقه فيما بعد على خصوم المعتزلة ، وأهل السنة من رجال الدين » [1]

وهذا التطور تابع لتطور عام فى تاريخ الاسلام ؛ وذلك أن الزمن الذى أعقب عصر المعتزلة كان عصر انحطاط فكرى واجتماعى ، وإذ ذاك هجر الناس النظر فى علم ما بعد الطبيعة ، والاستعانة به فى فهم أصول الدين ، وإذا لجأوا إليه فانما لغرض عملى هو « حصول ملكة راسخة فى النفس يحصل عنها علم اضطرارى للنفس هو التوحيد وهو العقيدة الايمانية » [2] أى « العجز عن إدراك الأسباب وكيفيات تأثيرها ، وتفويض ذلك إلى خالقها المحيط بها ، إذ لا فاعل غيره ، وكلها ترتقى إليه وترجع إلى قدرته » [3] .

وهذا النوع من الزهد فى البحث العلمى ، واليأس من كفاية العقل يختلف كل الاختلاف عن الروح الفلسفية التى أشرب بها المعتزلة الذين سنتولى دراستهم ، تلك الروح التى لا تضع للعقل الانسانى حدوداً تتقيد بها حريته .

ولسنا نطمع الآن فى أن نكتب موجزاً وافياً لتاريخ علم الكلام ، وإنما أوردنا ما كتبناه من مقدمات عامة ، لنبين موقف المعتزلة التاريخى فى تأسيس تلك الحركة الفكرية الهائلة ؛ وسنجتهد فى الصفحات التالية أن نعرض بإيجاز : الخصائص المذهبية العامة للمعتزلة .

الخصائص المذهبية للمعتزلة

ليس من المستطاع أن نجد لدى جميع المعتزلة مذهباً واحداً متماسك الأجزاء ، يشترك الكل فى القول به ؛ وذلك لأن شيوخهم عاشوا فى عصر تأدت إليه كل الثقافات السابقة شرقية وغربية ؛ ثم لأنهم كانوا مأخوذين بروح النقض ، وهدم حجج الغير سواء من المعتزلة أم من غيرهم ؛ ومثال ذلك أنهم لا يتفقون فيما بينهم على مذهب واحد فى موضوع الجزء الذى لا يتجزأ

---

(١) تاريخ الفلسفة فى الاسلام Geschichte der philosoqhie im Islam اشتوتجارت سنة ١٩٠١ ص ٤٤

(٢) ابن خلدون : المقدمة : ٣٦٦ . ومعنى التوحيد فى الاسلام على العموم ، هو كما يعرفه السيد الشريف الجرجانى : « معرفة الله تعالى بالربوبية والاقرار بالوحدانية ونفى الانداد عنه جملة » كتاب التعريفات . طبعة استامبول ص ٤٨ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٦٥ .

إذ أن فريقاً منهم يستعين بهذا المذهب ليفسر به كل الظاهرات ، ثم إن فريقاً آخر يتبع أنكساغوراس (Anaxagoras) ، ويميل فريق ثالث ميل أرسطوطاليس كما سنبينه فيما بعد .

على أن لهم أصولا مشتركة ،بحيث لا يطلق على مفكر إسلامى اسم الاعتزال حتى يقول بها جميعاً ، ولكن هذه الأصول ليست إلا جزءاً صغيراً من مجموع آرائهم ومقالاتهم ، إذ أنها لا تتجاوز تحديد موقفهم أمام بعض المسائل الدينية الكبيرة .

كتب الخياط المعتزلى : « ليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد،والعدل،والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين،والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإذا كملت فى الإنسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلى »[(١)] . وكذلك كتب الأشعرى (٣٢٤ هـ - ٩٣٥ م) : «فهذه أصول المعتزلة الخمسة التى يبنون عليها أمرهم، قد أخبرنا عن اختلافهم فيها ؛ وهى التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين وإثبات الوعيد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر »[(٢)] .

وكذلك يذكر الخياط عناوين مسائل ؛ ويؤكد أن المعتزلة اختصوا بالنظر فيها، مثل : «الكلام فى فناء الأشياء وبقائها، والقول فى المعانى ، والكلام فى المعلوم والمجهول، والكلام فى التولد ، والكلام فى إحالة القدرة على الظلم ، والكلام فى المجانسة والمداخلة ، والكلام فى الإنسان والمعارف »؛ وهذه رءوس مسائل فلسفية ، سوف نشرح قول المعتزلين فيها، ونبين قيمتها وعلاقاتها بالمذاهب الاغريقية ، ثم إن الخياط يضيف إلى ماسبق قوله : «لا تجد على أحد من المعتزلة ، فى هذه الأبواب التى ذكرتها حرفاً واحداً إلا لمن خالفه فيه من المعتزلة ، فأما الغير المعتزلة فلا تجد حرفاً واحداً فى هذه الأبواب إلا لانسان سرق كلاماً من كلام المعتزلة فأضافه إلى نفسه[(٣)] »، وكذلك كتب فى موضع آخر بمناسبة أبى الهذيل العلاف (٢٣٥ هـ - ٨٤٩م) : « إن الكلام فى ما كان وفى ما يكون وفى الكل وفى البعض وما يتناهى وما لا يتناهى من غامض الكلام ولطيفه ، وإنما كان أبو الهذيل يكثر ذكره والكلام فيه لشدته ولعنايته به ، ومن بعد فهل يعرف فى الأرض فصل بين هذين الكلامين إلا للمعتزلة ؟ »[(٤)] .

---

(١) الانتصار : ص ١٢٦ - ١٢٧

(٢) الامام أبو الحسين على بن اسماعيل الاشعرى : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، عنى بتصحيحه الاستاذ هـ . رتر (H. Ritter) من منشورات جمعية المستشرقين الالمانية . استانبول ١٩٢٩ - ١٩٣٠ جـ ا ص ٢٧٨ .وسنشير فيما بعد الى هذا الكتاب المهم بقولنا : الاشعرى : مقالات

(٣) الانتصار ٢ ص ٧ .

(٤) نفس الكتاب ، ص ١٣ .

وتبين لنا هذه العناوين التى تشير إلى مسائل نظر فيها المعتزلة ، أنهم درسوا الفلسفة من جميع وجوهها ، وإذا تصفحنا عناوين الكتب التى سنوردها فيما بعد عند كلامنا عن مؤلفيها ببعض التفصيل ، تلك الكتب التى ضاعت لسوء الحظ ، فاننا نستطيع أن نجزم بأن فلسفة المعتزلة كانت من كمال التوسع ونظام الترتيب مثل فلسفة الفلاسفة الاسلاميين ، الذين جرت العادة فى اللغة العربية على أن يختصوا بهذا الاسم ذى الأصل الاغريقى ، ومن ناحية أخرى فاننا سوف نرى فى مذاهبهم حظاً أوفر من إصالة الفكر وحرية التأليف والابتكار ، وهم يستعيرون من الاغريق والهنود والفرس آراء كثيرة ، لكنهم إنما يستعينون بها لتشييد مذاهبهم الخاصة بهم ، وسنجتهد الآن أن نشرح ما أوردناه جملة من مذاهبهم المشتركة التى لا تنالها اختلافاتهم الفردية إلا فى التفاصيل .

ا ــ التوحيد

أجمعت المعتزلة على أن الله واحد ليس كمثله شىء ، وأنه ليس بجسم طبيعى أوحيوانى ، وأن ذاته ليست مؤلفة من جوهر ذى أعراض تدركها الحواس ؛ وأنه منزه عن أعراض المادة وخواصها ، وأنه بسيط يستحيل عليه التجزؤ ، لايحيط به المكان ، ولا يجرى عليه الزمان ، لا تحده الحدود والنهايات ، ولا تحيط به الكميات ، ولا يقاس بالناس ، تام الكمال ، لايستطيع الوهم الانسانى أن يتصور شبيهاً له ، وجوده أزلى ولا يشاركه فى الأزل أحد ، تفرد بصفاته الالهية ، لم يخلق الخلق على مثال سابق ، ولم يعنه معين فى خلقه ، لاتجوز عليه الغايات والنهايات ، ولا يناله ماينال الناس من ألم وسرور ، إذ لاتدركه شهوات ولايلحقه عجز أونقص [1] ؛ وسنرى عند دراستنا هذا المذهب ــ عند بعض شيوخ المعتزلة ــ مقدار علاقته بمذهب أفلاطون ، وإنما نكتفى الآن بالقول إن هذا التصور هو نقيض تصور الصفاتيين ، أى الذين يذهبون إلى أن للصفات الالهية وجوداً حقيقياً يشارك الذات فى الأزلية ؛ وكذلك يناقض قول المشبهة الذين يتصورون الصفات الالهية على مثال الصفات الانسانية .

ب ــ العدل الالهى وحرية الارادة الانسانية

بينما يعرف أهل السنة العدل الالهى بأنه « التصرف فى الملك على مقتضى المشيئة والعلم » ، إذ بأهل الاعتزال يعرفونه بأنه « ما يقتضيه العقل من الحكمة وهو إصدار الفعل على وجه

(١) الاشعرى : المقالات ، ج ١ ص ١٥٥ و ١٥٦ ، والشهرستانى : الملل والنحل ، ج ١ ص ٤٨ - ٤٩

الصواب والمصلحة »[١]. وهم يقولون أيضاً : إن الله لم يخلق الكفر ولا المعاصى، ولا أفعال الخلق كلها، وإنما وهب الناس « الاستطاعة »، وهى قدرة على الفعل سابقة له[٢]؛ وهم مع ذلك لا يتفقون على رأى واحد فى تصور هذه « الاستطاعة »، وهل هى صفة أم عرض أم لازمة للانسان؟ ثم إنهم يقولون أيضاً إن الله خلق فى الانسان ملكة لتمييز الخير من الشر، وإن الناس يولدون جميعاً برءاء من السوء، وإنهم وحدهم هم الذين يعينون حظهم الأخلاقى والعملى[٣]؛ ونحن نعلم أن خصومهم ذهبوا بالعكس إلى أن الله قدر كل شىء قبل حصوله وأنه أمر وحدد « قسمة » كل إنسان، وأن المرء لا يقدر على أن يغير مجرى الحوادث. ونقول بهذه المناسبة : إن المذهب الجبرى ليس المذهب الرسمى للاسلام، وإننا نسلم قياد عقولنا إلى أوهام سابقة إذا اعتقدنا أن القرآن ينفى الحرية الانسانية، ولاعبرة فى ذلك بالتاريخ السياسى للمسلمين، إذ أن الأمويين مثلا كانوا ينشرون الدعوة الجبرية، ويحاربون كل قول بحرية الارادة، ليهونوا على الرعايا احتمال ما أحدثوه من تغيير فى نظام الحكم، مما استدعى فى أحايين كثيرة الخروج على ما عهده المسلمون حتى ذلك العهد، وليضعفوا باسم الدين تقدير الحرية.

وقد ذهب مستشرقون أمثال ألفرد فون كريمر (Alfred von Kremer) وإجناس جولد سيهر (J. Goldziher) والأستاذ مكس هرتن (Horten)، إلى أن كلام المعتزلة فى حرية الارادة متأثر باحتكاك المسلمين بالمسيحية لا سيما فى سوريا[٤]، ولكننا نرى أن هذا التأثير لا يرجع إلى أصل دينى بحال من الأحوال، وإنما يرجع إلى سبق المسيحيين إلى تعلم المذاهب اليونانية، وسنرى فيما بعد بمناسبة النظام (٢٤٠ هـ - ٨٥٤ م) إلى أى حد تأثر مذهب المعتزلة فى العدل بأفلاطون.

ومن رأى المعتزلة أن الله لا يقدر على صنع الشر؛ وقد روى النسفى (٧١٠ هـ - ١٣١٠ م) محاورة بين الجبائى المعتزلى (٣٠٣ هـ - ٩١٥ م) وتلميذه الأشعرى، على أثرها هجر الأخير الاعتزال بعد أربعين سنة قضاها فى طلب العلم على الجبائى، كما يقول ابن عساكر. قال النسفى : « وهم سموا أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد لقولهم بوجوب ثواب المطيع وعقاب العاصى

---

(١) الشهرستانى : نفس الكتاب ج ١ ص ٤٩

(٢) الخياط : الانتصار، ص ٧٨ وما بعدها . والاشعرى : المقالات، ج ١ ص ٢٣٠ وما بعدها

(٣) الاشعرى : المقالات، ج ١ ص ٢٢٧ وما بعدها

(٤) فون كريمر : تاريخ ثقافة الشرق فى عهد الخلفاء (Kulturgeschichte des Orients unter den Chalifen) فى مجلدين، فينا ١٨٧٥ - ١٨٧٧، ج ١ ص ٧ . وجولد سيهر: محاضرات عن الاسلام، القسم الثالث . و هرتن : المذاهب . ص ١٠٩

على الله تعالى، ونفى الصفات القديمة عنه؛ ثم إنهم توغلوا فى علم الكلام وتشبثوا بأذيال الفلاسفة فى كثير من الأصول؛ وشاع مذهبهم فيما بين الناس، إلى أن قال الشيخ أبو الحسن الأشعرى لأستاذه أبى على الجبائى: « ما تقول فى ثلاثة أخوة مات أحدهم مطيعاً والآخر عاصياً والثالث صغيراً؟ فقال: الأول يثاب بالجنة، والثانى يعاقب بالنار، والثالث لا يثاب ولا يعاقب؛ قال الأشعرى: فان قال الثالث: يا رب لم أمتنى صغيراً، وما أبقيتنى إلى أن أكبر فأومن بك وأطيعك فأدخل الجنة؟ فقال: يقول الرب إنى كنت أعلم منك، لو كبرت لعصيت فدخلت النار؛ فكان الأصلح لك أن تموت صغيراً. قال الأشعرى: فان قال الثانى: لم لم تمتنى صغيراً لئلا أعصى لك أمراً فلا أدخل النار؛ ماذا يقول الرب؛ فبهت الجبائى وترك الأشعرى مذهبه، واشتغل هو ومن تبعه بإبطال رأى المعتزلة وإثبات ما وردت به السنة ... الخ » [١].

محمود محمد الخضيرى

[باريس]

(١) النسفى: العقائد، طبعة استانبول ص ٨ و ٩. وكذلك يشير الشهرستانى الى تلك المناظرة اشارة موجزة فى ج ١ ص ٣٦

أنا والحب العذرى

عودتنى خفر المواثيق، مىّ منذ كانت ومنذ كنت صبيا
ما كأنى من عاشقيها وممن بلغوا فى الهوى مكاناً قصيا
إنها لا ترى الوفاء وإنى لم أكن فى الغرام إلا وفيا
لست أدرى ماذا جنيت؛ وحبى كان فيها ولم يزل عذريا؟
مية، قلبها حديد ومن لى من يلين الحديد طيباً وليا؟

* * *

أحلال يا مىّ خفر عهودى وغرامى ما كان شيئاً فريا؟
أنت أشقيتنى وفيك ولوعى أو ترضين أن أعيش شقيا؟
كل ما فى الحسان فيك وكل الحب فى العاشقين يا مى فيا
عربى هواى فيك، وغدر بغرامى أن تهجرينى مليا
ليتنى ما خلقت فى العرب صبا لا، ولا كنت فى الهوى عربيا

توفيق أبو المحاسن اليعقوبى

صفحات فى الادب الالمانى

كلويشتوك KLOSPTOCK

بقلم الدكتور على مظهر

ولد فريدريش جوتليب كلويشتوك فى أوِدْ لِنْبُورج فى الثانى من شهر يولية سنة ١٧٢٤ ، وتردد على مدرسة الأمراء بفورتا من سنة ١٧٣٩ حتى ١٧٤٥ ، وهناك وعى ما مؤلفات القدماء من أدب وحكمة ، وأراد أن يدرس اللاهوت بجامعة يينا ، ثم انتقل إلى ليبزج ، وهناك انضم إلى اتحاد شعراء سكسونيا ، وفى سنة ١٧٤٨ رحل إلى (لانجنفالزا) ليكون معلماً فى إحدى الأسر ، وبعد ذلك بعامين أرسل إليه « بودمر » يدعوه إلى زيورخ ، حيث أرسل فريدريش الخامس ملك الدانمارك (المتوفى سنة ١٧٦٦) فى طلبه للذهاب إلى كوبنهاجن ، وهناك كتب قصيدة « المسيح » ؛ وقد لبث بتلك العاصمة الجميلة من سنة ١٧٥٤ حتى سنة ١٧٧٠ . ولبعض الظروف السياسية أرسل إلى هامبورج وعين مستشاراً للمفوضية الدانماركية هناك ، ولبث بها حتى مات يوم ١٤ مايو سنة ١٨٠٣ ، ودفن فى فناء كنيسة إحدى القرى القريبة منها .

أما عن آثاره فنذكر منها أخطرها شأناً فى عالم الأدب ، ونعنى به قصيدة « المسيح » ، وهى من نوع قصص الأبطال الدينية ، كتبها فى عشرين أنشودة ، كانت الثلاث الأولى منها سبب ذيوع ذكره ، وقد نشرت فى سنة ١٧٤٩ ، ثم نشرت القصيدة بأكملها سنة ١٧٧٣ ؛ ولما كان فى مدرسة بفورتا ، رأى أن يشيد بذكر وطنه ، بقرض قصيدة من قصائد الملاحم البطلية الكبرى ، فاسترعى نظره ما أتاه الملك هانريش الأول من أعمال جليلة فى رأيه ، ثم إنه عدل عن ذلك ، ورأى أن تكون القصيدة دينية ، وأن ينظم الشعر فى ذكر « المسيح » وما آتاه لخير الانسانية وإنقاذها ؛ ويظهر أنه تأثر بقراءته (الجنة الضائعة) التى كتبها ملتون وترجمها بودمر عند ما أراد أن يكون القول الفصل على من ينظم ، وعلى من يقول الشعر ؛ وقد أراد الشاعر أن يأتى عند نظمها بأحسن ما استطاعته العقول الجبارة من بنى البشر ، ولذا تخير لنظمها ذكر عظيم كبير .

وترى الشاعر يصعد بك إلى السماء ، فيريك الأب والابن (حسبما يعتقد المسيحيون) والاثنان يتشاوران ، وترى الابن يبدى استعداده لأن يرسل لانقاذ البشر وخلاصه ، وتسمع

الأب يقسم أنه غافر ذنوب الناس إذا ما فعل ، فاذا ما انتهيت من قراءة الأنشودة الأولى، هبط بك من العلى إلى جهنم السعير ، فيسمعك الشيطان ، و (ادراماليش) وهما أميرا ـ سقر ـ يتآمران على « المسيح » ، على حين يريك «أبادونا» يخالفهما الرأى، ويعترض عليهما ؛ ثم ترى الشاعر يأخذ بيدك إلى الأرض ، وإذا بك ترى « المسيح » على جبل الزيتون، وتتعرف إلى يهوذا الخائن ، فاذا ما أطلعك على هذا فى الأنشودة الثالثة انتقل بك إلى الرابعة، فيسمعك مداولة الأحبار والشيوخ فى سيندرتوم ، حيث قرروا موت « المسيح » ، ويريك المائدة منصوبة ؛ ولا يزال ينتقل بك فى أناشيده ويصف باقى قصة « المسيح » حتى قصة معراجه، وقد ختم بها أنشودتيه الأخيرتين .

والحق أن مشروعه كان مشروعاً عظيماً وكذلك كان رأيه كبيراً ، ولكنه لم يمكنه أن يتلافى الخلط فى قصيدته ، كما أنك تراه يحشر حديثاً طويلا حشراً ، أو يغرق فى الأوصاف، ويجعل محادثاته وأغانيه متناهية فى الطول ، وقد أكسب القصة صبغة غنائية ، مع أنه أراد أن يجعلها ملحمة، أى قصة أبطال مصبوغة بصبغة دينية؛ وأحسن مافيها هى الأناشيد العشرة الأولى،حيث تجد خصوبة الخيال وقوة التأثير ، ولن تجد فى النصف الثانى من القصة ذلك الحماس المتوقد، كما تلحظه فى النصف الأول،بل ترى الأناشيد الخمس الأخيرة لا قوام لها يعرف،ولا هيئة توصف.

وتظهر قدرة كلوبشتوك فى النوع الغنائى من الشعر فى أناشيده ، وتراه يتخير لها من المواد والموضوعات : الدين ، والحب ، والصداقة ، والوطن ، وتراه يذكر الدين فى كل واحدة منها، ومن بين الأمراء والأبطال الذين شاد بذكرهم فى شعره ، تراه يذكر: هانريش الأول، ويوسف الثانى ؛ ولكنه لم يمدح فريدريش الأكبر ، لأنه قلما كان يعنى بالآداب الألمانية . ولما راجع بعض أناشيده الوطنية عمد إلى ما جاء فيها من ذكر لأساطير إغريقية، فاستعاض عنها بالأساطير الجرمانية ، وفق وجهة نظر العلم المعروف إذ ذاك ، وإنك لترى الفرق المحسوس بين أناشيده التى نظمها فى مستهل شبابه ، وتلك التى قرضها وهو على أبواب الكهولة ؛ فبينا تلحظ فى الأولى الحماس المتوقد والحمية المعقولة ، إذ يسود الثانية الظلام والصنعة الكلامية، فتجدها فاترة الهمة باردة الطبع . عليها مسحة التكلف. وقد ترك كلوبشتوك ست مآس ، تخير لها مادتها ، إما من الانجيل ، أو من التاريخ الألمانى القديم ، أما الثلاث مآسى الأولى فهى : موت آدم ، سالومو ، داود ؛ والثلاث الأخر الوطنية هى : موقعة هرمان أهداها ليوسف الثانى سنة ١٧٦٧ ، ثم هرمان والأمراء ، والثالثة موت هرمان ، وفيها قد رغب فى بث حب الوطن فى النفوس ، ولو أنه أتى فيها بما لا يعرفه التاريخ ، فأنت تسمع جماعة

[البقية على صفحة ٨٥٣]

الأنانية القومية

بقلم الأستاذ أحمد محمد فهمى
مدرس بمدرسة الزراعة العليا

لا جدال فى أن الأمم السائدة اليوم فى أوربا وأمريكا ، لم تبلغ ما بلغته من الرقى والعظمة والسيادة إلا بالاعتداد بنفسها والاحتفاظ بقوميتها ، حتى إنك لتعاشر الواحد من أبناء هذه الأمم فتجده مثال الدماثة وسهولة الخلق ولين الجانب والتسامح ، حتى إذا ذكرت الأوطان فى مجلس -ولو كان من مجالس اللهو أو الشراب- تراه يجاهر غير ما هياب بأن وطنه فوق جميع الأوطان ، وأنه نسيج وحده ولو أغضب قوله رفاقه وخلانه ، ذلك لأنهم يغرسون فى قلوب النشء أن وطنهم أحق الأوطان بالسيادة وأجدرها بالحكم وأنهم خلقوا ليسودوا الأمم ويقودوها ، وأنهم جبلوا ليسيروا فى مقدمة مواكب المدنية والحضارة .

تلك هى الأنانية القومية والنعرة الوطنية التى أقصدها فى هذا المقال ، والتى أراها ليست معدومة فى بلادنا فحسب ، ولكننا نحارب فيها حرباً عواناً حتى من الموكلين بتهذيب النفوس وتقويم الأخلاق .

إن الذى يريد أن يحض الشعب المصرى على التمسك بهذه الأنانية القومية ليجد فى القول متسعاً ، فمصر بلاد العجائب ومشرق شمس المدنية التى ننظر إليها اليوم ، كما ينظر الأعشى إلى ضوء القمر ، وهى هى التى حملت مصباح العلم فى فجر التاريخ فأضاءت به دياجير الجهالة ، فسار وراءها اليونان ثم الرومان ثم العرب ، وعن هؤلاء أخذت أوربا مدنيتها الحاضرة ، فكل قول مهما بولغ فيه فهو دون قدرنا وتحت إخمصنا ، ولنا من آثارنا الخالدة ألف دليل على صدق قولنا إذا أحوجتنا الحال إلى دليل أو برهان ، غير أننا والأسف ملء قلوبنا نرى أن الأكثرية منا يتبرءون من وطنيتهم كأنها قذى فى عيونهم ، ويميلون للبعد عن جنسيتهم كأنها شجاً فى حلوقهم ، فلا تسمع إلا منتسباً للعرب يتغنى بمدحهم ويفخر بأن أجداده من العرب الفاتحين ، وأنه يترفع أن يكون من هؤلاء المصريين المغلوبين ، ولا ترى متصلا بسبب مع الترك إلا يشيد بذكرهم ويسبح بحمدهم ، ويفخر بأنه من دمهم ولحمهم ، ويتعالى من أن يكون من طينة المصريين الفلاحين ، وأدهى من ذلك وأمر أنك تجد الكثيرين من الأعيان قد اتخذ من بعض -الدول الأوروبية- حتى الصغيرة منها حماية ، فاذا جادلته فى أمر كانت هذه الحماية لسانه الناطق ، وسيفه القاطع ، ومجنه الذى يتقى به فى بلادنا المنكودة عوادى الدهر ، وحادثات الزمان . فهل أيت أبلغ من كل هذا فى محاربة الأنانية الوطنية ، والنعرة القومية ؟ وهل بلغت أمة ما بلغته

لأمة المصرية من التهاون فى أمر قوميتها ، والارتماء بين أحضان الترك والعرب وغيرهم من الأمم الغربية ؟ . سر فى أى شارع من شوارع القاهرة أو الأقاليم ، فلن تسمع إلا أمثال هذه العبارات (إحنا مصريين ماننفعش)، (احنا نستحق أكتر من كده) وغيرها، التى إن دلت على شيء ، فلا تدل إلا على أننا غير راضين عن أنفسنا ، وعلى مبلغ تهاوننا فى قوميتنا واحتقارنا لكياننا ووجودنا ونسياننا لقول زعيم كبير من زعمائنا « لو لم أكن مصرياً ، لوددت أن أكون مصرياً » .

نرى الانكليزى مثلا يدخل إلى أى مخزن من المخازن التجارية فيسأل عن الأصناف الانجليزية ويشتريها ،ولا يريد بها بديلا ولوغلا ثمنها . وكانت أقل جودة من البضاعة الفرنسية مثلا . فاذا لم يجدها بحث عنها حتى يجدها ، فيضيع وقته وماله فى تشجيع بضاعته الوطنية ، وليس ذلك منه إلا أثراً من آثار الأنانية الوطنية التى رضعها مع اللبن ، يقابل ذلك عندنا افتخار ناشئتنا بأن هذا الحذاء من (راءول) وهذه الكسوة من عند (دافيز براين) ، وأن هذه المقاعد صنعت فى باريس ، حتى ليفخرون بأنه أحضروا الأحجار من إيطاليا .

فهل لهذا الداء العياء من دواء ؟ حقاً إنه لمرض قديم ظهرت أعراضه فى جميع طبقات الأمة، وتفشى بين الأفراد والجماعات ، فلم يسلم منه إلا القليل النادر . ولقد كان أملنا الوحيد فى شفاء هذا الداء معقوداً على البعثات التى ترسل إلى بلاد أوربا حيث النعرة القومية فى أجل مظاهرها، والأنانية الوطنية بأبهى معانيها، ولكنهم ازدادوا بالإقامة فى بلاد الغربة بعداً عن وطنهم ، فعادوا إليه بأجسامهم ؛ أما أرواحهم وأما قلوبهم وأما ميولهم فقد تركوها فى تلك البلاد التى ملكت عليهم أفئدتهم،وبهرهم رواء مدنيتها، وبريق حضارتها، حتى إنهم كادوا ينسون لغتهم ، فاذا تكلم بها متكلم منهم مزجها بالرطانة الأعجمية ، وحشاها بالكلمات الافرنجية ، ونسى أو تناسى أنه ماذهب إلى البلاد الأوروبية، إلا لينقل عنهم ، ويعلم أبناء وطنه ماينقصهم من علوم القوم وأخلاقهم، لا ليتشبه بهم ، ويفنى فيهم، وتتلاشى قوميته فى قوميتهم . كنا نود منهم وقد عاشروا القوم، وعرفوا مقدار اعتدادهم بأنفسهم، وفخارهم بوطنيتهم — أن يقلدوهم فى ذلك، وأن يكونوا قدوة حسنة فيه لمواطنيهم ، ولكنا نراهم مع الأسف الشديد لا يقيمون وزناً لشيء مصرى ، حتى إنهم ليشمخون بأنوفهم كبراً على إخوانهم وذوى قرباهم .

إن علاج هذا الداء القومى قد يتطلب وقتاً طويلا، ربما امتد إلى ربع قرن ، أو أكثر ؛ ولكن ربع القرن أو نصفه ليس زمناً طويلا فى حياة الأمم ،وذلك لا يكون إلا بأربعة أمور :

الأول : أن يدرس تاريخ مصر فى المدارس الابتدائية والثانوية بوضوح وجلاء ،لا كما يدرس الآن موضوعات تافهة ، لا صلة بينها ولا ارتباط ، وأن تبذل المكافآت الكبيرة لمن يضع أحسن التآليف فى التاريخ المصرى القديم والحديث .

الثانى : أن تقرر زيارة الآثار المصرية جميعها على جميع التلاميذ فى المدارس الثانوية، وأن يرافقهم فى الزيارة علماء الآثار، ليشرحوا لهم أسرارها، ويبينوا لهم سر عظمتها، وليغرسوا فى نفوسهم أن بناة هذه الآثار هم أجدادهم العظام الذين دوخوا الممالك وامتلكوا الأقاليم، وأظل علمهم السفائن التجارية، والأساطيل الحربية قديماً، وهزم جيشهم الانكليز والفرنسيين والأتراك والعرب فى كثير من المواقع الحربية فى التاريخ الحديث.

الثالث : بث الروح الوطنية، والنعرة القومية، فى نفس الشعب بواسطة الخطباء، والوعاظ فى المساجد والكنائس، وفى نفوس الناشئة بواسطة المعلمين والمعلمات، وعرض المناظر الفخمة للآثار بواسطة السينما، إلى غير ذلك من وسائل النشر والإعلان.

رابعاً : عمل نشيد وطنى يشاد فيه بذكر الآباء والجدود، وأن يوقع على الموسيقى ويكلف بحفظه عامة الشعب، فينشده فى كل زمان ومكان كالمارسليز عند الفرنسيين، وألمانيا فوق الجميع، عند الألمان.

أحمد محمد فهمى

كلويشتوك

[بقية المنشور على الصفحة رقم ٨٥٠]

المنشدين فيها، مع أن هذه الطبقة لم يعرفها تاريخ ألمانيا قط؛ ويغلب على مآسيه أن تكون موسومة بالطابع الغنائى، وأن تكون ملأى بالعواطف، ولو أنه لم يصور لنا أخلاق فرد ما؛ ويظهر أن أغانى (الأوسيان) الأسكوتلاندية الغالية القديمة، هى التى عنى جيمس (ماكفرسون) بنقلها إلى الانجليزية منذ سنة ١٧٦٠ حتى سنة ١٧٦٥، وأخرجها للناس فى لغة عامية يفهمونها، وجاء من الألمان من نقلها ونشرها بين قومه، وكان بدء ذلك سنة ١٧٦٤ أعنى فى نفس الوقت تقريباً حين ظهورها بالانجليزية.

ونذكر من رسائل كلويشتوك النثرية (جمهورية العلماء الألمان) التى نشرها سنة ١٧٨٤، وقد ذكر فيها آراءه فى اللغة والأدب، وقد دافع فيها عن اللغة الألمانية، وكان كثير من علماء ذلك العصر يتحاملون عليها ويحطون من قدرها.

وقد كانت خدمات كلويشتوك للغة الألمانية كثيرة جليلة؛ وجعل للشعراء لغة سهلة لينة، لها قوة فى التعبير؛ وتراه قد خلق عدة ألفاظ جديدة، وفك نفسه من قيود ترتيب الكلمات، وتأخير أو تقديم فى الجمل؛ وكثيراً ما حاول أن يبالغ القصر والإقلال، فكانت نتيجة ذلك كله أن جعل آثاره القلمية غير واضحة صعبة الادراك ؟!

على مظهر

الكيمياء قديماً وحديثاً [1]

بقلم الاستاذ محمد محمد السيد

مدرس العلوم بالمدارس الاميرية

إذا كان لبعض الخرافات فضل على العالم ، ففى مقدمة هذا البعض يجب أن نذكر خرافة التنجيم ، وخرافة الكيمياء ؛ فالخرافة الأولى - وهى الاعتقاد بتحكم النجوم فى حظوظ البشر - كانت الأساس الأول الذى بنى عليه علم الفلك ، وكانت الخرافة الثانية - وهى الاعتقاد بامكان تحول المعادن الخسيسة ؛ كالرصاص ، والقصدير ، إلى ذهب - أساس علم الكيمياء الذى له منزلة أساسية فى بناء صرح المدنية الحديثة .

وليست الكيمياء من مبتكرات العرب ، فقد سبقهم اليونان المتمصرون ؛ والمصريون قبلهم . وكانت الأسكندرية فى أوائل العهد المسيحى مركز الكيميائيين المدعين ، وظلوا فى نشاطهم نحو الثلثمائة سنة ، حتى أوقفهم الأمبراطور البطليموسى دقلديانوس عند حدهم ، وأمر باتلاف كل الكتب التى ألفت فى هذا الموضوع سنة ٢٩٢ بعد الميلاد [2] .

وترتبط نشأة الكيمياء بالمعتقدات الفلسفية القديمة عن العالم والمادة ؛ فكل المواد مكونة - فى عرف الأقدمين - من العناصر الأولية الأربعة [التراب ، والهواء ، والنار ، والماء] ، بزيادة أو نقص فى بعضها حسب خواص هذه المادة ، وما المعادن المختلفة من ذهب وفضة ورصاص . . الخ ، إلا مظاهر مختلفة باختلاف كمية هذه العناصر الأولية فى كل منها ، أما المادة الأولية فواحدة ؛ فمن التباين فى نسب التراب والهواء والنار والماء بين العناصر ، تنتج تباين واختلاف فى صفاتها من الرطوبة واليبوسة (أو كما نقول نحن: حالة السيولة والصلابة) ، واللين والصلابة (التماسك) ، والألوان من الصفرة والبياض والسواد وغيرها ؛ فاذا غيرنا هذه الصفات فقد غيرنا المعدن إلى آخر ، مثله فى ذلك مثل أجسام البشر وأرواحهم . فالأجسام كلها مخلوقة من تراب واحد ، وإنما يختلف الناس خيراً وشراً باختلاف الروح التى تلبس هذه الأجسام ، وروح المواد صفاتها التى ذكرناها [3] .

---

(١) يجب تمييز الكيمياء (Alcnany) - والمقصود بها صناعة تحويل المعادن الواطية الى ذهب - عن علم الكيمياء (Chemistry) الحديث .

(٢) انظر كتاب (تاريخ العلم وعلاقته بالفلسفة والدين) تأليف (W.C.D. Dampier-Whetham) الباب الاول .

(٣) انظر فى مقدمة ابن خلدون عن (علم الكيمياء) و (فصل فى انكار ثمرة الكيمياء الخ)

أهم هذه الصفات اللون ، فالذهب أنبل المعادن ، لأنه أصفر كقرص الشمس، ثم تليه الفضة فهي في بياضها كالقمر ، والنحاس أحمر ككوكب الزهرة .. وهكذا ، وما علينا لتحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب، إلا أن نزيل التراب من هذه المعادن (أى أن نمحو قابلية المعدن للصدأ) ، ونزيد نسبة العناصر الراقية فيه كالهواء والنار ؛ بتحسين خاصيته النارية أو لونه ، وبذا نحصل على الذهب .

هذه نظرية كيميائي الأسكندرية ، أما طرقهم العملية للتوصل لذلك ، فكانت تنحصر فى صهر عدة معادن مختلفة ، كالحديد والرصاص وغيرهما ، حتى نحصل على سبيكة سوداء ، يضاف إليها الزئبق ، أو معدن أبيض آخر، ليكسب السبيكة اللون الأبيض ، وهو لون الفضة ، وبذا يحصلون على الفضة ، فاذا تم لهم ذلك أضافوا خميرة من الذهب بكميات قليلة ، ثم عالجوا الخليط بماء الكبريت (وهو كبريتور الكلسيوم) ، وبذا يحصلون على مادة لها لون الذهب ، هى فى عرفهم ذهب .

قضى إذاً الأمبراطور البطليموسى على هذه الصناعة ، وظلت مطوية حتى بعثها العرب فيما بعثوا من علوم وفنون فى العراق ، ثم فى الأندلس ، فاشتهر بها الكثيرون من حكمائهم وألفوا فيها الكثير ، ومن أشهر من كتب فيها جابر بن حيان ، ويقول ابن خلدون إن له فيها سبعين رسالة .

وكان الكثيرون يؤمنون بها ومنهم الطغرائى الشاعر ، والفارابى الفيلسوف ، ولكن هناك من حكماء العرب من كان يعتقد ببطلان هذه الصناعة ، كابن سينا ، فقد أنكرها وقال باستحالة وجود ذلك الحجر الذى يبحث عنه كيمائيو العرب ويسمونه الأكسير ، والذى إذا ألقى على النحاس المحمى بالنار عاد فضة ، أو على الفضة المحماة بالنار صارت ذهباً .

ولابن سينا فى تفنيد دعاوى هؤلاء الكيمائيين حجج ، فهو مثلا يرد عليهم فى إمكان تكون الذهب بتلك الطرق السهلة فيقول : إن الطبيعة تصنع ذهبها غيره من المعادن فى الف وثمانين من السنين [وكانوا يعتقدون بأن الذهب يتكون فى باطن الأرض ببطء فى تلك المدة] ، فلو كان هذا الطريق الصناعى الذى يزعمون أنه صحيح فى تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب أقرب من طريق الطبيعة وأقل زماناً ، لما تركته الطبيعة إلى طريقها الذى تسلكه والذى يستغرق هذه المدة الطويلة [١] .

وينكر ابن خلدون أيضاً هذه الصناعة ، ويرد على مدعيها ببراهين قاطعة ، فهو يفند مثلا دعوى الطغرائى — بإمكان تحول المعادن إلى ذهب ، مشبها ذلك بتخلق الحيوانات كالعقرب

(١) انظر (مجلة المعرفة) شهر اكتوبر سنة ١٩٣٢ (النيترون بعد الاليكترون والبروتون)

من التراب والقاذورات ، والحيات من الشعر - معترفاً بتخلق هذه الحيوانات بتلك الطرق ، وأنه ثبت حقاً بالمشاهدة والعيان . أما زعم الكيمياء ، فلم ينقل عن أحد من أهل هذا العلم أنه عثر عليها ، ولا على طريقها ؛ فما زال منتحلوها يخبطون فيها خبط عشواء ، ولا يظفرون إلا بالحكايات الكاذبة ، ولو صح ذلك لحفظه عنه أولاده أو تلميذه وأصحابه وتنوقل في الأصدقاء ، وضمن تصديقه صحة العمل بعده أن ينتشر ويبلغ إلينا أو إلى غيرنا [1] .

ولا شك في أن تسليم ابن خلدون بتخلق الحيوانات من التراب أو الشعر لا يقره عليه العلم الصحيح .ولكن في اقتناع ابن خلدون وابن سينا بانكار الكيمياء وخرافتها،ما يجعلنا نكبر هذا التفكير المنطقي الحر في وسط ساد فيه قبول مثل هذه الخزعبلات .

والراجح أن أغلب الكيميائيين المدعين ، كانوا مقتنعين هم أيضاً بفساد صناعتهم ، فكل مؤلفاتهم في هذا الموضوع رموز وألغاز لا يخرج منها القارىء بشيء . وهم لم يلجأوا إلى ذلك إلا تغطية لجهلهم وتمويهاً على العامة ؛ وربما كانوا يتخذونها وسيلة للدجل والغش والتغرير ببسطاء المثرين ؛ ويلاحظ لنا ابن خلدون بثاقب بصيرته أن ابن سينا القائل باستحالتها ، كان من أهل الغنى والثروة ، أما الفارابي القائل بامكانها ، فكان من أهل الفقر الذين يعوزهم أدنى بلغة من المعاش وأسبابه [2] .

وهوى نجم الكيمياء في عصر الانحطاط كباقي العلوم والفنون ، وساءت حالها . فادعاها الجهلة والسوقة بعد أن كانت مقصورة على علماء وحكماء ؛ ثم تلاشى ذكرها ، إلا من أفواه بعض العامة ، يضربونها مثلا لمن يحاول الحصول على الثروة من أقرب سبيل وبغير كبير عناء.

ولكن حدث في أوائل القرن العشرين ، ما بعث فكرة الكيمياء القديمة من مرقدها ، ومال الرأي العلمي الحديث الى القول بامكان تحققها ، ولو نظرياً ، بعد أن كان يقطع باستحالة ذلك . وكان هذا التغير في الرأي على أثر الأبحاث الجديدة في الذرة ، وكونها ليست غير قابلة للتجزؤ، ثم كشف الطوب الأساسي المكون للذرات المختلفة (ألكترونات وبروتونات) . أن ذرات العناصر كلها مكونة من هذه الأسس الأولية ، والاختلاف فقط في عدد الاكترونات والبروتونات المكونة للذرات .

ثم خطا العلم خطوته الموفقة الثانية،عندما تمكن بعض العلماء فعلا من تحويل ذرات عناصر إلى ذرات عناصر أخرى، فاستخدم(رذرفورد) وغيره الجسيمات الفا التي تخرج من عنصر الراديوم

(١) (A.S. Eddingtn) في كتاب (نظرية النسبية الرياضية) الفقرة الثالثة عشرة الباب الأول

(٢) (Sir J.H. Ieans) في كتابه (العالم حولنا) الباب الثالث

وصوبها إلى كثير من العناصر ، فأخرج مثلا من عنصر الآزوت عنصر الايدروجين .

ولم يقنع العلماء بهذه الجسيمات الدقيقة التى تسير بسرعة عشرة الآف ميل فى الثانية ، يصوبونها كالقنابل إلى ذرات العناصر فيفتتونها ، بل استخدموا القوة الكهربائية ، فأجرى الدكتوران: كوكروفت ووالتن،من جامعة كمبردج ، تجارب أمكن فيها تفتيت ذرات الليثيوم [وهو العنصر الثالث فى الترتيب فى جدول العناصر] إلى هليوم بواسطة إمرار شرارة كهربائية ، ذات قوة دافعة كبيرة ، مخترقة لوحاً رقيقاً من هذا المعدن .

ولقد كانت نتيجة هذه التجارب مدهشة ، فهى قد كشفت عن امكان تفتيت الذرات بقوى كهربائية ، وكشفت أيضا عن إمكان إطلاق بعض الطاقة التى تربط البروتونات المكونة لنوى الذرات .

والطاقة المذكورة - ولنطلق عليها اسم الطاقة الداخليـة الذرية - كبيرة جداً ، فجرام واحد من المادة -لوأمكن الحصول على كل الطاقة المخزونة فيه بإفنائه وملاشاته تماماً، وتحويله إلى إشعاع - يعطينا من الطاقة مايعادل الطاقة الحرارية الناتجة عن إحراق نحو عشرين ألف طن من الفحم الحجرى إحراقاً تاماً .

وفكرة إفناء المادة وملاشاتها وتحويلها إلى إشعاع أو طاقة يجب ألاّ تروعنا ، فالنظرية النسبية علمتنا منذ زمن، أن الكتلة والطاقة ماهما إلا تعبيران مختلفان لحقيقة واحدة ، فالجرام (وحدة الكتلة) ، و الأرج (وحدةالطاقة) . صارا قابلين لتحول كل للآخر، فهما كما يقول (ادنجتون) كالمتر والياردة . وألغت النسبية قانون بقاء الكتلة القديم ، وقانون بقاء الطاقة ، وأدمجتها معاً فى قانون واحد ، فالمادة تتحول إلى طاقة ، وبالعكس . والجسم الذى كتلته (ك) من الجرامات ، إن هو إلا مقدار من الطاقة المتجمعة (ك ح) من الأرجات [حيث ح سرعة الضوء بالسنتيمترات فى الثانية] .

وفوق ذلك ففكرة تلاشى المادة وفنائها أثناء تحولها إلى إشعاع أو طاقة هى آخر ماالجأ إليه العالم الطبيعى لتفسير الحرارة الهائلة ، التى ظلت تشع ، ولا تزال تشع مئات الملايين من السنين من شمسنا وغيرها من الشموس . فأكثر من أربعة ملايين طن من المادة تتحول فى شمسنا إلى حرارة وإشعاع وضوء فى كل ثانية ، أى أن كتلة الشمس تنقص يومياً مئات الآلاف من الملايين من الأطنان ، وهو مقدار مايتحول من المادة إلى أشعة يحملها الأثير إلى كل الجهات .

ولم تنتج تجارب (كوكروفت ، ووالتن) ملاشاة تامة لذرات الليثيوم،ولكنها حولتها إلى

ذرات عنصر الهليوم . وكتلة الهليوم الناتج لاتعادل تماماً كتلة العنصر الأصلى ، بل هي أقل ، والفرق تحول إلى طاقة ؛ هي التى نعرفها باسم طاقة الحركة ، وهي ملموسة فى السرعة الهائلة التى تتحرك بها الجسيمات الفا (نوى الهليوم) بعد تكونها ؛ ولو وجد الانسان طريقة لتحويل الطاقة الداخلية الذرية إلى حرارة ، لكان ذلك فتحاً جديداً فى الصناعة .

هذا مصدر جديد للقوة يفوق كل ماحصل الأنسان عليه ؛ فلو أمكن استعمال هذه الطاقة المخزونة ما شغل الانسان ذهنه بمشا كل الوقود ، فيكفى إفناء رطل واحد من المادة ليزوّد بريطانيا العظمى بالحرارة اللازمة للوقود وغيره ، مدة خمسة عشر يوماً .

ولكن كثيراً من العقول المفكرة ـ رغم أملها فى أن يتمكن العلم يوماً ما ، من استخدام هذه الطاقة المخزونة ـ تمنى ألا يتمكن العلم من الوصول إلى ذلك الغرض الآن ، فهذه الطاقة الهائلة بمثابة سلاح خطر ، والجنس البشرى (كما يقول السير أوليفر لودج) لا يزال طفلا ، وغير جدير بهذه الهدية الثمينة ، إذ يخشى كثيراً أن يستعمل هذا السلاح الحاد الجديد ليقضى به على نفسه ، بدلا من أن يستعمله فى زيادة رفاهيته ، وسعادته ، وخيره. فكم أساء استعمال غيره من القوى والا كتشافات .

* * *

حل العالم الطبيعى إذاً مشكلة تحويل العنصر إلى آخر حلا عملياً بواسطة الطاقة الكهربائية ، ولو أن هناك عناصر كثيرة لم تحول للآن ، لاحتياجها لقوة دافعة كهربائية ؛ أكبر من التى فى إمكاننا الحصول عليها ، إلا أن ذلك لايقف فى سبيل العلم ، فسوف يتغلب على تلك العقبة ، وليس من المدهش أن نسمع قريباً بتمكن العلماء من تفتيت نوى ذرات الزئبق ، أو الرصاص، وتحويلها إلى عناصر تسبقها فى جدول ترتيب العناصر كالذهب أو البلاتين .

ولكن بعد كشف الطاقة الداخلية الهائلة المخزونة فى الذرة ، لم يعد لتحول العناصر الرخيصة إلى ذهب (الكيمياء القديمة) أية قيمة مادية بجانب ما يصحب مثل هذا التحول من طاقة هائلة تساوى فى القيمة المادية مئات الآلاف من المرات ، قيمة الذهب الذى نحصل عليه ، ولن يكون لمثل هذا الفتح العلمى أثر أكثر من اضطراب وقتى فى أسواق هذا المعدن المتخذ أساساً للتعامل ، يتبعه استبداله بوحدة أثبت منه ، ولكن الأثر سيكون أكبر فى مناجم الفحم وآبار البترول التى تمد المعامل والسكك الحديدية وغيرها بالوقود ، وربما لن تبقى حاجة لمثل هذه الوسائل القديمة فى الحصول على الحرارة والطاقة .

محمد محمد السيد

اليابان ونظمها التعليمية*

بقلم الدكتور سيدراس مسعود نواب مسعود جنك بهادر
وزير معارف حيدر آباد سابقاً ونائب رئيس جامعة عليكرة حالا

تعريب الاستاذ احسان سامي حقي

أستاذ الأدب العربي بجامعة عليكرة بالهند

[خاصة لمجلة المعرفة]

في عدد سبتمبر سنة ١٩٣٢ من هذه المجلة، نشرنا القسم الأول من هذه الدراسة الجامعة « اليابان ونظمها التعليمية » ، التي قام بها العالم الجليل الدكتور سيدراس ، وعربها « للمعرفة » الأستاذ إحسان سامي حقي .

وقد تناول القسم الأول الكلام على: تاريخ اليابان القديم والحديث، والسلالة السلطانية ، وعادات اليابانيين ، وأخلاقهم ، ووطنيتهم ، وكتبهم التاريخية ، ومذهبهم الديني ، وكبار المصلحين فيهم؛ ومن أعظمهم شأناً الدكتور (فوكوزاوا) مؤسس أول جامعة في اليابان ، هي جامعة (كي) .

ويرى القراء في هذا الجزء ، ترجمة لهذا المصلح الكبير؛ مع فذلكة عن جامعته ، والقوانين والنظم التعليمية التي استحدثت في هذا العصر . « المحرر »

(فوكوزاوا) مؤسس جامعة (كي)

ولد (يوكيجي فوكوزاوا) سنة ١٨٣٥ من أبوين فقيرين ، وربي يتيماً من الصغر ؛ فلما ترعرع ، ولم يكن له من سند أو ولي ، اضطر إلى أن يقصد مدينة (فاكاساكي) لاكتساب الرزق ، وهناك أخذ يتعلم اللغة الهولاندية ؛ ومع أنه كان يضطر دائماً للعمل وتحصيل الرزق، فإن ذلك لم يمنعه من الجد في طلب العلم ، فأتقن اللغة الهولاندية ، ولما رجع سنة ١٨٥٨ إلى مدينة (ييدو) ، جعل يدرسها ، ولم يكتف بتحصيل هذه اللغة فقط ، بل إنه لما زار مدينة (يوكوهاما) ، التي كانت مرفأ تجارياً ، وعلم أن اللغة الانكليزية من اللغات الأوربية ذات الشأن العظيم، مال إلى تعلمها، ورغم ماصادفه في سبيل ذلك من صعوبات، فانه لم يفتأ جاداً عاملاً،

---

* راجع عدد سبتمبر سنة ١٩٣٢ من « المعرفة »

ورغم أنه لم يكن لديه من الكتب إلا معجم انكليزى ، فانه استطاع أن يحصل على درجة عالية فى هذه اللغة أيضاً .

وفى سنة ١٨٦٠ أرسل مع من أرسل من أعضاء السفارة ، التى أرسلت إلى أمريكا ، ثم بعد ذلك بسنتين أرسل إلى أوربا ، وما ذلك إلا لمعرفته باللغات الاجنبية ؛ فبعد سياحتيه هاتين ، وتزوده بمارأى من العلوم الأجنبية ، أخرج سنة ١٨٦٦ كتاباً أبان فيه الفوائد الجمة التى يمكن لليابانيين أن يحصلوا عليها من متابعة الأوربيين فى علومهم ، مقارناً بين تلك البلاد وبين بلادهم .

عاد (فوكوزاوا) بعد أن امتلأ من مناظر العالم الجميلة ، ومن المخترعات الحديثة ، إعجاباً وإكباراً ، ولم يكتف بأنه رأى هو وتعلم ، بل أراد نشر العلم فى بلاده أيضاً ، فأقام مدرسة بسيطة هى أول مدرسة فتحت فى اليابان ، وترقت بسرعة عظيمة، حتى أصبحت سنة ١٨٩٠ جامعة ، وتعرف اليوم بجامعة (كيوكى جيوكوكى) ، وكان (فوكوزاوا) يعرف فضل نفسه ، ويقول مفتخراً أمام تلاميذه : « إنه ما دامت هذه الجامعة فى اليابان ، فاليابانيون حقيقون أن يكونوا شعباً مهذباً » .

ولم يقتصر حث (فوكوزاوا) على العلم بهذه الجامعة فقط ، بل كان دائماً يكتب الكتب ويذيع النشرات لهذه الغاية ، وقد كانت أقواله كلها تصادف قبولا وإعجاباً ، حتى إن كتابه المسمى « الحض على العلم » بيع منه (٣٫٦٠٠٫٠٠٠) نسخة .

وأول عبارة فى هذا الكتاب هى هذه « إن خالق الكائنات لم يخلق إنساناً سيداً لانسان ، كما أنه لم يخلق إنساناً عبداً لانسان » ، وبهذه الصورة والى هذه المساواة كان يدعو (فوكوزاوا) .

وكان قبل ذلك ، أى سنة ١٨٨٢ ، قد أصدر جريدة هى أول جريدة صدرت فى اليابان أسماها (جى جى) أى الوقت ، يدعو بها الشعب اليابانى إلى إصلاح حال اليابان ، ويعرض أمام الشعب الآراء الجديدة ، ونشر أيضاً فن الخطابة فى اليابان بالرغم من أن اللغة اليابانية لا تصلح لهذا الفن ، ولكنه جعلها أهلا لذلك ؛ ففوكوزاوا إذاً هو أستاذ اليابان بلا خلاف ، وهو مصلحها الأعظم ، وهو الذى يمجد اليابانيون اسمه وذكره الآن ، كما يمجدون الآلهة ، وقد توفى سنة ١٩٠١ فشيع جثمانه (٢٠٫٠٠٠) نسمة ، وأودع مقره الأخير ؛ فهو إذاً فى اليابان كالسير سيد أحمد خان فى الهند ، أو أن السيد أحمد فى الهند كفوكوزاوا فى اليابان ؛ وقد ترك (فوكوزاوا) من تآليفه المختلفة (خمسين) مجلداً ، ومن عظيم نصائحه هذه :

١ — على كل إنسان فى هذا العالم أن يسعى للحصول على المراتب العالية فى المنزلة

والأخلاق ، وأن يسعى لترقيتها فى الجهة التى هى ميالة إليه ، وألا يكتفى بما حصله من العلوم ، بل يسعى دائماً إلى الازدياد .

٢ — على كل من يفهم معنى الحرية العقلية والجسمية أن يراعى حقوق نفسه ، ويسعى لأن يكون شرفه مصوناً من كل لوث ؛ ومن كان كذلك فهو الحر .

٣ — خير واسطة للوصول إلى الحياة الحرة ، أن يكتسب الانسان رزقه بعرق جبينه وكد يمينه ؛ لأن الحر يقوم بواجبات نفسه .

٤ — من لوازم الحياة ، الصحة والقوة الجسمانية ، لذلك يجب علينا أن نراعى ذلك ، وأن نجتنب من الأعمال ما كان مضراً بالصحة .

٥ — يجب على الانسان أن يبقى حياً ما دامت له الحياة ، أما الانتحار فنوع من الجنون والطيش والجبن ، وهذه الصفات هى ضد الحرية .

٦ — على الانسان أن يعتمد على نفسه ، وأن يحكم عقله فى أموره ، وألا يكون هو وعقله آلة بيد الغير .

٧ — الظن بالنساء أنهن أقل درجة من الرجل، ومعاملتهن بتلك الحيثية منتهى الوحشية ، وعلى الرجال والنساء أن يحبوا بعضهم بعضاً ، وأن يحترم بعضهم بعضاً ، وعلى المرأة أن تسعى إلى حريتها .

٨ — الزواج هو أهم عمل فى الحياة ، فعلى كل من الزوجين أن ينتخب الواحد الآخر بكل احتياط ، وعلى المرأة والرجل أن يرعى كل واحد منهما حقوق الآخر .

٩ — ربوا الأولاد على احترام الحرية وحبها .

١٠ — الجماعات بالأفراد ، فأصلحوا الأفراد .

١١ — حب الانتقام والغضب أفعال وحشية ، لا تزال جارية من عهد الظلمة .

١٢ — حافظوا على الأمانات ولا تغدروا .

١٣ — عاملوا الناس بالاحسان فيعاملوكم به ، عاملوا الناس بما تحبون أن يعاملوكم به .

١٤ — الأخلاق وآداب المجلس عماد المعاشرة فأحكموا أصولها .

١٥ — أحسنوا إلى الناس وتحملوا فى سبيلهم المشاق .

١٦ — اجتنبوا ظلم الانسان والحيوان .

١٧ — تعلموا الفنون والآداب ، لأنها من موجبات المسرة للحياة .

١٨ — على اليابانيين نساء ورجالا ، أن يحافظوا على الحرية القومية ، مهما كلفهم ذلك من المشاق ، لأنها من أكبر فروضهم .

١٩ — يجب على الأحياء أن يسعوا إلى الترقى ، وأن يسلموا أبناءهم ما تسلموه من آبائهم بغير نقص .

٢٠ — العلم يزيد فى العقلاء والأصحاء ، وينقص من الضعفاء والجهلاء ؛ لذلك يجب تحصيل العلوم ، لأنها أيضاً تعلم الحرية والاستقلال .

٢١ — من كان يعتقد ما نعتقد من رجل أو امرأة ، فعليه أن يَسعىَ هذه النصائح ، وألا يعمل بها فقط ، بل أن يسعى لإشاعتها فى العالم .

هذا مختصر تلك النصائح التى أوصى بها أستاذ اليابان إلى قومه ، ومن يتأمل فيها ير أنها عين ما يأمر به الدين الإسلامى ، رغم أنها صبت فى قوالب لغات كثيرة ، إذ أنها ترجمت عن اليابانية إلى الانكليزية وإلى الأردية ، ثم إنى الآن أرجمها إلى العربية،ولا نزال نرى أن روح المعانى القرآنية متجلية فيها .

كان يتصور الناس أن لليابان ملكين : الأول ، وهو السلطان الأعظم ، وهو ما يسمى (ميكادو) ، والثانى (شوكن) ، وشوكن هذا عبارة عن وزير فى الحقيقة ، ولكن هذه الوزارة وراثية ، لاتكون بتعيين ولاانتخاب،ولذلك إن قلنا : إن فى اليابان ملكين،فقولنا صحيح ، لأن هؤلاء الوزراء كانوا فى الحقيقة هم الذين يديرون المملكة ، كما كان السلاطين الأتراك فى آخر العهد العباسى ؛ فالاسم للخليفة ، والفعل لذاك الذى يسمى سلطاناً .

فلما بلغت اليابان هذه الدرجة من الرقى ، وأصبحت الدول الأوربية بأجمعها والأمريكية أيضاً، تمد يدها لمصافحتها وطلب إخائها،ولاسيما بعد الحرب التى حصلت بين روسيا واليابان،وانتهت بفوز اليابانيين، واعترفت الدول جميعاً بأن اليابان هى رابع الدول العظمى فى الأرض ـ لما تم ذلك رأى اليابانيون أن لا بد لهم من تغيير نظمهم قليلا وتحويرها،فجعلوا يرسلون الشبان المتعلمين إلى أوربا لدرس الحالات الاجتماعية،والأخلاقية ، والنظم السياسية ، والعمرانية وغيرها ، فلما عاد هؤلاء الشبان رأوا أن لا بد لتوحيد قوة المملكة من جعل الحكومة فى يد رجل واحد، لا كما هى الحال الآن،إذ أن فى ذلك ضعفاً فى قوة المملكة ،ولاسيما أن(الميكادو) و(شوكن) كانا دائماً على نقيض فى الآراء باطناً، وإن كانا يتفقان ظاهراً ، وكانت الحكومة والسيطرة لهذا الوزير دون السلطان ، فلما عاد هؤلاء الشبان الذين لم تكن أعمارهم لتزيد على الثلاثين تسلموا زمام الحكم فى اليابان،وأصبحوا حزباً للميكادو ؛ وكان اول ما فعلوا أن قضوا على تلك السيطرة الثانية ، وجعلوا زمام الحكم بيد السلطان الأعظم ، وبطلت من ذلك الحين الوزارة الموروثة ، وسنوا قوانين جديدة منها : أنهم أولا أجازوا لسفراء الدول المثول لدى السلطان ، ثانياً استصدروا من السلطان حكماً يقضى على جميع الرعية أن يعاملوا الأجانب بالحسنى ، لأن الإساءة إليهم ـ عدا أنها تسوء السلطان ـ تحط من قدر

اليابان لدى الدول التى حالفها وصادقها ، فصادف هـذا الحكم قبولا من جميع الناس حتى من الفرق التى كانت مخالفة لهذا الحلف ، على أنه لو كان صدر الحكم فى زمن الوزارة (الشوكنية) ما كان أحد ليلبيه .

بعد أن تم ذلك برضاء الرعية بأجمعها ، بدأت اليابان تعترف بالقانون الدولى ، وبدأت تتقمص رويداً رويداً لباس أوربا علماً وأدباً ، لا خلاعة وجهلا ؛ ومما قاله الدكتور (نيتوبى) فى ذلك ، يدل دلالة واضحة ، على أن اليابانيين كانوا قد أدركوا محاسن أوروبا ، كما كانوا قد علموا مساويها ، وهو :

أنه منذ اليوم الأول الذى فتحت فيه اليابان أبوابها للتجارة الأجنبية ، وجعلت ترقى فى كل فرع من فروع الأسباب المعاشية ، والعلوم الغربية والسياسية ، لم تكن تقصد من ذلك الحصول على الثروة وقبول كل ما يأتيها من الغرب على العموم ، بل إن الغاية الواحدة التى حدت باليابان إلى ذلك هى ألا ترى أحداً يفوقها فى هذا العالم ، كى لا ينظر إليها بنظر الاحتقار ، وما التجارة والصناعة إلا فى الدرجة الثانية من هذا الأمر الأول الأهم .

وقد عقد بعد ذلك مجلس فى ٦ ابريل سنة ١٨٦٨ دعا إليه السلطان أفراد العائلة المالكة ، وأركان الحكومة ، وأصحاب الاقطاعات ، والعمد ، وأخذ عليهم العهد والميثاق أن يناصروا هذه المواد الخمس ، وهى :

١ — إقامة مجالس للشورى ، وألا يقطع أمر إلا بالرأى العام .

٢ — على أفراد الرعية عموماً — سواء أكانوا من الطبقات العليا ، أم السفلى — أن ينفذوا ما تستحسنه وتسنه الحكومة من القوانين ، ولو بالقوة .

٣ — السماح للحكام الملكيين والعسكريين جهد الامكان ، بتنفيذ مآربهم المتعلقة بوظائفهم ، كى لا يحدث عدم ذلك سلب الطمأنينة من قلوبهم .

٤ — ترك العادات القديمة ، وأن يكون بناء كل الأمور على ما تقتضيه الفطرة بصورة الاعتدال .

٥ — طلب العلم فى كل قطر ومكان ، لقيام سلامة المملكة « على أن يكون ذلك بكل همة ونشاط ، وبصورة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ » .

وبعد أن تليت عليهم هذه الشروط أقسموا بقولهم : إننا نعاهد الحكومة أن نفعل بنص ما وضعناه من الخطط لحفظ الرعية وسعادتها ؛ ومن ذلك الحين دخلت اليابان فى طور جديد من أطوار حياتها ، سارت منه إلى الرقى بسرعة لا مزيد عليها ، ولكن بالنظر لصعوبة المواصلات بين البلدان اليابانية ، كان من الصعب أيضاً انتقال وسريان كل جديد بالسرعة المطلوبة ؛ ولذلك رأى أحد أنصار هذه النهضة ضرورة مد خط حديدى بين بلدتى (يدزو)

و (يوشيو) ، ولو كان ذلك لا يؤدى إلى المنافع المادية ، ولو بعد ألف سنة ، إلا أنه يكون واسطة لتعارف أهل البلدان بعضهم بعضاً ، ووقوف كل واحد على عادات الآخر وآدابه وأطواره وكيفية معيشته ونهضته إلى غير ذلك ، فصادف رأيه هذا الاستحسان ، ومد الخط الذى كان منه من الفائدة مالم يكن فى الحسبان ، ولكن مع ذلك - أيضاً - كان لا يزال أمام الحكومة عقبة أخرى تمنعها من الرقى ، وهى : أن البلاد اليابانية لم تكن مملكة واحدة ، بل كانت تقسم إلى ٢٧٦ حكومـة ، يقوم بإدارة كل واحدة منها ملك مستقل عن غيره كل الاستقلال فى : ماليته ، وحكامه ، وجيوشه ، وغير ذلك ؛ وإن كان الجميع فى الظاهر يعترفون بالسلطان الأعظم ، إلا أن هذا الاعتراف لم يكن يغنى فتيلا ، فقام حزب السلطان بالدعاية إلى تركيز هذه الحكومات المتعددة فى المركز الأساسى ، وجمعها تحت راية السلطان ، فصادفت دعايتهم نجاحاً كبيراً ، وانضم كل هؤلاء الملوك تحت الراية العظمى من غير قيل وقال ، بل إن ما أبدوه من الايثار فى هذه السبيل ، لهو أعظم مثال حى على حب الوطن والقومية ، ولذلك فان أقدرهم سلطاناً ، لما بلغته هذه الدعوة لباها بانشراح صدر وطيبة خاطر ، ومما كتبوه إلى السلطان قولهم :

« إن زمام الحكومة لم يكن قبلا إلا بيد السلطان الأعظم ، ولذلك نرى الآن أن يعود إليه الحكم فى اليابان كلها ، وأن يكون أهل اليابان كلهم رعيته ، إذ لا حياة لنا إلا به ، وإننا نعلم أن ما أساءت به حكومة (شوكن) إلى السلطان وسلب حقوقه لما نأسف له الآن ، ولذلك فها نحن أولاء نسلم زمام حكومتنا إلى السلطان لنعيش متحدين تحت رايته » .

لم يتأخر بعد ذلك من الملوك عن إجابة طلب السلطان ، إلا ملك من مائتين وستة وسبعين ملكاً ظلوا مترددين ، وهناك قدر السلطان إيثارهم هذا كل التقدير ، وشكرهم عليه وأجازهم على ذلك ، بأن عين كل واحد من هؤلاء الملوك على ما كان عليه من البلاد حاكماً من قبل ، بعد أن أذهب عنهم تلك الفخفخة والعظمة التى كانوا يتمتعون بها ، وبعد أن سلبهم كل ما كانوا يتمتعون به من الحقوق ، وأصبحوا لا يزيدون على حاكم عزله ونصبه بيد السلطان ، ثم فى سنة ١٨٧١ نسخ هذا الحكم وصدر أمر سلطانى يقضى على كل هؤلاء الملوك أن ينفصلوا عن وظائفهم ، وأن يسكنوا فى مدينة (ييدو) ، على أن يبقوا أمراء ، ولكن بلا سلطان ، أى (بالاسم) ، وخصصت لهم رواتب ، تتراوح ما بين عشر ونصف من وارداتهم قبلا ، وأوعز إلى (السموراثيين) ، أى العسكريين - الذين هم من طبقة الأشراف أيضاً ، والذين لا يعلمون من مهنة إلا الجندية ، التى كانوا يرونها كحق لهم ؛ لا يستطيع أحد أن يطمع فيها - أوعز إليهـم أن يختاروا ما يشاءونه من الأعمال ، بعد أن خصصت لهم رواتب أيضاً .

ومع ما فى هذا الحكم من القساوة ، فإن واحداً من الملوك أو الحكام لم يتأخر عن إجابة طلب الحكومة ، بل لقد لباه كل منهم بكل سرور ، منفذين بذلك أمر السلطان ، لأنهم كانوا يعلمون أن فى ذلك خيراً لبلادهم ؛ وهأنذا أنقل هنا ما كتبه أحد الأجانب عن الاحتفال الذى أجرى لوداع أحد هؤلاء الملوك وقد كان حاضره ، قال :

« لست أنسى قط ذلك الاجتماع الذى اجتمع فيه (السمورائيون) اليوم صباحاً ، وهم بالألبسة الرسمية للاحتفال بوداع الملك ، لأنه لم يكن منظراً وداعياً فقط ، بل كان ينطوى على ما هو أعظم من ذلك ، إذ كنت أنظر إلى وجوههم وكأننى أقرأ فيها حرفاً حرفاً مما هو على صفحات ضمائرهم ، وكأنى بالسمورائى يخاطب نفسه ويقول : السيف روح السمورائى ، والسمورائى روح اليابان ، أفيحرم هذا السيف العز والسلطان ، ويلقى كبضاعة مزجاة ، ويقوم مقامه الحبر والدواة ؟ أفهل يصبح السمورائى بعد الحول والطول أقل من التاجر ، أو فى صفه ؟ هل يصبح الشرف أقل قيمة من الدراهم ؟ هل تذل روح اليابان ويؤتى بها إلى هذا المستوى ! ؟ »

« ثم لنا أولاد ! . . ماذا نفعل ؟ أننخرط فى صفوف العمال لاكتساب الرزق ؟ وماذا نفعل إذا منعت عنا رواتبنا الموروثة ؟ أفهل نصبح نحن أولاد أولئك الفرسان الذين لا يزال دمهم يجرى فى عروقنا كباقى أفراد الشعب ، وأن نمتزج بهم دون فرق ولا امتياز ؟ إننا نفضل أن نموت جوعاً على أن يتزوج بناتنا التجار ؛ أفهل يصل بنا الحال لرغيف نسد به جوعنا ، إلى أن نشوه نسلنا ثم لننتظر ما تأتينا به الأيام ! ؟ »

بينما كان كل واحد من هؤلاء السمورائيين يخاطب نفسه بمثل هذه الأقوال ، وما أشبهها ، إذا بالملك الذى كان سيصبح ـ بعد قليل ـ أسيراً فى (ييدو) ، قد حضر وحاشيته تحف به ، وهو لا يزيد على الخامسة والثلاثين من العمر ، يختال فى سروال أرجوانى من استبرق ، وقميص أبيض ناصع ، وقباء كحلى ، وعلى أردانه الوسام المخصوص ، وهو متقلد خنجراً كما هى العادة ، يمشى على الأرض من غير أن يسمع له صوت ، وكان كلما تقدم بين الجموع يحيونه بخفض رءوسهم ، ووضع رءوس سيوفهم مسلولة على الأرض ؛ فبعد أن تمت هذه المراسيم وقف ، وقرأ عليهم شيئاً من تاريخ مملكته ، وما تقلب عليها من الأدوار ، ثم أسمعهم حكم السلطان القاضى برد هذه المملكة إليه ، وبين لهم الوجوه والعلل التى اقتضت ذلك ، ثم قال : « أوصيكم بأن تكونوا بعد الآن مطيعين للميكادو ، كما كنتم لى » ، ورجا لهم الخير ، وللوطن السعادة والرفاهية ، ووعدهم الخير ، بألفاظ تناسب المقام .

وبهذه الصورة والحكمة العملية ، أصبحت اليابان حكومة واحدة تحت راية واحدة ؟

[عليكرة : الهند] إحسان سامى حقى

(للبحث بقية)

٤ ـ العالم : كيف خلق وكيف تطور ؟

بقلم الأستاذ محمد مظهر سعيد
أستاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

انتهيت فى المقال السابق [١] من بحث أساطير الطبقة الثانية، التى كان يقول بها أهل المدنيات القديمة : مصر ، وبابل ، وآشور ، والصين ، واليابان ، والهند ، وغير ذلك من الأمم المجاورة المعاصرة ، التى نرجح أنها خرجت جميعها من أصل واحد قديم، نشأ فى هضبة البامير الكبرى، وانتشرت أنساله وأجناسه فى الجزء المعروف من الدنيا القديمة ، وأساطير الأسكندناويين، وأهل المكسيك ، والجزر الشمالية والجنوبية ، التى لا نعلم عن أصلها شيئاً ، وليس للعلم الحديث فيها رأى قاطع غير أنها أجناس بشرية ؛ وبينا أوجه الشبه بين كافة أساطير هذه الطبقة على اختلاف أجناسها وأصقاعها ودياناتها ، وبين أساطير الطبقة الأولى الأولية ، التى نعدها فى ديانات أجناس أفريقيا المنحطة ، وسكان استراليا الأصليين، وبعض القبائل المتوحشة من الهنود الحمر ؛ وانتهينا إلى رأى نطمئن إليه تمام الاطمئنان ، وهو أن أسطورة المدنية القديمة ذات وجهين: وجه نقرأ فيه الأسطورة الأولية الخرافية السقيمة: بذاتها، بحيوانها، وذكرها، وأنثاها ، وأرضها ، وسمائها ، وشمسها السابحة ، ونجومها المعلقة ، وغير ذلك مما يصوره ويستسيغه عقل الانسان الهمجى ؛ ووجه آخر نطالع فيه شيئاً من روعة الخيال ، ودقة التصوير المبنى على الملاحظة والمشاهدة ، وما يمكن أن يستنتجه عقل تذوق شيئاً من طعم المدنية، واكتحلت عيناه ببريق ضئيل من نور العلم .

وانتهينا كذلك إلى أن هذه الصور الخاصة تتفق فى جوهرها ، وتختلف فيما تقتضيه الأوساط الجغرافية وظروف الحياة ، وطرق العيش من اختلاف وتباين ؛ وأن الاتفاق فى الأساطير لم يأت عفواً أو عن طريق النقل ، وإنما حتمته طبيعة العقل البشرى ذاته فى ذلك الزمان السحيق ؛ لأنها لا تجد صورة غيرها تفهمها أو تعقلها ؛ وخيال الانسان ينحط ويسمو بقدر عقله وتفكيره ، ولم يبق من أساطير هذه الطبقة غير أسطورة أهل فينيقيا ـ سكان آسيا الصغرى ـ الذين جابوا أقطار الأرض من مشرقها إلى مغربها ، واغترفوا من بحور علم أهل المدنيات القديمة ، ونقلوا ما فهموه وتعلموه إلى اليونان فى الشرق ، وقرطجنة والرومان فى الغرب ؛ وكانوا بريد الأمم القديمة .

---

(١) راجع الجزء السابق من « المعرفة » ص ٧٣٢ .

وفى الحق أن الأسطورة الفينيقية لجديرة بأن توضع فى مرتبة خاصة ، وفى درجة أرقى لقربها من مستوى تفكيرنا ونتائج العلم الحديث ، ذلك لأن الفينيقيين لم يجهدوا أنفسهم ، ويرهقوا عقولهم فى تلمس حل لمشكلة خلق الدنيا ، فقد أغنتهم المدنيات القديمة المعاصرة مؤونة هذا العمل ، وقدمت لهم أساطيرها ودياناتها طعاماً سائغاً ، يقتطفون منه ما شاءوا ، وكأنهم خشوا أن يتخبطوا كما تخبط من سبقهم فى وضع أسطورة جديدة تصطبغ باللون الفينيقى البحت ، فاكتفوا - فى مقدمة خلق الدنيا - بصورة تخيروها من بين الصور القديمة، ووجهوا تفكيرهم الى إتمام الجزء الذى نسيه الأقدمون عما تم بعد خلق الدنيا ، فجاءت أسطورتهم من هذه الناحية أقرب ماتكون الى نظرية التطور الحديث ، وتدرج السلم الحيوانى والجيولوجى ، وإليك ما كانوا يقولون :

فى بدء العالم كان هناك - من غير تحديد للمكان - ظلام وريح ، لم يتقاتلا ويتطاحنا معاً ، وإنما اتحدا فكونا الطين أو المادة السوداء التى هى أصل جميع المخلوقات . وعندئذ سطعت الشمس والقمر والكواكب فجأة - من غير أدنى إشارة إلى الطريقة التى خلقت بها هذه الأجرام السماوية ، أو ذكر شىء عن الآلهة التى خلقتها - ، وتحرك الريح فى السماء فكان غيم ومطر . ولما انفصلا بحرارة الشمس تصاعدا ثانية ، فصار الرعد والبرق (وهنا تنتهى الأسطورة القديمة البحتة ، وتبدأ فكرة التطور الحديثة) ؛ وكانت الحيوانات إذ ذاك عديمة الإحساس ، فهالها الأمر وتملكها الذعر ، فاندفعت مذعورة تريد الهرب مما أحاط بها من البلاء ، وانتشرت فى الأرض والسماء ، واختلطت ذكور وإناث ، وهكذا نشأ الإحساس عند الحيوان وتطورت من عديمة الإحساس إلى ذات إحساس كامل ، وسلسلة فقرية (وهذا هو نفس مايقول به دارون وهيجل فى أصل الأنواع ونشأتها وتطورها) .

وقبل أن نختم كلامنا عن أساطير هذه الطبقة ، وتندرج إلى الطبقة الثالثة الفلسفية التى انتشرت عند اليونان والرومان، يحسن بنا أن نذكر شيئاً عن بيضة الوجود، وما كان لها من مقام كبير عند أهل الديانات القديمة وحتى اليونانية والرومانية ، وما لعبته من دور خطير فى أساطير خلق العالم وتكوينه ؛ فالمصريون القدماء يقولون بأن (سنبح) الخالق أو (بتاح) مظهر الإله الواحد يخرج من بيضة الوجود ليكمل خلق العالم ، وكذلك أجمعت الأوساط المصرية على أن بذور كل الأشياء كانت نائمة فى بيضة الوجود عصوراً متعاقبة ، قضتها البيضة فى فيضان الظلمة، ولكنهم اختلفوا فى الخالق ذاته، فبعض المقاطعات تقول بأن : خوفو أو نون أو نور الشمس ، خلق البيضة ومعها الانسان ؛ والبعض الآخر يقول بأن الإله بتاح هو الذى كسرها بمعوله؛ وفى قول آخر : إن (تحوت) إله القمر والذكاء هو الذى نفخ بذور الوجود والحياة فى البيضة .

وعند الهنود تجد فى مؤلفاتهم المقدسة «ساتاباثا براهمانا» قصة بيضة الدنيا والسلحفاة - التى ترتكز عليها الأرض - مفصلة تفصيلا يجعلها قريبة الشبه من أقاصيص الهنود الحمر، وكذلك فى «الريج فيدا المقدسة» الشىء الكثير عن البيضة.

وتجد كذلك عند أهل السواحل، وسكان الجزر (أهل فنلنده وجزائر سندوتش مثلا) قصة الطائر الخالق، الذى يضع بيضة الوجود على سطح البحر الأزلى اللانهائى.

وفى أساطير الرومان يقول: (أوفيد) فى كتابه (ميتا مورفوسس):

«كان فى العالم قبل ظهور الأرض والسماء التى تحيط بكل الأشياء إله واحد يحكم العالم كله - ليس له شكل ولا هيئة - يسميه الناس (كاووس أو الفوضى)، فرأى أن يجمع كومة من بذور الوجود، ويضعها فى البيضة مختلطة من غير نظام، ويتركها حتى تفقس، ويخرج منها العالم».

وتجد كذلك عند (الكلت) المتأخرين - وهم سكان فرنسا وغالة - أسطورة البيضة التى خلقها الإله الثعبان ثم ابتلعها.

وفى أساطير (لاكيديمونيا) أن الإله (جوبتر) زار (ليدا) متنكراً على هيئة بجعة، فولدت منه بيضتين: إحداهما الملكة هيلينا. وعند أهل بيرو أسطورة العذراء التى اغتصبها الإله واتصل بها، فوضعت له بيضتين، خرج من الأولى إله الشر، أو الموت، (فالموت، أو العدم، أو الشر، أو الظلام أسبق فى الوجود)، ومن الثانية إله الخير، أو الحياة.

ولم تقتصر البيضة على مكانتها التى تمثلها فى قصة الخلق والتكوين، بل تعدته إلى الأساطير الدينية المتأخرة عند الروس واليهود، فصارت رمزاً للبعث والتجدد والنشور والحياة بعد الموت.

محمد مظهر سعيد

من قلم التحرير

١ - نرجو أن يذكر المرسل اسمه وعنوانه واضحاً، وإذا شاء إخفاء اسمه أو الرمز عنه فليوضح ذلك.

٢ - نرجو أن تكون المقالات واضحة الخط لتسهل قراءتها، وتكون على وجه واحد من الورق، ويجب أن تكون خاصة بالمجلة وإلا يهمل نشرها.

٣ - المجلة حرة فى نشر ما ترى فائدة من نشره، وإهمال ما لا يتفق وأغراضها.

٤ - المجلة لا تتعرض للأديان بنقد، ولهذا نرجو حضرات الكتاب ملاحظة ذلك.

الحركة الاحمدية

حقائق يجب أن يعلمها كل من يهتم بالاسلام

المذاهب فى الدنيا كثيرة مختلفة ، وهكذا شأنها منذ الأزل : منها الصالح ومنها الطالح ، فأما الصالح فمآله إلى البقاء والخلود ، وأما الطالح فمآله إلى الفناء والعفاء .

ومن بين المذاهب الدينية الحديثة ، مذهب « الأحمدية » أو « القاديانية » الذى يتقدم كاتب هذا المقال إلى القراء بأدلته وحججه مبرهنا على صحته .

وإن لنا فى هذا المذهب رأياً يخالفه كل المخالفة ، نحتفظ به حتى يحين أوانه ، ولكن حرية الرأى التى تسمل « المعرفة » على تدعيمها ، هى التى أوجبت علينا نشره ، غير مقرين ما جاء به كله .

و « المعرفة » ترحب بنشر كل رد يفحم هذه الدعوى ، ما دام الرد فى حدود الجدل العلمى ، والنقد النزيه ؟

المحرر

إذا كان التعصب والبغضاء فى الأحقاب الخالية ، قد حالا بين الأوروبيين وبين الاسلام من أن يفهموا حقيقته ويقدسوا نبيه الكريم ، فإن هاتين الصفتين الهدامتين للمعرفة والأخلاق واستقلال الأمم ، هما اللذان يحولان اليوم بين المسلمين وبين تفهم كل حدث جديد ، مهما كانت علاقته بالاسلام والمسلمين ؛ ذلك لمجرد نبوه عن مداركهم ، ومجافاته لأفهامهم ، ولما ورثوه من العادات والتقاليد التى ما أنزل الله ولا رسوله بها من سلطان .

ومن هذه الأحداث التى أقام المشايخ عليها النكير جهلا وتعصباً ، ورموا أهلها بالتضليل والتكفير دون المعرفة بنياتهم ، هى الحركة الأحمدية التى ظهرت فى الهند منذ أربعين سنة ، وما زالت تتقدم وتنتشر تعاليمها فى كل بقعة من الأرض ، حتى أصبح أتباعها يعدون بعشرات الألوف فى أوروبا وأمريكا ، ومئات الألوف فى : أفريقيا الشرقية ، والغربيـة ، والجنوبية ، والهند ، واستراليا ، وجاوا ، وسوماطرة ، وغيرها .

ولكى يعلم القراء عظم انتشارها فى الأوساط العلمية الراقية ، يكفى أن نذكر لهم شهادة الأمير عادل أرسلان ، فيما شاهده بنفسه فى زيارته الأخيرة لأمريكا ، إذ قال ما نصه :

« وأما القاديانية فهم كمبشرى البروتستانت والكاثوليك نشاطاً وغيرة دينية ، وقد رأيت بعض دعاتهم فى الولايات المتحدة ، وعلمت أن عدد أتباعهم هناك لا يقل عن مائتى ألف ، ولو

كان دعاتهم بيض اللون لبلغ أتباعهم الملايين ، لكنهم هنود سود، واللون فى أمريكا الشمالية هو كل شيء » (١)

وهنالك ألوف من الشهادات القيمة على تقدم الأحمدية وانتشارها ؛ وقبل أن أبين أسباب تكفير المشايخ لها ، أرى من الواجب أن أذكر عقيدتها ، كما بينها مؤسس الجماعة نفسه ، ليعلم القراء أى دين يدين به هؤلاء ، ولا يرون لهم ديناً سواه .

يقول مؤسسها موصياً أتباعه فى كتابه « التعليم » ما ترجمته :

« ومن التعاليم الضرورية لكم هو ألا تتخذوا القرآن مهجوراً ، فإن لكم فى القرآن وحده حياة ، من يكرمه ينل فى السماوات الاكرام ، ومن يفضله على كل حديث ، وعلى كل قول يفضل فى السماء — ألا ، لا كتاب لبنى نوع الانسان إلا القرآن ، ولا رسول ولا شفيع لبنى آدم من بعد اليوم إلا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ لذلك فاجتهدوا أن تصلوا هذا النبى ، نبى العظمة والجلال ، بآصرة الحب الخالص ، وألا تفضلوا عليه سواه تفضيلا ما ، لكى تسجلوا فى السماوات مع الناجين . واعلموا أن النجاة ليست هى بالشيء الذى يظهر بعد الموت ، وإنما النجاة الحقة هى التى ترون لمعانها فى الحياة الدنيا هذه . من هو الناجى ؟ هو ذاك الذى يوقن بأن الله حق ، وأن محمداً — صلى الله عليه وسلم — شفيع وسيط بين الله وبين الخلق ، وأن لا كفو للرسول من أحد من رسول ، ولا مثل القرآن من كتاب تحت قبة السماء ، وأن لم يشأ الله لأحد أن يحيا خالداً إلا هذا النبى المصطفى ،فهو حى إلى أبد الآبدين ، وقد مهد سبحانه لاستحيائه دائماً أبداً ، بأن جعل إفاضته التشريعية والروحانية جارية إلى يوم القيامة . . . الخ » .

وقال أيضاً فى كتاب آخر ما نصه :

« ومن خرج مقدار ذرة عن القرآن فقد خرج من الإيمان ، ولن يفلح أحد حتى يتبع كل ما ثبت عن نبينا المصطفى ، ومن ترك مقدار ذرة من وصاياه فقد هوى » .

هذا هو أساس التعليم الذى يتبع به الأحمديون إمامهم ،وهذا هو الدين الذى يدينون به ، دين محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام . فالأحمدية إذن هى الاسلام بكل ما فى هذه الكلمة من معنى صحيح . أما الخلاف بينها وبين المشايخ ، فناشيء عن التباين بين فهمها وفهمهم للقرآن المجيد ، فى كثير من الأمور . وأهم هذه الأمور هى :

١ — حياة المسيح ووفاته . فالأحمديون يقولون بموته حتف أنفه ، بعد أن عاش مائة وعشرين

(١) جريدة الفتح العدد ٣٠٨

سنة ، كما ورد فى الأحاديث ، ولم يرفع بجسده العنصرى إلى السماء ؛ والمشايخ يقولون برفعه إلى السماء حياً .

٢ — الأحمديون يقولون: بأن المراد من مجىء المسيح،هو مجىء شخص فى الأمة المحمدية من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، كما يظهر من قوله صلى الله عليه وسلم : « وإمامكم منكم — البخارى »،وقوله «فإمامكم منكم — مسلم »،ووصفه — صلى الله عليه وسلم — للمسيح الذى يأتى لقتل الدجال، بأنه آدم سبط الشعر، والذى رآه فى السماء مع الأنبياء المتوفين ، بأنه أحمر جعد الشعر؛ وأما المشايخ فيقولون: إن المسيح نفسه سيعود ، وهو جالس عند الله فى السماء ، كما يزعم النصارى .

٣ — يقولون بأن كتاب الله كله محكم. لا يأتيه باطل المنسوخ من بين يديه، ولا من خلفه، وأما المشايخ فيضربون آياته بعضها ببعض ، ثم يتحيرون فى عدد ناسخه ومنسوخه ؛ فبعضهم يوصل الآيات المنسوخة إلى الخمسمائة ، والبعض يكتفى بأربع آيات ، ويذهلون عن قوله تعالى « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ». وينسخون ١١٤ آية تدعو إلى السلام بآية السيف .

٤ — الأحمديون يقولون ببقاء الوحى الإلهى ، وإن الإله الذى لا يكلم عباده يكون إلهاً باطلا ، كما نطق بذلك القرآن المجيد فى قوله تعالى: « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا؟ »، وقوله أيضاً « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة»؛ ولا شك أن مما يرفضه العقل وينكره النقل، أن يتكفل الله بتربية الأجساد ويهمل تربية الأرواح وهو رب العالمين .

وأما المشايخ فيقولون بانقطاع الوحى الإلهى ، ويجعلون الله فى مصاف الآلهة الباطلة ، معطل الصفات،ولا يفقهون قوله تعالى: « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . »، وقوله : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء ». ولم يقل وما كان لنبى ، وقوله « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان ، فليستجيبوا لى، وليؤمنوا بى »، وغيرها من الآيات . ولا يوجد فى القرآن المجيد ، ولا فى الأحاديث الصحيحة ما يدل على انقطاع الوحى مطلقاً . والصوفيون بأجمعهم يقولون ببقاء الوحى، فكيف يكذبونهم بمجرد اختلاف الذوق ؟.

٥ — الأحمديون يقولون ببقاء النعم الإلهية كلها فى الأمة المحمدية، طبقاً لقوله تعالى: « وأتممت عليكم نعمتى » ؛ وهذه النعم هى التى بينها الله فى قوله : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين »، والمشايخ يقولون ببقاء الثلاث الأخيرة فقط ، ويرفضون بقاء النبوة، مع أن جميع الفرق الاسلامية تعتقد

أن الاسلام لايرجع إليه مجده العظيم إلا عن طريق النبوة ، بواسطة المسيح الموعود الذى يرسله الله فى آخر الزمان ، فالمشايخ يناقضون أنفسهم بأنفسهم ، إذ بينما يقولون بانقطاع الوحى والنبوة تراهم يعتقدون من جهة أخرى بمجىء نبى يوحى إليه بعد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وهو المسيح الموعود به عليه السلام . وأن النبوة التى يقول بها الأحمديون،هى نبوة ظلية، ونبوة وحى ، لا نبوة تشريع ، لأن الشرائع ختمت بالقرآن المجيد . فلا شريعة بعده إلى يوم القيامة ، وهذا معنى قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم » .

٦ — المشايخ يقولون بالجهاد بالسيف بلا شروط،والأحمديون يدعون الخلق كافة إلى السلم، ويقولون حسب قانون القرآن المجيد:«أن لا إكراه فى الدين،قد تبين الرشد من الغى»،وإن الجهاد بالسيف لايجوز إلا إذا منع المسلم من نشر دينه ،وإظهار إسلامه، وأخرج من دياره ، لمجرد كونه مسلماً ، كما فى قوله تعالى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق،إلا أن يقولوا ربنا الله » ، وقوله « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة » ،وقوله « ولا عدوان إلا على الظالمين » ، وغيرها من الآيات الكثيرة .

هذه أهم الاختلافات بين المشايخ الذين صيروا الاسلام غريباً ، وبين الأحمديين الذين يجاهدون فيه جهاداً كبيراً،وإن الحركة التبشيرية المسيحية فى العالم ، لم يصدمها ويهزمها أعظم هزيمة غير الأحمديين فى كل بقعة من الأرض،تقابل فيها أحد الفريقين،وإذا كان التبشير المسيحى هو السبب الأعظم منذ أكثر من قرن فى إدخال المدنية الأوروبية فى البلاد الاسلامية بواسطة المدارس،والملاجىء ، والمستشفيات ، فإن التبشير الاسلامى على أيدى الأحمديين سيغزو العالم كله ، ويرفع فى كل ربوة منه راية الاسلام،وشعاره سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم خير الأنام ، وقد بدأت تباشير النجاح والفلاح تظهر لكل ذى عينين ، ولمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

منير الحصنى أحمدى

ذكرى الحب

ذكر الحبيب مهيج الأشواق — كيف اطراح طبيعة العشاق ؟

لولاه ما عرف الوصال ولا انقضى — هجر ولا جد التذاذ عناق

تستعذب الآمال قبل بلوغها — والذكر يحييها على إخلاق

زاد المشوق لدى الفراق علالة — من وعد شائقة بقرب تلاق

لكنها ما زودتنى وعدة — تدع الرجاء أعز شىء باقى

إنى لأذكرها على حرمانها — إياى أسهل حاجة المشتاق

وإذا شغلت النفس عن تذكارها — كان الرياء أشب للأشواق

لو أنصف المحبوب لم يشك الهوى — أحد ، ولا حث الشروب الساقى

مصطفى جواد

قصة مصرية

رجـــــــــاء

— ١ —

آه . . . آه . . .

صرخة تنوقلت بين الأفواه والأسماع ، أوقفت الفتاة عند سماعها السيارة ، وتلفتت، ثم حدقت ببصرها ، ثم اكفهرت وغضبت ، ثم تركت السيارة وتقدمت بخطاً سريعة نحو هذا الذى كاد يذهب ضحية سوء تصرفه ، وقالت زاجرة : ـ « أنت أعمى لا ترى ؛ أم أصم لا تسمع ؟ » فطأطأ رأسه ولاذ بالصمت اعترافاً منه بالخطأ والتماساً للمعذرة لديها ، وعندئذ أدركت الفتاة علائم البؤس والشقاء منقوشة واضحة على وجه الفتى ، وفى عينيه المتكسرتين ، فمالت إليه وقالت فى رقة متناهية :

« مالك يافتى ؟ أتشعر بألم ؟ . . » فاكتفى برفع نظره إليها ، معبراً أصدق تعبير عما تضم جوانحه من الأسى ، وكان الناس كبيرهم وصغيرهم ، جاهلهم وعالمهم ، قد اجتمعوا فى سرعة غريبة وأحاطوا بمكان الحادث فى شدة وكثرة ؛ وتصاعدت الأصوات وتبودلت الاشارات : بين لائم عليه ، وشاكر لها ، وبين ساخط عليها وناصر له ؛ ورجل البوليس ، يتكلم كما يتكلمون ، ويشير كما يشيرون . واشتدت الضوضاء ولج النزاع حتى كان يظن الرائى أن فى الأمر خطباً جللا ، ومافى الأمر من شىء ! ولم تتوان الفتاة عن دفع الفتى إلى السيارة ، وولت مسرعة رغبة فى استشارة أحد الأطباء ، وما زال الناس فى نزاعهم وصراخهم يلجون ، بينما الفتى والفتاة صامتان لا يتكلمان .

— ٢ —

« ليلى » فتاة عصرية لها كل ما للفتاة العصرية من حقوق وواجبات وصفات ومميزات : فهى تقود السيارة ، وتعرف الموسيقى ، وتتدرب على ركوب الخيل ، والسباحة ، وتلعب التنس ، وتتكلم عدة لغات ، ولا تخلو ليلة لها من سهرة جميلة ، فى مسرح ، أو سينما ، أو حفل علم . هى تنشد الحياة فى النور ، والنور فى الحرية ، والحرية فى المساواة ، والاختلاط إلى أبعد حدود المساواة والاختلاط .

« ليلى » من سلالة عريقة الحسب والنسب ، ورثت عن والدها مالا كثيراً ، وعقارات عدة ، فهى غنية واسعة الغنى . تعيش مع والدتها عيش رخاء وهناءة . ولم يكن لها من الأهل غير قريب واحد ، يحصل العلم فى إحدى الجامعات الغربية . وقد وهبها الله من صفات الملاحة والحسن ماجعلها آية من آيات الحب والخيال ، وأحلها مكاناً سامياً فى قلوب الرجال . ورغم كل هذا فهى فتاة وكفى !

— ٣ —

كان الوقت قبيل الغروب ، والسيارة تنهب الأرض مسرعة فى طريقها إلى الأهرام . وعند سفح الهرم الأوسط أوقفت ليلى السيارة ، ودفعت الباب فاندفع ، ثم تقدمت والفتى يتبعها فى صمت وسكون ، وارتقت بضع صخور فى خفة ولين ، وهو يأتى ماتأتيه من غير اعتراض أو تفكير ، حتى تخيرت مكاناً يشرف على مغرب الشمس . فجلست تتحسس محاسن الغروب ، الى أن اختفى القرص بتمامه ، فوجهت نظرها إلى الفتى ، فاذا به يقف صامتاً شاخصاً إلى الأفق المخضب ، وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، واتشح وجهه بقناع من الخشوع الرهيب . فى مثل السكون تبادلا الحديث :

هى — لولا الظروف لكان موتك محققاً اليوم .

هو — (يصعد زفرة طويلة خفيفة) آه . .

— ما اسمك يافتى ؟ . . إن اسمى . . ليلى . .

— (برهة صمت) « رجاء » . .

— اسم جميل شائق ! . .

— للغير . . جماله للغير ياسيدتى . . . وأما صاحبه فقد دفع الثمن غالياً . هو رجاء ضائع

— ماذا ؟ أتتألم الى هذا الحد ؟ . .

— حتى الموت ... الموت ياسيدتى ... ليتك أجهزت على اليوم ... كنت أنهيت حياتى .

— يبدو لى أن أعصابك مضطربة محتاجة إلى الراحة . أليس لك أهل ؟

— أهل !.. كثيرون ... كثيرون جداً . . .

— إذن فما علة بؤسك ! لوكان لى حق السؤال طبعاً .

— الأهل كثيرون ولكنهم أغنياء ونحن فقراء .. فيجهلوننا .. يجهلوننى ووالدتى المعبودة وأخى الصغير ، كأنهم يخشون أن يخدش ما نحن فيه من بؤس ومتربة مايتمتعون به من الجاه والغنى . إن الحياة تعبد الفضة والذهب ، والناس تجرى خلف المظاهر والعظمة الكاذبة . . . والأقدار قاسية . . . فقد مر علينا زمان تمتعنا فيه بما يعدل غناهم ويفوق ، ولكن الوالد

- رحمه الله - أحب المزيد ، فضارب فخسر ، ثم ضارب فخسر . وفى أيام معدودة أمسينا فى حال تنذر بشر مستطير .. وحل الخراب وتمت الخسارة .. فلم يتحمل الصدمة وانتحر ، ونحن فى أشد الحاجة إلى رعايته ومعونته ... أصبحت وحيداً أكفل والدتى المسكينة التى أمضها الألم ، وأخى الذى عرف البؤس وهو صغير . اضطررت أن أهجر الدراسة لأعول نفسى وأعولهما . وحاولت البحث عن عمل ولكن عبثاً حاولت ، فالأزمة تمسك بالرقاب والحظ التعس يرعاها . كانت والدتى تدخر بقية من مال صرفناه ، وكانت تحفظ بعض الحلى فبعناها . وهكذا انقضى العام ونحن آملون فى المستقبل ، ولا يزداد المستقبل إلا ظلمة وحلوكة ويأساً وضيقاً . هذا ، والأهل لاينظرون الينا بعين الرعاية ، ولا يمدون يد المساعدة والمعونة .. أظلمت الحياة فى عينى بعد ما أظلمت حنايا صدرى . . . وعندئذ لم أتوان عن الانتحار ، وقد سبقنى إليه والدى ، تخلصاً من هذا العذاب .

- وهان عليك ترك هذه الأم ثكلى وهذا الطفل بلامعين ؟ . ! !

- يرعاهما من نفخ فيهما الروح ، فالله خير معين .

أراك تؤمن بالله ، وتقدم على الانتحار ! كيف هذا ؟ هذا التناقض الغريب بين الايمان والالحاد .. لا .. لا .. لا ياعزيزى .. لاتكن ضعيف الارادة إلى هذا الحد .. قم .. قم فأنت رجل .. قم وتعال معى نتدبر الأمر ؟

- إلى أين ؟

- إلى منزلنا ... حيث أعيش ووالدتى .. لندبر لك عملا .

- آه . . كيف ؟ . فاننا . . .

- ها .. ها . . لاتنس أننا فى القرن العشرين ... عصر التقدم والمدنية .. هيا معى فسأقدمك إلى والدى ، كسكرتير الدائرة الجديد ! مارأيك ؟

- وكيف أقطع عن غيرى رزقه ؟

- اطمئن من هذه الوجهة يا صاحب الشعور النبيل .. فقد ثبتت لدينا خيانة السكرتير الأول أكثر من مرة .

ثق وكن مطمئناً .. إننا ننشد سكرتيراً على شاكلتك ، طيباً عفيفاً أميناً فاضلا .

- آه ! . . شكرتك منذ لحظات عند ماخلت موتى على يديك ، إذ كنت أنشد الموت ، وأما الآن فانى أشكرك ، لأنك بعثت فى كيانى الحياة . . . فبت أنشد الحياة .

- نحن أخوة يارجاء . . . فلا شكر بيننا . . . قد وافقت نفسك نفسى . . . فلنعش معاً ، فتأخذ من نزوعى إلى الطرب والبهجة معنى الحياة ، ولآخذ من حزنك وألمك معنى الخلود .

ولكن . . .

وكان الليل قد جلبب الأنحاء بستار من الظلام ، واخترقه شعاع نور قوى يشع من سيارة تعدو فى طريق الفيوم ، فشع المكان وأضاء ، وإذا بالصخرة العالية يقتعدها الفتى والفتاة متعانقين ، يتبادلان قبلة العطف والحنان والركون والاطمئنان .

— ٤ —

انقضى عام وتولى ، و«رجاء» فى عمله خير ما يكون السكرتير فى أعماله ، وأحب ما يكون من عماله . توثقت العلاقات طوال هذا العام بين «رجاء» ووالدة «ليلى» ، فأصبح موضع ثقتها ، وأنزلته منزلة الابن من نفسها ، وتحسنت حاله أيما تحسن ، وأخذ نجمه يبدو لامعاً خفاقاً فى سماء السعد والصعود ، وحالفه الحظ مبتسماً ، وأضحى « رجاء » فرحاً من خلال ثنايا فتاة أحلامه ، ورضاء أمه عنه ، وحب أخيه له .

قضى «رجاء» و«ليلى» هذا العام رفيقين فى الغدو والرواح ، سميرين فى الليل والنهار ، صديقين على البعد والقرب ، شريكين فى الجد والهزل . وأما الناس — كعادتهم فى مثل هذه الأحوال — فقد أخذوا ينسجون — حول الفتى والفتاة وعلاقتهما البريئة — من الأباطيل ، والقيل والقال ، ما هو دعامة لهذه الحياة ، ولكنهما لم يهتما لشىء ما ، وهذا ما يقضى به العقل لمن أراد حياة طيبة هانئة .

كانت «ليلى» تقر الواقع وتحبه ، وشخصيتها مدعمة بهذا الحب . وكان «رجاء» يقر الخيال ويحبه ، ونفسيته مكرسة لهذا الحب ؛ من هذه الوجهة تخالفا ، ومن هذا التخالف توافقا ، فبدا كل منهما فى عين زميله قوياً فى مذهبه ، معتزاً بقوته ، فتعادلت القوتان وتضامنتا على الحياة بهذه الصلة : بين الواقع والخيال ، بين الطرب والألم .

العطف والحنان أول مراتب الحب ، الحب الشعرى فى النفوس الشاعرية ، الحب العاصف الذى لا يبقى ولا يذر ، وهذا الحب هو ما استحكم فى نفس «رجاء» ، يزجيه كتمانه وصبره وحياؤه من المكاشفة إلى الاسترسال فى حبه ، والتبسط من «ليلى» إليه . وكانت القبلة داعية هوى وغرام عند الفتى ، وفاتحة مسرة وتسلية عند الفتاة ؛ يفهم «رجاء» من القبلة أنها عهد ووفاء ، بينما تفهم «ليلى» كما تفهم فتاة العصر ، أنها مطلب زهيد ، مادام الشباب ومادام الطالب ! وعلى هذا الأساس شيد صرح الحب بين رجاء وليلى ، فكان واهياً متداعياً من البداءة .

— ٥ —

وكان البدر يتدرج من الحمرة الدامية إلى الباهتة ، فالصفرة الفاقعة ، فالبياض الفضى ، حتى

انتشر شعاعه فى الشرق منحدراً فوق الرمال ، مرتقياً الأهرام ، غامراً الأرض والسماء ،وعلى ضوء القمر بدا شبحان يتبادلان الحديث فى صوت خافت ضعيف .

هو — تذكرين ، ليلى ؟ . . على هذه الصخور وفى مثل هذه الليلة من العام الماضى ، كان اللقاء الأول وكانت القبلة الأولى . . . تذكرين ؟ . . أم نسيت كل شىء ؟ . .

هى — آه . . . هذا القمر . . وهذه النجوم . . . على سفح الأهرام . . فوق الرمال . . . هذه الرمال . . فى هذا السكون ، هذه هى الحياة يا رجاء . . آه (تمسك بيده فينسحب عنها) .

— نعم . . . وفوق هذه الصخور عينها . . . سيكون اللقاء الأخير ، يعقبه فراق أبدى . إلى الآن يا ليلى لم أعبر لك عن العاطفة القوية الجامحة التى لا تعرف عقلا ولا قلباً . . . كنت أخشى المستقبل وأخشى الخيبة . . . وأما الآن فانى لا أخشى شيئاً . . وإنى لأصرح لك بمكنون صدرى . . . إنى أحبك . . أحبك ياليلى من كل قلبى .

— وإنى لأعطف عليك وأميل إليك . . .

— لا . . لا . . ياليلى . . . إن رضيت الكذب على نفسك ، فأنا لا أرضاه على نفسى . . إنك لا تميلين إلىّ ، وإنما تطلبين السمير المنادم وتبحثين عنه ، فاذا وجدتيه فى غيرى ملت إليه ومنحتيه كل شىء . . . وتضربين بى عرض الحائط . . . إنك تقابلينني باسمة وتودعينني ضاحكة ، لأنك فتاة تفهم الحياة فى الضحك والابتسام ، تنشدين البهجة حيثما حلت ، وما هذا العطف والحنان الذى تبدينه سوى مظهر من مظاهر الجبروت والقوة . . . أنت فتاة عصرية تعرف من الحب لذته ، وتجنى ثمرته من غير ألم أو عذاب ، فلا تقرين هذا الحب الشعرى القديم الذى ألاقى فى سبيله الأمرين . . . تساءلت مراراً بينى وبين نفسى عن مدى حبك لى . . . وكان الشك ينتابنى أحياناً فيكاد يزهقنى ، ثم يعودنى اليقين فأهدأ وأستريح ، ولكن . . . ظهرت الحقيقة أخيراً ، واضحة جلية ، ومؤلمة أشد الألم ، عندما حضر هذا الشاب الوجيه الذى يمت إليك بصلة القرابة ، فنسيت به الدنيا وما عليها ، هذا هو من تحبين ومن تخلصين له ، وأما أنا فان أحببتنى فلأنى أذكرك دائماً بفضلك على وإحسانك إلى . . . آه . . . ليلى . . بالله اعذرينى . . . اعذرينى . . .

— لا أعرف سبباً لثورتك هذه يا رجاء ، وعهدى بك الشاب المؤدب اللبيب . . إن قريبى هذا هو خطيبى . . .

— خطيبك ؟ . . خطيبك ؟ . . الآن قد انتهى كل شىء . . . لا سعادة فى وجود ثلاثتنا . . . فوجب الرحيل على أحدنا توفيراً لسعادة الآخرين ! . . وأولانا بذلك هو أنا . . . الغريب الدخيل .

وعندئذ غلبه البكاء فبكى ، وتقدم إليها فى رفق ولين ، وشعور غريب ، ومال عليها ، ولكنها لحت فى عينيه نظرة مخيفة ، ففزعت منه ودفعته عنها .. فوقف لحظة صامتاً ثم تراجع إلى الوراء فى ذهول وهو يقول : — « حتى القبلة الأخيرة تحرمينى منها ؟ ثم تدعين حى ؟.. لا .. لا ترحمينى وإنما . » وفجأة انقطع الصوت حيث زلت قدمه فاختل توازنه وهوى إلى الأرض ، ومن ثم ارتفعت الصرخات ناعية رهيبة : —

— ليلى .. ليلى ... آه .. آه ..

— آه رجاء .. رجاء ...

ثم عم سكون رهيب وانطوى على نغم عذب جميل ، يحمله الهواء من بعيد ، وكأن لم يكن شىء .

— ٦ —

مات رجاء ! وأسفر التحقيق فى الحادثة عن أنها وقعت قضاءً وقدراً ، فجنت الأم وطافت الطرقات فى ذهول وخبل باحثة عن ابنها ، سائلة الناس عنه فى شبه جنون ، حتى ضمها البيمارستان ، وأما الأخ الصغير الذى أبت المصائب والأحزان إلا أن تحوطه ، فقد احتفظت به أحد ملاجىء البر والإحسان ، وفى غضون هذه الحوادث تم عقد قران « ليلى » بخطيبها ، ومن ثم سافرا إلى الخارج لقضاء شهر العسل فى هناءة ورخاء ، متناسين كل شىء ماعدا سعادة الزواج وحياة الشباب .

هؤلاء ضحايا من ضحايا الحياة : من موت ، وانتحار ، وجنون ، وتشريد ، فعلينا أن نقتصد فى عواطفنا وإلا أوردتنا موارد التهلكة من حيث لا نشعر ولا نريد ، ولزاماً علينا ألا نغالى فى الحب والعطف والحنان ، فقد نصل إلى حد من لا يرحم العطف ، ولا يتقى الحب ولا يرق للحنان ، بل يقسو ويثور أشد ما تكون القسوة والثورة .

أحمد كامل مرسى

الى حضرات المشتركين

ترجو الادارة حضرات المشتركين الذين لم يسددوا قيمة اشتراكاتهم أن يبادروا بارسالها رأساً إلى إدارة المجلة ولهم الشكر .


ابواب المعرفة

بين المتناظرين

استدراك

حول الناشىء الأكبر

كتبنا فى المقالة الأولى من هـذا البحث فى عدد أغسطس ص ٤٣٣ « الناشىء المذكور هو أبو العباس عبد الله محمد الأنبارى شرشر، معتزلى من الطبقة ، توفى فى مصر عام ٣٤٦هـ ــ ٩١٥م»، واعتمدنا فى تأسيس هذا الاسم وتاريخ وفاته على الأستاذ مكس هرتن (Horten) فى كتابه المذاهب الفلسفية للمتكلمين فى الإسلام» Die philosophischen Systeme der spekula tiven Theologen im Islam » ص ٣٤٨ .

ولكننا أخطأنا نحن شخصياً فى التاريخ الهجرى الموافق لعام ٩١٥ م، الذى يذكره الأستاذ هرتن ، وإذن فليس علينا مسئولية فى ذلك الخطأ الذى نعتذر عنه، ويكون الصواب هو عام ٣٠٣ هـ إذا قبلنا رواية هرتن .

ولزيادة التعريف بالناشىء المذكور وتحديداً لشخصيته، نقول إنه الناشىء الأكبر واسمه هو كما ذكرنا مع تصحيح «شرشر » بـ « ابن شرشير»، وهو معتزلى وعالم كبير، ألف كتاباً على الخليل بن أحمد، حيث أخذ عليه « ما خرج فيه عن تقليد العرب إلى باب التعسف والنظر ونصب العلل على أوضاع الجدل » ؛ وللناشىء أيضاً « قصيدة واحدة من أربعة آلاف بيت من قافية واحدة نونية منصوبة يذكر فيها أهل الآراء والنحل والمذاهب والملل، وله أشعار كثيرة ومصنفات واسعة فى أنواع من العلوم »، (انظر المسعودى : مروج الذهب، طبعة باريس، ج ٧ ص ٨٨و٨٩)، وكانت وفاته ـ حسب مايقول المسعودى ـ عام ٢٩٣ هـ ــ ٩٠٥م

وتؤيد شهادة المسعودى بعلم الناشىء وتصانيفه فى الآراء والنحل ، ما نقلناه عن مقابسات التوحيدى من تصنيفه فى الرد على الفلاسفة ، وليس هناك مجال كبير للشك فى كلام التوحيدى لقرب عهده من الناشىء الأكبر ــ ويؤيد ذلك أيضاً ما نقله ابن عساكر فى كتابه « تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى أبى الحسن الأشعرى »، من أن الأشعرى ألف كتاباً على الناشىء المذكور « فى مذهبه على الأسماء والصفات » .

محمود الخضيرى

راجع أيضاً ما يأتى :

1 — Goldziher فى ZDMG (مجلة جمعية المستشرقين الألمانية) Bd. 65—1911 S. 351

2 — W. Spitta : Zur Geschichte Abu-el-Hassan al-Asari's. Leipzig 1876-S. 64, 66.

3 — Mehren : Exposé de la Réforme de l'Islamisme ... etc. tiré du Vol. II. des Travaux de la 3e. session du Congrès international des Orientalistes. p. 97

مجـــــلة المعرفه

وما ينشر فيها

[نقلا عن جريدة «الهدى» بسنغافورة الصادرة بتاريخ ١٧ اكتوبر سنة ١٩٣٢]

١ — مجلة المعرفة وقيمتها .
٢ — مقال الأدب الحضرمى وعلاقته بمصر .
٣ — السطو على كتابات الغير .
٤ — الكذب على التاريخ .

> جاءنا هـذا النقد ـ الذى نشرته جريدة سنغافورة ـ بالبريد الجوى ، وطلب إلينا نشره والرد عليه عملا بحرية الرأى ، أما الرد فنرجئه حتى تردنا بقية الردود التى سينشرها حضرة الكاتب ، وإن كنا نعتقد أن السيد طه السقاف ، ـ بناء على خبرتنا به ـ أكبر من أن يسرق مقالا ؟
> المحرر

تصدر من القاهرة مجلة اسمها «المعرفة» ، محررها الأستاذ «السيد عبد العزيز الاسلامبولى» ، ويكتب فيها نوابغ الكتاب وكبار الأدباء والعلماء ، لهـذا لم تمض عليها سنة واحدة حتى صارت أهم مجلة فى العالم العربى . وإنا نؤمل أن تكون فى المستقبل القريب مساوية لمجلة شهيرة مثل Review of Reviews وغيرها من المجلات التى تكيف العقول وتصبغها بالصبغة العلمية الحقة التى لم يعرفها قراء العربية ، لهذا كان الأستاذ «الاسلامبولى» باصداره هذه المجلة القيمة قد خدم الأدب والعلم والثقافة خدمة عظمى يستحق الشكر الجزيل عليها ، فندعو المولى تعالى أن يطيل فى حياته حتى تكون مجلته النافعة قبساً يستضىء بنوره كل قارىء عربى .

وقد لفت أنظارنا فى الجزء الخامس منها (السنة الثانية) مقالة تحت عنوان (الأدب الحضرمى وعلاقته بمصر) ، فاهتممنا بها اهتمامنا بكل ماينشر فى «المعرفة» من الأبحاث العلمية الشائقة والمواضيع المهمة ، فاذا بنا أمام مقالة يشوه «المعرفة» نشرها ، بل يعد عاراً على الأستاذ الجليل محرر «المعرفة» ، فالمقالة ليست إلا سطو على كتابات الغير ، وخبط فى التاريخ ، وكذب شنيع ملئت بالأغلاط الواضحة التى ما كنا لننتظر من الأستاذ «الاسلامبولى» التغافل عنها ، وسماحه بنشرها بين عدة مقالات لها قيمتها وخطرها ، تدبجها يراع من يعدون الآن فى الصف الأول من أدباء العالم العربى وعلمائه .

كاتب المقالة المذكورة هو السيد طه السقاف المدرس بمدرسة الجنيد الاسلامية ، وهى مدرسة

دون الأولية لا يتعدى التعليم فيها (زرع - دوس - وزة - بطة). ولا يتمارى أحد فى عدم اطلاع الأستاذ الكبير صاحب «المعرفة» على هذا، وإلا ما جعل الكاتب (من كبار الأساتذة بسنغافورة).

* * *

لا نقصد من الكتابة فى هذا الموضوع إلا تصحيح أغلاط تاريخية وردت فى مقال (الأدب الحضرمى وعلاقته بمصر)، وأن نبين للقراء تهجم البعض على التاريخ وسطوهم على كتابات غيرهم بدون إشارة إلى الأصل؛ وسيرى القارىء الكريم - من هذا المقال ومن المقال الذى يتلوه - كيف تجرأ السيد طه السقاف على قلب الحقائق، وكيف اتضح من مقاله أنه جاهل بتاريخ حضرموت بلاده، والتاريخ الاسلامى عموماً، وكيف أنه حين حاول السطو على كتابات غيره فضح نفسه .

* * *

إن أغلب ما أورده السيد طه السقاف فى مقالة (الأدب الحضرمى وعلاقته بمصر) مسروق من مقالات كتبها الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن شهاب فى جريدة (حضرموت) التى تصدر من مدينة (سورابايا) فى العدد الرابع والتسعين وغيره، فجاء السيد طه وأغار على تلك المقالات غير مراع ماورد فيها من أغلاط تاريخية، فوقع هو أيضا فيما وقع فيه الشيخ ابن شهاب، ولم يكتف السيد طه بذلك، بل إنه نقل من تلك المقالات نقلا يكاد يكون حرفياً، ثم أرسل مقالته إلى «المعرفة» كأنها من بنات أفكاره، فانخدع الاستاذ صاحب «المعرفة» بها، ولو ألقى نظرة واحدة على النقط التاريخية التى وردت فى المقال، ما كان نصيب المقالة إلا الطرح فى سلة المهملات.

لهذا عز علينا أن يكون فى مجلة «المعرفة» - بين ما فيها من أبحاث طلية - بحث مسروق مزدحم بالأغلاط التاريخية، وبالكذب على التاريخ؛ وقد ظن بعض القراء، أن السيد طه أراد بمقالته تلك إثبات وجود النحلة الأباظية بحضرموت، وإبادتها على يد أحمد بن عيسى المهاجر الذى هاجر إلى حضرموت من العراق؛ كما يقول السيد طه وغيره من الكتاب الباعلويين، مما لم يذكره مؤرخ ثقة. ولكننا لا نعتقد ذلك؛ فالسيد طه لا ناقة له ولا جمل فى علم التاريخ، ولا نظن أنه اطلع على أى تاريخ معتبر، وقد بينا أنه ليس (من كبار الأساتذة)، بل هو مدرس فى مدرسة دون الأولية.

إننا نكتب اليوم مقدمة قصيرة تعرف القارىء بالمواضيع التى سنخوض فيها فى الأعداد القادمة، وكنا نود أن نختصر هذه التصحيحات التاريخية، التى ألجأتنا إلى الكتابة، ولكننا وجدنا فى مقال السيد المفضال طه السقاف، أشياء أخرى حرية بالتحليل، جديرة بالفحص والتشريح؛ فمقاله تجاوز (الأدب الحضرمى وعلاقته بمصر) إلى تاريخ النحلة الأباظية ووجودها

بالأقطار الحضرمية ، وزوالها من حضرموت على يد أحمد بن عيسى المهاجر (كما يزعم السيد طه وغيره) ؛ ولما كان جل ما أورده السيد طه فى هذا الباب غير صحيح ، بل من مخترعات بعض المتطفلين على التاريخ الذين كتبوا ما كتبوا لأغراض ومقاصد ، وليس لمجرد التدوين التاريخى ، رأينا أن ننتهز هذه الفرصة التى تفضل بها علينا السيد طه ، لنورد بعض الحقائق التاريخية ، المنزهة عن التحامل والتحزب ، اللذين كانا صفتى أشباه المؤرخين ، كالشلى مؤلف المشرع الروى وغيره .

ولما كان السيد المفضال طه السقاف ، قد سطا على ما كتبه الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن شهاب ، بدون أى إشارة إلى المصدر ، وجب أن يكون ردنا على السيد طه ، رداً على الشيخ ابن شهاب أيضاً .

اما فيما يتعلق بما أورده السيد طه عن (الدور الأول) أى الجاهلى ، نقلا عن مقالات الشيخ علوى بن طاهر الحداد ، التى لما يجف مدادها (بدون إشارة إلى المصدر أيضاً !) فهو صحيح روته التواريخ المعتبرة ، وقال بصحته مؤرخان ألمانيان توفى أحدهما فى السنة الماضية .

بهذه المقدمة نكون قد بينا ما سيكون موضوع بحثنا فى الأعداد القادمة فالى اللقاء .

عبد الواحد الجيلانى

هدية السنة الاولى

الرسالة العذراء

﴿ الرسالة العذراء ﴾ اسم لرسالة نفيسة ، تعد إحدى ذخائر الأدب العربى النفيس ، لابراهيم بن المدبر ؛ حوت من جليل البحث ، وطريف الفكر ، ورقة الأسلوب ، وسلاسة اللفظ ، ما جعلها - بحق - كنزاً من كنوز أدبائنا العرب المغاوير .

وقد صححها وشرحها باللغة العربية ، ووضع لها مقدمة مفصلة بالفرنسية ، تناول الكلام فيها على فن الانشاء ومذاهب الكتاب فى القرن الثالث ، الأستاذ البحاثة والعالم الفاضل الدكتور زكى مبارك .

وقد بعثت إدارة « المعرفة » بهذه الهدية النفيسة إلى حضرات المشتركين (الذين سددوا قيمة اشتراك السنة الأولى) .

ورجاؤنا أن يتفضل حضرات الذين لم يسددوا قيمة اشتراك تلك السنة بتسديدها لنبعث بتلك الهدية إليهم .

فكاهات

عن مجلة Tit-Bits

يؤاخذ على كلمة !

هو – (بانكسار) الوداع . وتذكرى دائماً أنه بالرغم من أنى لم أقدر على كسب حبك ، لكنى سأكون صديقك الوفى على الدوام ، وفى أى وقت تجديننى مستعداً لأية خدمة تأمرينني بأدائها ، وأنا مسافر الليلة إلى أستراليا ، فالوداع .

هى – (ببرود) أنا آسفة جداً لمبارحتك الوطن ، ولكن ما دمت مستعداً لتأدية أية خدمة لى ، فهل تأخذ هذا الخطاب لتلقيه فى صندوق البريد فى طريقك إلى القارب ؟ .

الأسماك المطلوبة

ذهب الزائر مع المضيف إلى الساحل القديم للصيد .

الزائر – ما هو غذاء هؤلاء الأقوام ؟

المضيف – غالباً السمك ؛

الزائر – ولم ؟

المضيف – أظن أن السمك طعام العقل وهؤلاء أذكى قوم رأيتهم .

الزائر – جميل ! . وماذا يكونون إذا لم يأكلوا السمك ؟ .

فكاهات تت بتس فى المدرسة .

إبراهام لنكلن ولد فى بيت ساعد والده فى بنائه .

موسلينى نوع من المواد التى تستعمل فى عمل شرابات السيدات .

السيانيد : سم ولذلك فان نقطة منه على لسان كلب كافية لقتل أقوى الرجال

المبدأ شىء يرى . ومن الضرورى ألا يرى .

المنولوج هو محادثة بين صنفين من الناس ، كالزوج والزوجة مثلا

أحمد فتحى ناصف

مكتبة المعرفة

النجوم الزاهرة
فى ملوك مصر والقاهرة

ألفه جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى ، مطبوع باشراف القسم الأدبى فى دار الكتب المصرية : الجزء الثالث ، صفحاته ٤١٦ صفحة من القطع الكبير

أخرجت دار الكتب الملكية الجزء الثالث من كتاب «النجوم الزاهرة»، وهو يبدأ بالحديث عن ولاية أحمد بن طولون ، ويفصل أنباء الحوادث التى جرت فى مصر مدة حكمه تفصيلا وافياً، فيه غير قليل من التحقيق العلمى ، والتقدير التاريخى لآثار هذه الحوادث ، وهو ينتهى عند تفصيل المسائل المصرية التى حدثت حتى عام ٣٢٩ هجرية .

وقد أشرف على إخراج هذا الكتاب النفيس ، رجال القسم الأدبى فى دار الكتب ، وعنوا به عناية فائقة ، فذيلوه بثلاثة فهارس دقيقة ، أتوا فى اولها على أسماء الأعلام الذين وردت أسماؤهم فى جنبات الكتاب، وفصلوا فى الثانى أسماء « الأمم والقبائل والبطون والعشائر والأرهاط » التى ذكرها المؤلف فى كتابه ، وجاءوا فى الفهرس الثالث بأسماء « الموضوعات » التى تناولها « ابن تغرى » فى « النجوم الزاهرة » .

والكتاب ككل مطبوعات الدار ، متقن الطبع ، رشيق التنسيق ، جزيل الفائدة .

صاحب مختار الصحاح

رسالة فى كراسة مطبوعة فى ٢٦ صحيفة ، وضعها الأستاذ عبد الله مخلص عضو المجمع العلمى العربى بدمشق

لا شك أن الذين انتفعوا بكتاب « مختار الصحاح » هم الكثرة الغالبة بين الناطقين بالضاد، ذلك أن هذا الكتاب قد وعى بين دفتيه مجموعة صالحة من الألفاظ المتداولة ومفسرة تفسيراً لا غبار عليه ، وهو يعتبر بحق مفخرة ما أنتجه العالم اللغوى الامام محمد بن أبى بكر الرازى .

ولكن الذين يتداولون « مختار الصحاح » فى كل يوم، لا يعرفون عن مؤلفه إلا النذر اليسير ، وهذا ما دعى الأستاذ العالم «عبد الله مخلص» عضو المجمع العلمى العربى فى دمشق ، إلى استقصاء أنباء « الرازى » وتحقيق مراحل حياته ، ليذيعها على الناطقين بالضاد حتى يتعرفوا إليه ، ويذكروه كلما استوعبوا كتابه القيم النفيس ؛ ولقد وفق الأستاذ فيما أخذ نفسه ببحثه، فنشر حياة « الرازى » كما ترجمها المؤرخون، ثم فصلها تحت ضوء الحوادث التى حدثت فى عصره

منتفعاً فى ذلك كله بآراء طيبة قدمها إليه المرحوم العلامة « أحمد تيمور باشا »، والأستاذ السيد « محمد البيلاوى » نقيب الأشراف، والشيخ « سعيد الكرمى » عضو المجمع العلمى العربى، وما من شك فى أن هذه الرسالة قد أضافت إلى سلسلة التراجم المفيدة حلقة جديدة من شأنها أن تستهوى جمهور القراء .

الاسلام

[كتاب فى ٣٦٨ صحيفة من القطع الكبير ، ألفه الأستاذ أسعد لطفى حسن]

نعرف عن صديقنا الأستاذ « أسعد لطفى حسن » أنه من تلك الطائفة القليلة التى تعلمت تعليماً حديثاً ، ولكنها تعيش فى ظل التعاليم الدينية عيشة تقشف وزهد .

والتقشف هنا ليس هو التجرد ، والزهد ليس هو الحض على كراهة الدنيا كراهة عمياء ، وإنما يعيش الأستاذ « لطفى حسن » فى ظل حياة مدنية ، ولكنها – إلى ذلك – حياة رائعة المثال .

ولقد عنى الأستاذ بهذا الجانب الدينى ، فاستوعب فضائل الاسلام كلها ، ثم شاء أن يشرك معه جمهور المسلمين فيما انتهى إلى تسجيله من حقائق ، ومضى فى كنف هذا الذى أراده ، يضع كتابه « الاسلام » حتى أخرجه فى هذا الثوب .

وكتاب « الاسلام » تفصيل منسق للاسلام من ناحية الدين ، والقومية ، والتفصيل الجامع لسير الأنبياء ، ومراحل الحياة التى قضاها الرسول ، ثم هو – إلى هذا كله – تفصيل لما فى القران من إعجاز ، وما للاسلام من أركان ، مزيداً عليه – إلى ذلك – رسالة من الرسائل الخالدة النادرة ، هى رسالة « الربيع محمد بن الليث » التى كتبها للرشيد ، ليبعث بها إلى (قسطنطين) ملك الروم حاثاً إياه على التوجه إلى ما يتوجه إليه المسلمون من إيمان وعقيدة .

وأسلوب الكتاب ، أسلوب سهل ، تعمده الأستاذ أسعد لطفى حتى يكون انتفاع الجمهور بما فيه من آراء انتفاعاً غير محدود .

فنحمد إلى الأستاذ جزيل فضله فى تزويد المكتبة الدينية بهذا السفر النفيس .

أشعة وظلال

[ديوان من الشعر فى ١٤٦ صحيفة بقلم الدكتور أحمد زكى أبى شادى]

[illegible]ول بنا القول لو أننا أردنا أن نسجل الخصائص التى يتميز بها الأستاذ الدكتور أحمد ز[illegible] أبو شادى ؛ فهو طبيب ، وأديب ، وشاعر ، ورجل من أنفع أسرة « النحالة » وأنتج المعنيين بتربية الدجاج .

وهو — فى كل هذه المراحل — الرجل الذى لا تستطيع هفواته أن تؤثر فى شىء، لأنها تافهة قليلة ضئيلة، لا تنظر إلا بالمنظار المكبر.

وها نحن الآن حيال حلقة جديدة من سلسلة إنتاجه المثمر، هى ديوانه الشعرى الطريف: «أشعة وظلال»؛ فقد وعى هذا الديوان بين دفتيه طائفة قصائده المختارة، فيها ما هو من خالص وحيه، وفيها ما هو ترجمة لوحى الآخرين من شعراء الفرنج.

وإذا كان هذا الديوان يتميز بشىء، فالواقع أنه يتميز بهذه الصور الوصفية الرائعة التى صور لنا فيها «حواء» و «الرواق» و «الحسناء المجرمة» و «عيد الزهور» و «المتأملة» و «التوأمين» و «الصيرفى وزوجته» و «البؤس» و «البوهيمية» و «العريس» و «الجد وحفيده»، وما إلى ذلك من صور أخرجها من لوحاتها الصامتة إلى صميم الحياة.

وفى هذا كله ما يحقق النفع المرجو من «أشعة وظلال»، وما يضيف إلى جهود الدكتور جهداً جديداً مذكوراً بالثناء والتقدير.

صورة الشباب

أو الباقة الأولى

[ديوان شعر فى ٧٦ صحيفة من الحجم المتوسط، نظم قصائده: طاهر محمد أبو فاشا]

يجمع هذا الديوان من الشعر ما يستحق أن يكون باكورة طيبة لمستقبل شعرى طيب؛ ففيه بضع قصائد فى الغزل، لو أن ناسجها الأديب استطاع أن يزيدها صقلا، وأن يعود إليها فى هدوء أعصابه، لكانت من نوع طلى؛ وفيه قصائد أخرى فى أشتات الخواطر التى تفيض على عصبة الخياليين من عشاق القريض. وإنا لنأخذ على صاحب الديوان، انتهاجه فى هذه الحقبة نهج المتقدمين فى حشوهم لأسفارهم بكلمات التقريظ التى تفد إليهم من المعارف والأنصار؛ ففى هذا إفناء لشخصيته، وحبذا لو أنه أزاح هذه «التقاريظ» عن «باقته الثانية».

أبولو

[مجلة شهرية، تعنى بالشعر، تصدر فى القاهرة، ثمنها ثلاثة قروش مصرية]

وهذا أيضاً الدكتور أحمد زكى أبو شادى يخرج لنا فى كل يوم إنتاجاً جديداً، وإنتاجاً من نوع مثمر كثير النفع، ولقد رأى أن العناية بالشعر لم تكن فيما ألفت الصحافة من سياق فى التحرير، فشاء أن يمحو هذا النقص عن جبين صاحبة الجلالة، وهكذا أنشأ مجلته الراقية الممتازة «أبولو»، لتكون مسرحة يتسابق فيها كل شاعر، وكل باحث فى الشعر

أو مترجم للشعراء ؛ والواقع أن « أبولو » قد استطاعت – بجهود صاحبها الفاضل – أن تجد طريقها إلى قلوب الناظمين معبداً سهلا ، فنرجو أن يدوم لها التوفيق فى أداء رسالة الشعر ، وأن تكون بواكيرها بداءة عصر ذهبي للشعراء .

نهج الانشاء الابتدائى

[كتيب من جزأين ، ألفه الأستاذ مصطفى محمد ابراهيم المدرس بالمدرسة المحمدية الأميرية]

تحدثنا إلى قراء « المعرفة » من شهرين عن كتابين نفيسين أصدرهما الأستاذ مصطفى محمد ابراهيم، لخير التلاميذ، وللبلوغ بهم فى دراستهم أسباب الكمال؛ وهما: كتاب (المطالعة الابتدائية) وكتاب (المحادثة المصورة)؛ وهانحن أولاء بصدد كتاب جديد، أصدره الأستاذ فى جزأين: أحدهما للسنة الثالثة الابتدائية، والآخر للسنة الرابعة، أسماه « نهج الانشاء الابتدائى »، والحق أن عنوانه قد دل دلالة صادقة واضحة على ماحفل به من أساليب الانشاء التى تخير لها موضوعات شائقة ، وعبارات طلية ، ونماذج فى التفهيم لاغبار عليها . فنشكر للأستاذ ذلك الجهد الذى يتعهد به النشء ليخرجه إلى الحياة كامل النمو .

ذكريات من حياة المرحوم
السيد على يوسف مؤسس المؤيد ومحرره

[رسالة فى ٣٢ صحيفة، كتبها بقلمه : الأديب « ع . ع . شلبي »]

فى تاريخ المرحوم السيد على يوسف صاحب المؤيد ، ما يغرى الباحث على التبسط ، وما يدفعه إلى القول المنطلق ، وما يجمع إلى قلمه أسباب الجنوح إلى وفرة التجوال ، فقد كانت حياة الرجل صفحة نادرة من صفحات المجد النادر ، وكانت يده من هذه الأيدى القليلة التى استطاعت أن تعمل وحدها ما لم تعمله العصبة أولو القوة ، والجماعات ذات البأس الشديد.

وإن الذى يبسط الآن « المؤيد » بين يديه فى هذه الأيام التى انقلبت فيها الصحف إلى صميم الحياة الجديدة ، لا يستطيع إلا أن يذكر للأستاذ المرحوم السيد على يوسف ، أنه قد ترك للأجيال تراثاً كله نفع وكله خير جزيل؛ فالمؤيد – فى عرف الزمن – قد انقلب إلى ما يشبه الماضى السحيق ، ولكنه فى تقدير الحقائق لم يخرج عن نطاق تفكيرنا الصحفى اليوم ، وهذا وحده سر من أسرار ذلكم الرجل العظيم .

وإذا كان لدينا اليوم صحفى قدرت له لباقته أن يبسط قلمه على طائفة من رجالاتنا البارزين ، فإنا نذكر للسيد على يوسف أنه الصحفى الوحيد الذى قدرت له خصائصه أن يبسط نفوذه على اكبر الشخصيات المصرية التى عاصرته ، وهذا سر اخر من أسرار عظمته الخالدة .

على أننا جبلنا على نسيان رجالنا الأفذاذ ، ومن شأن الأحداث التى تتقلب فيها بين أوضار ذلك العصر المادى أن تنسينا كل شيء ، حتى تاريخنا القريب ، وأن تلحق بنا العقم حتى فى تذكير الجماهير بقادته الذين احتملوا الزعامة فيه ، وكانوا فى ذودهم عنه مخلصين .

ولكن النسيان لم يتجه بعوا كبه المظلمة إلى رأس هذا الأديب المصرى « ع . ع . شلبى » فإنك إذا جلست إليه لاتستطيع أن تمسك لسانه عن تلك الأحاديث التى يوقظ بها من ذكريات « السيد على يوسف » كلما اتجهت مناسبة القول إلى الخوض فى هذه الذكريات . وهذا وفاء منه ، بل هذا أثر من شخصية الرجل فيمن عملوا معه .

ولقد عمل معه صديقنا الأديب خمسة عشر عاماً ، من حقها أن تزحم رأسه بالذكريات .

ولقد أفلح الأديب « ع . ع . شلبى » فى إخراج هذه الرسالة عن أول صحفى مصرى ناجح ، فقص علينا جملة من صحائف حياته الحافلة بكل ما هو طريف شائق ، وقدم بهذه الرسالة ، هدية إلى تلك الروح التى يعيش فى ظلها مخلصاً لعهد صاحبها حتى اليوم .

فأكرم به من وفاء ، وأكرم بها من رسالة نافعة .

بين المعرفة وقرائها

في الحب

(عمارة . العراق) طاهر ديان — في اللحظة التي أكتب فيها إلى أستاذنا محرر « المعرفة » هذا السؤال ، أكون قد بلغت الثلاثين من العمر ، ومع هذا فانه لم تتح لي فرصة واحدة للحب ، أي أني لم أحِب ولم أحَب في حياتي مطلقاً ، وقد تخرجت في عدة مدارس ، وتقلدت عدة وظائف ، وتنقلت بين بلاد كثيرة ، منها أهم العواصم الأوربية ، ولكني أخفقت في التعرف إلى الحب ، وأريد معرفة السر في هذا ، مع الملاحظة بأني رقيق العاطفة جداً ، وأشعر دائماً بالحاجة إلى من تبادلني عاطفتي .

(المعرفة) نستبعد حدوث هذا ، وإن كنا لا نشك في صدق رواية السائل ، لأن الحب جوهر أساسي لا يخلو منه عنصر من عناصر الوجود ، وقد أثبتت التجارب العلمية الحديثة ، أنه ليس مقصوراً على الانسان فحسب ، وإنما يشمل الحيوان والنبات والجماد أيضاً ، ولي في هذا الموضوع رسالة أرجو أن تتاح لي الفرصة لنشرها .

وقد قال الشاعر مؤيداً علاقة الحب بالجماد :

وتحدث الماء الزلال مع الحصى　　فسرى النسيم عليه يسمع ماجرى
فكأن فوق الماء وشياً ظاهراً　　وكأن تحت الماء سراً مضمراً ،

وقديماً وحديثاً أذل الحب الملوك وثل عروشهم ، وأخضع القياصرة وأطاح برءوسهم ، بل أكثر من هذا ، لم يترك لنبي قلباً حتى فتحه ، فشيء هذا شأنه ، وتلك قوته وخطورته محال عليه أن يركن إلى الدعة فيتركك سليماً معافى ، اللهم إلا أن تكون من شواذ البشر .

ومع هذا ، فمالك والحب ! دعه واحمد الله الذي أراحك منه ، فتلك نعمة تحسد عليها ، أليس يكفي من الحب : ذلة المحب وإن كان عظيماً . وخضوعه لمن يتصل إلى من يحب بنسب ولو كان نسباً بعيداً ؟ أليس يكفي أن تفنى شخصية المحب ، وتبذل كرامته هدراً في سبيل من يحب ؟

نصيحتي إليك أن تظل جامد العاطفة ، وأن تردد معي قول ابن الفارض :

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل　　فما اختاره مضنىً به وله عقل
فعش خالياً ، فالحب راحته عنى　　وأوله سقم وآخره قتل

وحدة الوجود

(بنجاب . الهند) غلام الدين عبدالله إحسانى ـ لمعاشر أهل الحقيقة والباطن مذهب أطلقوا عليه « وحدة الوجود »، ولهم فى ذلك اصطلاحات غريبة ورموز عسيرة ، فهل يمكن تلخيص هذا المذهب فى سطور معدودات ؟

(المعرفة) قد يكون من غير الممكن تلخيص الجواب فى سطور ، لأنه فى حاجة إلى البسط والاسهاب ، بحكم تعدد الفرق والملل والنحل فى هذا ، وكثرة المصطلحات ومدلولاتها لغة وتاريخاً واصطلاحاً ، فلنرجىء ذلك إلى فرصة أخرى ، مقدمين إليك هذه الأبيات التى قالها « ابن عربى » إمام أهل المذهب ، ومنها تتعرف خلاصة ما تريد ، قال :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن دينى إلى دينه دانى
وقد صار قلبى قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب دينى وإيمانى

الغريزة الجنسية

(حيفا . فلسطين) أيوب الزاهرى ـ هل يمكن للشاب كبت عاطفته الجنسية ، دون ان يحدث له ضرر ؟ وما هى الطرق ؟

(المعرفة) الحق أن كبت العاطفة الجنسية فيه شيء من الخطر الصحى والنفسى ليس بقليل ، حتى إن فرويد Freud الطبيب النمساوى ، يجعل كبتها مصدر جميع الأمراض العقلية والأمراض العصبية ؛ لكن لا تنس إلى ذلك ، أن انسيابها فى غير الطريق المشروع ، وهو الزواج ، أشد خطورة ، وأسوأ مغبة .

ويستطيع الانسان أن يتخلص من تحكم هذه العاطفة أو تلك الغريزة ـ كما ينبغى أن تسمى ـ بعدة طرق ، أهمها : التسامى عليها بالفنون الجميلة كالرسم والتصوير والنحت . . . ألخ ، أو الالعاب الرياضية بمختلف أنواعها ، أو الكتابة العالية ، والتفكير المنتج ، والدراسات الادبية أو الفلسفية ، أو قراءة الكتب والصحف العلمية المحترمة ، إلى غير ذلك من طرق التفكير المتعدد الألوان والصور . ويمكن ذلك أيضا بانصراف الشاب إلى حذق عمله وإتقانه .

وقد ثبت بالتجربة الصادقة الصحيحة ، أن الشاب كلما ارتقت نفسه وسما خياله ، واتسعت آفاق آماله ، وانصرف إلى إتقان عمله ، زاد عقله تحكما فى تلك الغريزة ، لدرجة تصبح فيها فى حكم المعدومة ، وآنئذ لا يشعر الشاب بأن هذه الغريزة مكبوتة ، إذ يصبح الأمر عادة طبيعية لا أثر لها فيه .

ولا تنس أيضا أن هذا الكبت الطبيعى ، ينتج خير الفوائد ، إذ يحفظ للانسان عرضه وكرامته مصونين ، ويزيده قوة فى التفكير والانتاج ، وينمى فيه الذاكرة والذكاء .

دائرة المعارف الانجليزية

(القاهرة . مصر) ن . ا . م - لى رغبة فى شراء دائرة معارف ، فأيهما تفضلون : الانجليزية أم العربية ؟ .

(المعرفة) لا يوجد دائرة معارف باللغة العربية ، بالمعنى الذى تفهمه ، اللهم إلا دائرة « معارف القرن العشرين » للأستاذ فريد وجدى بك ؛ وهى مكونة من عشرة أجزاء كاملة ، ودائرة معارف البستانى ولم تتم ، وآخر حرف فيها هو حرف العين . وليس من شك فى أن دائرة الأستاذ وجدى أكثر فائدة من دائرة البستانى فى نواح كثيرة ، خصوصاً النواحى الدينية الإسلامية ، والفلسفية ، والطبية ؛ لكنها - على كل حال - نتيجة مجهود فرد ، فلا يمكن - بحال ما - أن تشبع نهم الباحث المحقق ؛ ولهذا نفضل شراء دائرة المعارف الانجليزية - بعد شراء العربية طبعاً - ويحسن بكم الاشتراك فى طبعتها الجديدة ، لأنها أوفى بكثير من الطبعات القديمة .

النفس والروح

(شبرا . مصر) م . م . العشماوى - هل هناك فرق بين النفس والروح ؟ وكيف تكون النفس أمارة بالسوء ، وكيف يدعوها ربها بالمطمئنة ؟

(المعرفة) مشكلة النفس والروح من أقدم المشاكل البشرية وأشدها تعقيداً ، وقد نشرنا فى هذا الجزء كلمة تحت عنوان « فى علم النفس » صدرنا بها كتاباً بهذا العنوان ، تناولنا فيها ذكر الخلافات القديمة فى هذا الموضوع ؛ وتركنا الجانب الدينى خوف الزلل ، فارجع إليه إن شئت .

صورة صاحب المجلة

(شبرا . مصر) مصطفى محمد العشماوى - عودتنا مجلة « المعرفة » نشر صور كتابها ، أى أن كل مقال جديد تقرنه بصورة كاتبه ، وهذا عمل جدير بالشكر ؛ لأنه يعطى القارىء فكرة عامة عن الكاتب ، وفى هذا من الفائدة (السيكولوجية) ما فيه ؛ فلماذا لا يقرن الأستاذ الاسلامبولى صورته بمقاله ؟ وهل لنا أن ننتظرها فى العدد القادم ؟

(المعرفة) سئلنا نفس السؤال فى العدد الثامن من السنة الأولى ص ١٠٢٢ ؛ وأجبنا عنه ساخرين ، لأننا اشتممنا منه رائحة المعاكسة ، والأمر معك بالعكس ؛ ولهذا نصارحك القول بأنه ليس لدينا صورة من سنين ، ولو وجدت فإنا لا نرضى مطلقاً بنشرها فى صفحة تمت إلينا بصلة ، فما بالك و « المعرفة » مجلتنا الخاصة ؟ إن فى ذلك معنى من أسوأ المعانى التى تأباها طبيعتنا ، ويكفى أن يكون فيها معنى (البروباجندة) التجارية ليصدنا عن نشرها ، لهذا ترانى آسفاً لعدم إجابة طلبك ، راغباً إليك التفضل بزيارتى فى « الإدارة » إن شئت .

هدايا السنة الثانية

١ ـ خلاصة علم النفس

من خير ما تعنى « المعرفة » بترويد قرائهـا به من مبادىء ، أنها تريد ـ فى كنف هذا العصر المادى ـ أن تستخلص لهم ساعات من فراغ ، يمضونها فى صحبة التأمل ، وفى صداقة الحياة الروحية الخالصة من كل شوب... وإلى هذا المبدأ وحده يعود الفضل فى ثبات « المعرفة » على دعامة البحوث العلمية البعيدة عن الدجل والتهريج .

ولقد تخيرت « المعرفة » لقرائها كتاباً نفيساً ـ تقوم الآن بطبعه فى قسم الطبع والنشر من دارها ـ ألفه الأستاذ أحمد فؤاد الأهوانى أستاذ المنطق وعلم النفس فى المدارس الثانوية الأميرية ، وأحـد القلائل الذين حصلوا على ليسانس الجـامعة المصرية ،ودبلوم معهد التربية العالى بتفوق .

وهذا الـكتاب ـ كما يدل عليه عنوانه ـ خلاصة الآراء الحديثة فى « علم النفس » ، فهو يبحث فى فائدة علم النفس ، وما إلى ذلك كله من موضوعات لها أثرها الجليل .

وستقدم « المعرفة » هذا الـكتاب ، إلى مشتركيها الذين سددوا اشتراكها عن ذلك العام ، وليس من شك فى أن بحوثه القيمة ، ستكون من بين الأسباب التى تدعو من لم يسدد اشتراكه إلى المبادرة بدفعه حتى يقتنيه ، ويزود به مكتبته ، ويضيف به إلى آرائه فوجاً جديداً ، لا من الناحية الفلسفية ، أى البحث فى ماهيتها ، ولـكن فى ظواهر النفس ، وفى تحليلها ، وفى الغرائز الدافعة للانسان إلى العمل ، وفى الانفعالات والعواطف وأثرها فى حياة الإنسان ، وفى الاحساسات والإدراك ، والتفكير ، والخيال ، والامتداع ، وفى تسلسـل المعانى ، وفى العادة وأثرها والاقلاع عنها ، وفى الذاكرة وعلاج الضعيفة منها ...الخ

فى علم النفس

أصدرت دار المعرفة للطبع والنشر ، كـتاباً بهذا العنوان للأساتذة : حامد عبد القادر ، ومحمد عطية الأبراشى ، ومحمد مظهر سعيد ، فى ٢٨٨ صفحة ، يتناول الـكلام على علم النفس فى جميع مناحيه .

ظهر فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٣٢ . ويطلب من المكاتب الشهيرة بسعر النسخة الواحدة ١٨ قرشاً

فهرس

الجزء السابع من السنة الثانية

أبواب المجلة